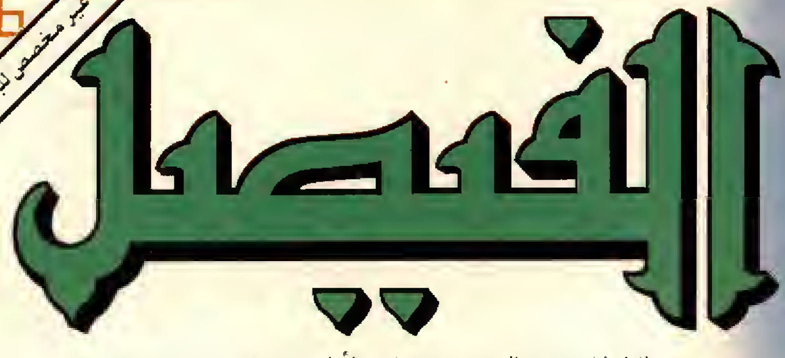


مجلة ثقافية شهرية ـ العدد 251 ـ جمادى الأولى 1418 هـ ـ سبتمبر 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 251 - SEP. 1997



الإبداع .. مصادفة أم ذكاء ؟



حكاية النيل في هذا الزمان

أخطار وافدة: غزو وتحديات

البراجيل في العمارة الخليجية

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

تأليف: أحمد بن عبدالله بن أحمد، أبي نُعَيْم الأصفهاني المتوفَّى سنة 430 هـ - 1038م

ترجم أبو نُعَيم - رحمه الله - في هذا الكتاب للعديد من أعلام الإسلام بدءًا من الصحابة رضي الله عنهم وحتى رجال عصره، ذاكرًا صفاتهم ومالهم من مناقب، وشيئًا من الأحاديث التي رووها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذه المخطوطة جزء من الكتاب، وقد كتبت بالمداد الأسود، أما رؤوس الفقرات، فقد تميزت بكبر خطها من خط المتن، وقد كُتبت هذه النسخة في القرن السادس الهجري، وقوبلت على الأصل المنقولة عنه. وتمتاز بكثرة الحواشي والتعليقات المدونة على هوامش صفحاتها.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية رقم 2224.

إعداد: إبراهيم باجس عبدالمجيد





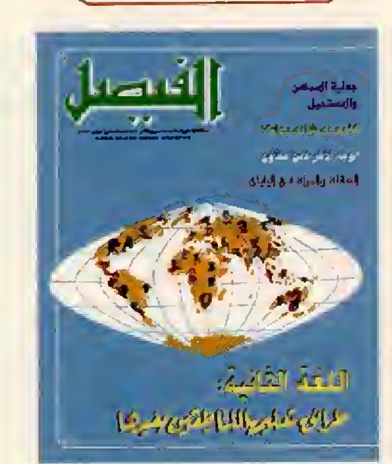
في العدد القادم:
- التلفاز وتنشئة الأطفال
- حقوق الإنسان بين التكريم والامتهان
- الفكاهة في تراثنا الأدبي



مـجلة ثقافيـة شهـرية تـصـدر عن دار الفيـصل الثـقـافيـة

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

من الثوابت التي لا ينبغي التوقُّف عندها هي أنَّ مجلة الفيصل قد تجاوزت مرحلة الإطراء والتصفيق والثناء؛ لأن رسالتها بينة وصراطها مستقيم، وهي رائدة الموضوعية والكلمة الصادقة والنقد البناء الذي يفضي بها إلى أداء رسالتها على أكمل وجه.

ولست أراني اليوم إلاّ نحلة تقضي أجمل سُويعات حياتها بين الأزهار، مُعْجَبة برحيق تلك الزهرة، ومأخوذة بلون زهرة أخرى، ومكْتَفية بالتأمُّل لعوالم الجمال والإيحاء لزهرة ثالثة ومعرضة عن زهرة لأنها لم تجد فيها ما يسلب اللبَّ ويأسر الخيال بل وجدتها صدًى لغيرها لونًا وجمالاً وعبيرًا.

وإذا كانت الأمور بخواتيمها فإن المجلات بإطلالاتها. فلقد تناول رئيس التحرير الدكتور زيد الحسين في إطلالته «اللغة العربية وإرادة أُمَّتها»، حيث وُفِّق في هذا الموضوع اختيارًا وتناولاً ودقًا للأجراس وإتصاقًا لأعظم وأسمى لغة؛ ألا وهي لغة القرآن الكريم والحديث النَّبوي الشريف ولغة الفكر والشعر والثقافة والحضارة الإسلامية الخالدة، وإن كل عربي ومسلم غيور يشد على يد رئيس التحرير ويؤيد كل ما جاء في إطلالته التي تناولت موضوعًا أكبر من واقعنا وأقرب إلى أحلامنا، فهو في الواقع لم يتناول لغةً بقدر ما تناول أُمَّةً وحضارةً وتاريخًا.

ولقد جاءت مجلة الفيصل كعادتها غنية بموضوعاتها وتنويعاتها وحسن اختيارها، وبدا ذلك جليا في معظم أبوابها التي اشتملت على الأدب والفكر واللغة والإعلام والاجتماع والتاريخ والشخصيات والشعر والقصة والعديد من الأبواب والزوايا الثابتة.

ففي مجال الفكر والأدب، تناولت المجلة موضوعات ذات أهمية كبرى «كالفكر الإسرائيلي والتطرف» للدكتور حسن ظاظا، حيث استطاع فضح اليهودية والصهيونية فكرًا وثقافةً وسياسةً واقتصادًا ومعتقدات مهترئة. ولقد أفاض الدكتور خالص جلبي في دراسته «جدلية الممكن والمستحيل» حيث نقل القارئ إلى عوالم شتى من الخيال والواقع والتجارب النفسية المحرجة، وهذا النوع من الدراسات يستعصي على عدد كبير من القرّاء وأصنِّفه في إطار المقالات الخاصة. ولقد ضم باب الفكر والثقافة العديد من الموضوعات المهمة مثل: «كيف يروي الروائي روايته؟» للدكتور نعيم عطية، و«صداع العقول» للشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، و«أقوال وخواطر» للدكتورة نوره الشملان، وغيرها من الموضوعات الرائعة.

أما في مجال اللغة، فقد تناول الدكتور رشيد بلحبيب موضوع «الخلفية الاستشراقية للدعوة إلى العامية» وبين الحرب الحاقدة التي يشنها الأوربيون على لغتنا وفكرنا وثقافتنا. وأما في مجال البريد الثقافي، فقد تناولت الزاوية موضوعًا مهمًا ألا وهو الغزو الثقافي والفكري، وقد أحسن الدكتوران بشير العيسوي ومحمد عبدالعليم مرسي تناول الموضوع وإزالة سوء الفهم والضبابية التي قد تلف بعض رؤى القراء والمفكرين في مثل هذه الموضوعات الشائكة.

وأخيرًا أتمنى لمجلة الفيصل التوفيق والسداد آملاً أن تحافظ على هذا المستوى الرفيع وتسعى نحو الأفضل دائمًا.

أحمد القدومي
شاعر وقاص - الرياض.

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



باب «البريد الثقافي» تعميق للحوار

أشكر لكم جهودكم الطيبة في تطوير «الفيصل»، تحريراً وإخراجاً. ففي كل مرحلة من مراحل خطتكم التطويرية يلمس القراء إضافات متميزة تخدم الثقافة والمعرفة. ومن الأبواب الرائعة التي أضفتموها، مشكورين، ابتداءً من العدد 249 باب «البريد الثقافي».

لكم سررت بهذا الباب، وخاصة عندما قرأت السؤال الجيد الذي بعث به الأخ الكريم إبراهيم حسن عبدالحليم من الإمارات، وكانت الأجوبة التي تفضل بها كل من الدكتور محمود أحمد شوق والدكتور حامد أبو أحمد، قوية ومركزة.

خلاصة القول: إن باب «البريد الثقافي» يعمّق الحوار، ويضع الإخوة القراء في المحك، مما يدفعهم ويحفزهم إلى المزيد من مناقشة الأفكار الثقافية المهمة.. وفقكم الله.

عبدالعزيز إسماعيل أحمد
ص.ب 569، الحسكة، سورية.

مئوية فتح الرياض ومسؤولية دور النشر الوطنية

لا شك أنكم توافقونني على أن التراث كلٌّ متكامل، ويجب أن يكون في متناول الأجيال الحاضرة حتى تقف على ماضيها البعيد والقريب، ولا يعني التراث ما يكون حبيس المتاحف والكتب فحسب، وإنما الأحداث التاريخية العظيمة التي تمر بها الأمة أيضاً.

أقول هذا ويحضرني موضوع أحسب أنه على جانب كبير من الأهمية، وهو ندرة الكتب التي تتناول حياة قادة بلادنا، المملكة العربية السعودية. فعلى كثرة ما كُتب عنهم بدءاً بالملك المؤسس عبدالعزيز، يرحمه الله، ثم أبنائه البررة الذين تولوا مسؤوليات الحكم من بعده، إلا أن هذه الكتب شبه معدومة في المكتبات، فكثيرون يحثوا عنها دون جدوى، وبعض الإصدارات نفدت ولم تُعَدْ طباعتها، وبعض دور النشر تعتذر من عدم إمكان طباعة بعض الكتب لأن مؤلفيها قد توفوا، وإجراء كهذا يتطلب إذناً من الورثة. وهذا قول سليم لأن فيه احتراماً لحق المؤلف. ولكن ينبغي ألا يكون الأمر على حساب حق الأجيال في أن تعرف تاريخ بلدها وقادتها. وهناك جهات مثل دارة الملك عبدالعزيز تعنى بمثل هذه الإصدارات، وجهات أخرى أصدرت كتباً عديدة عن قادتنا، ولكن الواقع يشير إلى أن هذه الكتب ليست بالقدر الكافي الآن.. الأمر الذي يجعلني أحث مثقفينا وأصحاب المؤسسات ودور النشر في وطننا العزيز ـ من خلال منبركم ـ على مضاعفة جهودهم في هذا الاتجاه. ولعل الاحتفال بمئوية فتح الرياض (5 شوال 1419هـ) هذه الذكرى التاريخية المجيدة، مناسبة طيبة لكي تَجدَّ دور النشر والمؤسسات الثقافية الكبرى، ومن بينها مؤسسة الملك فيصل الخيرية، فتقوم بطباعة كتب عديدة، ولتخرج مؤلفات ومذكرات كثيرة حبيسة الأدراج إلى النور لتسهم في كتابة تاريخ وطننا.

أحمد عبدالله عواجي
الأحساء 31982

فان جوخ ودوار الشمس

اطلعت على العدد 249 الذي ضم موضوعاً بعنوان «زهور فان جوخ»، وكان موضوعاً جيداً، إلا أنني لاحظت أن الكاتب ذكر مراراً «زهرة عبّاد الشمس»، والصحيح ـ والله أعلم ـ «زهرة دوّار الشمس»، لأن الشمس لا تُعبد، والله وحده هو المعبود. كذلك لاحظت أنكم تنحون نحو استبدال الأرقام الإنجليزية بالعربية، وهذا التوجه أصبح سمة غالبية الصحف العربية، وأظن أن هذا الموضوع جدير بأن يُقطع فيه برأي. فاعتماد الأرقام العربية مؤشر للاعتزاز بهذه اللغة، وأنتم في «الفيصل» في مقدمة الداعين إلى إعلاء شأن العربية.

عبدالرحمن بن علي
ص.ب 9793 الرياض 1142

الاهتمام بالموضوعات العلمية

لاحظت أن للأدب عموماً نصيباً وافراً من اهتمام المجلة. ولا شك أن الأدب جانب معرفي مهم، ولكن ينبغي ألا يحصل على «نصيب الأسد»، وألا يأتي الاهتمام بالموضوعات التي تتناول مجالات الأدب المختلفة على حساب حقول المعرفة الأخرى، وبخاصة مجال العلوم. تعلمون أن هذا العصر بالذات يختص بالعلوم وتطبيقاتها، وأن ما نشهده من تطور مطرد في حياتنا هو حصيلة نتاج العلوم والتقنية. لذلك وددت لو أنكم سمحتم بصفحات أو باب ثابت لهذا المجال، وليكن بمسمى «دنيا العلوم»، أو أي مسمى آخر يروق لكم ويعكس مضمون الباب.

بنسمرا الجميل
ص.ب19100، عين أرنان، الجزائر.

قضية «دوللي» عولجت بإحكام في «إطلالة»

الحمد لله الذي جعل لنا هذه المجلة مصدراً نقياً لألوان العلم والأدب والثقافة، فأصبحنا ننتظر ـ كل شهر بشوق عظيم ـ ثمارها اليانعة المستمدة من أصالة الماضي، ونتطلع إلى أبواب الأمل التي تشرعها أمام الشباب العربي المسلم، وإلى أكسير الثقة الذي تمدنا به. تقديري الجم لما تبذلونه من جهود في اختيار الموضوعات الجيدة.. وأخص بالذكر موضوعات «إطلالة»، ومنها موضوع «دوللي» الذي أعجبني كثيراً واحترمت الطريقة التي عالجتم بها تلك القضية الشائكة والتنسيق المحكم بين مضامينها.. وكذلك أشير إلى موضوعات «إطلالة» التي لاقت صدى واسعاً وتجاوباً كبيراً من القراء الذين أعرفهم، ومن تلك الموضوعات: «حين يرفض العلم أن يتوقف»، «وإن مع اليوم غداً»، «هذا العلم ما ضميره؟». فإلى الأمام، والله يوفقكم ويرعاكم.

عامري عبدالكريم
حي الفرج، درب مرحبا 20550
الدار البيضاء، المغرب.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

المذكرات .. حتى لا تطوى الذكريات

المقالات التي يكتبها الأستاذ عبدالله عمر خياط بعنوان «رواد عاصرتهم»، جديرة بالوقوف عندها، وتشجيع كتاب آخرين لتسليط الضوء على جوانب من تاريخنا القريب والبعيد. ففي اعتقادي أن من أكبر عيوب مجتمعاتنا أن كثيرا من رموزنا في مجالات الأدب والفكر والسياسة والاجتماع وغير ذلك من مجالات الحياة المختلفة، يرحلون عن الدنيا دون أن يسجلوا مذكراتهم، وأحسب أن ذلك راجع لحساسية مجتمعاتنا. وعلى أي حال فإن الرموز والشخصيات المؤثرة ترحل وتطوي معها شهادات مهمة وآراء مهمة، وربما تصويبات مهمة لتفسير أحداث ومواقف.. لذلك فإن استنطاق هؤلاء، من خلال الكتابة عنهم، يكون مفيداً للأجيال الصاعدة وللتاريخ، فأرجو السماح بمساحة أوسع للكتابة الموضوعية عن الرواد، ليس في مجال الأدب فحسب بل في جميع المجالات.

سلطان عبدالله العامري
الظهران، المنطقة الشرقية.

استطلاع آراء القراء

أحبائي، رغبة في المشاركة في الجهود التطويرية التي تشهدها «الفيصل»، وددت عرض بعض الاقتراحات التي أرجو أن تلقى قبولكم. بدءاً، أقترح أن تفردوا باباً، وليكن بعنوان «مجلة الفيصل في الميزان»، ويكون مخصصاً لإسهامات القراء واقتراحاتهم. وهو باب مختلف عن البريد، لأنه سيكون خاصاً بآراء القراء عن الأبواب والزوايا الجديدة التي يحبذونها، وسيكون نوعاً من الاستفتاء أو الاستطلاع. وإنني أعرض هنا بعض الأفكار التي عنت لي، وأتمنى أن أراها مطبقة في «الفيصل» ضمن الخطوات التطويرية المستمرة. في اعتقادي أن إضافة أبواب جديدة مناسبة أو إعادة تبويب بعض الموضوعات تجعل «الفيصل» أكثر عمقاً، ومن الأبواب التي أقترحها: «دراسات أدبية»، «فكر ومناهج»، «تربية واجتماع»، «لغة وتعريب»، «إعلام وصحافة»، «تراث ومتاحف»، «دراسات تاريخية»، «شخصيات وشعوب»، «الحاسبات الإلكترونية والمعرفة».

م. ثائر عبدالوهاب البهيجي
فندق زهران، عمان، الأردن.

مدرسة «تباشير»

إلى أعزائي.. رئيس التحرير، وكل من يسهم في إعداد هذه المطبوعة المفخرة، ويخرجها إلى النور:

أشكر لكم ما تقدمونه من ثقافة نظيفة، وأخص بالإشادة باب «تباشير» الذي يستقبل إسهامات الشباب الواعد. فهذا الباب يعلم المواهب الناشئة أصول الكتابة، قصةً وشعراً، والملاحظات التي يوردها المختصون الذين يتولون نقد موضوعات «تباشير»، تمكّن الناشئ من الأدوات الضرورية لممارسة فنون الكتابة. وفي هذه السانحة يسعدني أن أقترح عليكم توسيع هذا الباب، وتخصيص مسابقة للمواهب وتقديم جوائز رمزية، فأنا على ثقة من أن في عالمنا العربي والإسلامي مبدعين كُثر لو أتيحت لهم الفرصة لقدموا أعمالاً باهرة.

طلال عبدالحكم علاقي
مصراته، ليبيا.

الكتاب الجيد والغراب الأعصم!

قرأت المقالة التي كتبها عدنان عضيمة في العدد 247 بعنوان: «العزوف عن القراءة: ظاهرة مؤقتة أم مرض مستعصٍ؟». ولقد أثارت هذه المقالة في نفسي خواطر شتى، لأن العزوف عن القراءة أصبح مشكلة يعاني منها معظم أبناء العربية.

وذكر الكاتب أسباباً من شأنها أن تؤدي للحالة التي نعيشها، ولكن فاته أن يذكر بعض الأسباب التي أدت إلى عزوف قطاع كبير من الناس عن القراءة. ولعل من أهم هذه الأسباب: أن مستوى كثير من الكتب والمطبوعات التي تعج بها المكتبات هي دون تطلع القارئ في هذا العصر المتسم بالتحولات العميقة والتغيرات المتسارعة. وكل ذلك - فيما أحسب - سببه الحداثة، والخضوع للغرب في المؤلفات العربية، وآية ذلك أنك لا تفتح كتاباً من الكتب العربية أو مجلة من المجلات التي تهتم بشؤون الأدب والثقافة والفكر، إلا وجدت مجموعة من الأسماء الغربية، التي تتكرر دوماً، مثل: كافكا، سبنسر، همنجواي، وغيرهم. ومن أسباب العزوف عن القراءة أن معظم الكتابات العربية أصبحت كالطلاسم، فأحياناً قد تقرأ صفحات عديدة من كتب تحمل عناوين لافتة، ولكن لا تخرج منها بشيء ذي فائدة، وهذا موضوع طويل، وأحسب أنه يستحق جذب الانتباه إليه أو تناوله في مقالة مطولة أو دراسة؛ للإجابة عن سؤال: لماذا يجهد بعض ممن يسمون مؤلفين أنفسهم لإصدار كتب خاوية بلا مضمون.

وأحسب أن هناك شيئاً مهماً تجب الإشارة إليه في موضوع القراءة عموماً، وهو أن الصلات الثقافية تكاد تكون مقطوعة بين بلدان العالم العربي والإسلامي، فكثيراً ما نسمع عن أدباء من بلاد عديدة، ونقرأ عنهم مقالات نقدية في المجلات، ولكننا لا نستطيع الحصول على مؤلفاتهم، وكذلك نسمع عن كتب جيدة تصدر في المملكة العربية السعودية وغيرها، ولكنها لا تصل إلينا. أقول ذلك لأؤكد أن الكتاب الجيد موجود والمؤلف الممتاز موجود، ولكنه «كالغراب الأعصم في مئة غراب»، لا نستطيع أن نصل إليه، ولا يستطيع هو أن يصل إلى القارئ. ولا نشك أن القارئ الجيد مستعد للتضحية من أجل الحصول على الكتاب الذي يستحق القراءة، ولكنه ليس على استعداد لتبديد ماله في كتب لا يستفيد منها.

مجدي دفع الله محمد الأمين
مدرسة الشهيد الطاهر، الصحافة وسط، مربع 31
الخرطوم، السودان.

بعيداً من الضجيج الإخباري

موضوع هونغ كونغ الذي تصدّر غلاف العدد 241، كان شاملاً ومتعمقاً، أعطى القارئ معلومات وافية. ويُحسب لمجلة الفيصل أنها تناولت هذا الموضوع مبكراً، وعرضت قضية هونغ كونغ بهدوء، واستقصتها من جميع جوانبها التاريخية والعسكرية والاقتصادية والسياسية، وقد اختزل عنوان الغلاف القضية في عبارة قصيرة: «هونغ كونغ من حرب الأفيون إلى اقتصاد النمور». أكتب الآن وقد أسدل الستار على قصة هونغ كونغ، ولكنني بكل صراحة أقول: إن تناول «الفيصل» لهذه القضية قد أغناني عن متابعة الضجيج الإعلامي الإخباري الذي استمر طوال شهري يونيو ويوليو في الصحافة والفضائيات، لذلك أسأل: ألا تزيدوا الجرعة من هذه الموضوعات والاستطلاعات التي يكون لها مذاق خاص.

العربي محمد
مراكش، المغرب.

- بإذن الله -، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحباً بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.



إطلالة



يداك أوكتا

إذا كان خبراء الاتصال يرون أن العالم قد تحول إلى قرية صغيرة بفضل تطور تقنيات الاتصال، فإن خبراء البيئة يتفقون مع هذا الرأي من منطلق آخر هو أن المشكلات البيئية تجمع العالم في صعيد واحد، لأنها تؤثر في أجزائه كلها من غير استثناء، ولأن إيجاد الحلول لها لا يتم إلا بتكاتف الجهود الدولية. ولهؤلاء الخبراء أدلة كثيرة يسوقونها لتوضيح وجهة نظرهم، منها أن المشكلات البيئية لا تخص المصادر التي تنطلق منها، وإنما يمتد أثرها إلى أماكن بعيدة من هذه المصادر، ومن ذلك أن 50٪ من الترسب الحمضي في كندا يأتي من الولايات المتحدة الأمريكية، وأن المواد الملوثة تنتقل من بريطانيا وألمانيا إلى الدول الإسكندنافية، وأن الدول غير الصناعية تتأثر بنفايات مصانع الدول المتقدمة، كما هو الأمر في حوض البحر المتوسط.

وقد بدأ اهتمام الإنسان بفهم بيئته والتكيف معها منذ أن استخلفه الله في الأرض، فبدأ في البحث عن مصادر الغذاء، ومواطن الحيوانات وموارد المياه، والمأوى. ومع تطوره في سلم الحضارة، بدأ في تدوين ملاحظاته عن هذا الكون، وما يضمه من كائنات حية وجمادات، وما يعتريه من ظواهر طبيعية. ومن الكتب المبكرة في هذا المجال، ما ألفه أبوقراط الملقب بأبي الطب عن الأجواء والمياه والأماكن، وما كتبه أرسطوطاليس عن الحيوان. ومن خلال البناء الحضاري الذي أقامه الإسلام، واستناداً إلى التوجيه القرآني بالتأمل والتدبر والتفكر اهتم علماء المسلمين بشؤون البيئة، فوضعوا التآليف عن النباتات والحيوانات المختلفة وتأثيرات البيئة في الكائنات الحية، ومن أبرز هذه التآليف كتاب «الحيوان» للجاحظ، و«حياة الحيوان» للدميري، وما وضعه المجريطي عن تأثير النشأة والبيئة في الكائنات الحية، وما تناوله ابن البيطار في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» عن استخدامات النباتات المختلفة وفوائدها. وكتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري يأتي في طليعة هذه الكتب. ويستعصي حصر الكتب العربية المؤلفة في هذا الميدان، كما يصعب ذكر جل العلماء الذين كان لهم باع واسع فيه.

وقد حاول الإنسان التعرف إلى بيئته لتحقيق أعلى قدر من التكيف معها بالوقوف على المعلومات والحقائق المتعلقة بها وبكائناتها وموجوداتها، ولكن حين تفاقمت مشكلات البيئة واستعصى على كل دولة أن تعمل بمفردها على حل ما يواجهها من هذه المشكلات، انتبه العالم إلى ضرورة إيجاد صيغة دولية يُتفق على تبنيها، والمشاركة في تطبيقها من الدول جميعها في سبيل الوصول إلى حلول ملائمة لهذه المشكلات.

وتزايد الاهتمام بالقضايا البيئية مع نهاية الستينيات، وبدأت المؤتمرات الدولية التي تتناولها تتوالى مع بداية السبعينيات، فعُقد مؤتمر استوكهولم للبيئة الإنسانية في يونيو 1972م، وندوة بلجراد في أكتوبر 1975م، والمؤتمر الدولي الحكومي الأول للتربية البيئية في مدينة تبليسي عاصمة ولاية جورجيا في الاتحاد السوفيتي السابق في أكتوبر 1977م، كما عُقدت مؤتمرات محلية وإقليمية مماثلة في كثير من أنحاء العالم، إلى أن عُقد مؤتمر قمة الأرض في ريودي جانيرو في البرازيل في عام 1992م الذي عكس الاهتمام المتزايد لدول العالم بقضايا البيئة.

وأبرز ما أظهرته هذه المؤتمرات والندوات ضرورة وجود مفهوم واضح في العالم عن أهمية البيئة وضرورة الاهتمام بها، والتفاعل الإيجابي معها، بما يحفظها ويحميها من تغول الإنسان وجوره عليها من خلال أنشطته الاقتصادية الأنانية، وتبلور ذلك كله فيما اصطلح على تعريفه بالتربية البيئية. وعقب إقرار هذا المفهوم في مؤتمر استوكهولم عملت كثير من الدول على تطبيقه بأن ضمنته مناهجها الدراسية، وإن اختلف أسلوب التطبيق؛ إذ آثرت بعض الدول أن تحدد للبيئة مقرراً مستقلاً بذاته، بينما رأت دول أخرى أن تدخلها ضمن المقررات الدراسية الأخرى، وخصصت بعض الدول وزارة للاهتمام بشؤون البيئة، مهمتها تطبيق ما يتخذ من قرارات وتوصيات بيئية، ومراقبة السلوكيات العامة والخاصة التي تضر بالبيئة والعمل على إزالتها بإصدار التشريعات المتعلقة بذلك. وفي كل الأحوال، فإن هذا الاتجاه بيّن حجم قلق الإنسان على مصيره إذا استمر في تعامله الجائر مع البيئة.

فقد أشارت الإحصاءات إلى أن حجم التلوث الذي أصاب البيئة في عام 1991م تمثل في 99 مليون طن من أكاسيد الكبريت و68 مليون طن من أكاسيد النيتروجين و57 مليون طن من المواد الدقيقة و177 مليون طن من أول أكسيد الكربون. ومع أن الغابات تملك قدرة كبيرة على امتصاص مثل هذه الغازات، إذ إن هكتاراً واحداً من الأشجار يثبت نحو 50 طناً من الغبار في العام، إلا أن إزالة الغابات استمرت بمعدلات عالية، مؤكدة تغول الإنسان على الحياة الطبيعية، وبلغ مقدار ما يُزال منها نحو 17 مليون هكتار سنوياً، مما أدى إلى القضاء على أنواع عديدة من النباتات والحيوانات، لأن الغابات المدارية تحتوي على أكثر من نصف الأنواع النباتية والحيوانية في العالم، إلى جانب 20 مليون نوع من الحشرات، كما أن هناك دواء واحداً على الأقل، من بين 4 أدوية، مصدره النباتات البرية في الغابات. ويفرز الهكتار الواحد من الغابات والمساحات الخضراء 2,5 طن أكسجين سنوياً، إضافة إلى أن الغابات تعد حاجزاً طبيعياً أمام الفيضانات ومانعاً لنفاذ الإشعاعات الذرية إلى مسافات بعيدة، وتحد من الزحف الصحراوي.

وشاهدتُ ضمن تقرير لمحطة تلفاز CNN كيف تُزال الغابات في دول أمريكا الجنوبية تحت ضغط حاجتها إلى العملات الصعبة للحصول على احتياجاتها من الدول الأخرى، ومع أن التقرير قد أشار إلى أن هذه الغابات مصدر لنحو خمس الأكسجين في العالم، إلا أن هذه الدول ترى صعوبة في أن تتخلى عن الاستمرار في إزالة الغابات، لكونها من أهم أنشطتها الاقتصادية.

ومن مظاهر التلوث الذي يجتاح العالم التلوث الغذائي والدوائي. ويأتي التلوث الغذائي أساساً من المواد الحافظة وتفاعل الغذاء مع الأواني، أما التلوث الدوائي فسببه المواد المسكرة والمهلوسة التي ثبت أنها تؤدي إلى زيادة نسبة المتخلفين بين أبناء المدمنين عليها، وأما المضادات الحيوية فتسبب تشوهات خطيرة للأجنة، وإشكالات أخرى خطيرة تواجه الطب نتيجة الممارسات الخاطئة التي يقوم بها كثير ممن يستخدمون هذه المضادات بسبب تدني مستواهم الثقافي. وبسبب الضجيج الذي تعيش فيه المدن الكبرى في العالم كانت الإصابة بالأمراض المختلفة من ارتباك الهضم والإصابة بالعقم وغيرهما.

ويتوقع الخبراء إذا ظلت معدلات اختلال التوازن البيئي على ما هي عليه حالياً أن ترتفع درجة حرارة الأرض ما بين 1,5-41,5 درجة، مما سيؤدي إلى ذوبان الجليد وارتفاع سطح البحر، واستحالة زراعة بعض المواد الغذائية الأساسية مثل الأرز والقمح والبطاطس والذرة والدخن في كثير من أنحاء العالم.

وأدى هذا الواقع الذي يعايشه العالم إلى التنادي بضرورة ترسيخ مفهوم التربية البيئية في دوله جميعها، على ما بينها من تفاوت في حجم التلوث الذي تسببه والأضرار التي تتعرض لها من جراء ذلك.

ومن غايات هذه التربية البيئية إيجاد وعي لدى الإنسان بالآثار السلبية الناجمة عن تطبيق التقنيات المتطورة، ومده بالحقائق والمفهومات التي تنمي حسه البيئي، وتزيد في تفاعله الإيجابي مع مشكلات بيئته، وصولاً إلى العلاقة المثلى التي ينبغي أن تكون بين الإنسان والبيئة.

وإقرار مفهوم التربية البيئية ليصبح مقرراً دراسياً ليس كافياً لتحقيق هذه الغايات، وإنما يقتضي ذلك أن يسود المجتمع كله فهم متكامل لأبعاد هذا المفهوم، وتطبيق عملي له على أرض الواقع.

وهذا التكامل لا يتأتى إلا من خلال أخذ المجتمع

وفوك نفخ!

كله بهذا المفهوم وتطبيقه في جوانب حياته المختلفة، لأن من شأن ذلك إيجاد القدوة التي يتمثل خطاها النشء، والتي تدعم ما يطالعونه في المقرر الدراسي من مبادئ وقيم تتعلق بأساليب التعامل مع البيئة. وهذا يقتضي الاهتمام برفع مستوى الوعي البيئي لأفراد المجتمع باستخدام وسائل تأثير فعالة، لأن غياب مثل هذا الوعي تترتب عليه سلوكيات ضارة بالبيئة، وفي الوقت نفسه تهدر ما يبذل من جهد لتنمية الحس البيئي عند النشء في مؤسسات التعليم المختلفة، لأن وجود التناقض بين القول والعمل ينجم عنه اضطراب القيم والاستخفاف بالمبادئ.

ولعلنا نصادف كثيراً من هذا التناقض في حياتنا، فنجد - مثلاً - أن الطفل قد يتعلم قيم المحافظة على النظافة، ثم يرى من الأب أو الأم ما يناقض ما تعلمه، ويضر بالبيئة، ويتنافى مع الذوق السليم.

وإذا كانت وسائل الإعلام تشارك بدور كبير في تشكيل الحس البيئي لأفراد المجتمع؛ بما تقدمه من معلومات وحقائق ومفهومات عن البيئة، ينتج منها إشاعة المستوى الثقافي الذي يقتضيه التفاعل الإيجابي مع الحياة، فإنها قد تكون سبباً في إخفاق إرساء مفهوم التربية البيئية في المجتمع، إذا لم تتوخ الدقة في إعداد برامجها وأعمالها الدرامية، ولم تحسن صياغة خطابها الإعلامي. ويحدث كثيراً أن تتناقض الرسالة الإعلامية مع مقتضيات إرساء مفهوم التربية البيئية ووسائل تحقيق غاياته، فبات من المألوف أن تتضمن الأعمال الدرامية - التي يتعلق بها كثير من المشاهدين - مشاهد إسراف واضح في المأكل والمشرب، يتنافى مع القيم الإنسانية التي تتشدق بها هذه الأعمال.

ويزيد الإعلان من خلال وسائل الإعلام المختلفة في تعميق قيم الاستهلاك بما يتضمنه من مغريات فنية وحسية، تسعى من خلالها الشركات المتعددة الجنسيات - التي تسيطر على معظم وسائل الإعلام - إلى إيجاد أنماط استهلاكية ترفية جديدة، يهدر في تلبيتها كثير من موارد البيئة. ويغطي الإعلان في التلفازات الغربية نحو 20٪ إلى 40٪ من ساعات الإرسال، مما حدا بخبراء الاتصال إلى القول بأن التلفاز معبر واسع لنشر قيم المجتمع الاستهلاكي ونمطه، وهذا الاستنتاج يتناقض تماماً مع الرسالة التي يقتضي أن تقوم بها وسائل الإعلام في ترسيخ الحس البيئي وتنمية الفكر النقدي المتصل بقضايا البيئة.

وهذا التأثير الواضح لوسائل الإعلام في استشراء النهم الاستهلاكي لإنسان هذا القرن من أسباب تردد صناع القرار في اتخاذ التدابير اللازمة لترشيد الاستهلاك ومنع استنزاف موارد البيئة، فتوضح الإحصاءات أن ربع سكان العالم يستهلك 80٪ من الطاقة، وأن الفرد في الدول المتقدمة يستهلك 32 برميلاً من النفط سنوياً، بينما يستهلك الفرد في دول ما يسمى بالعالم الثالث نحو 3,5 برميل فقط، وينبعث 40٪ من ثاني أكسيد الكربون من سبع دول لا يمثل عدد سكانها أكثر من 11٪ من مجموع سكان العالم.

وتمثل العمارة بمكوناتها المادية وعناصرها الجمالية مؤثراً من المؤثرات البيئية المهمة في تشكيل وجدان الإنسان، لما توجده في داخله من إحساس بالتميز، عندما تأتي معبرة عن ثقافته وقيمه، وملبية لحاجاته إلى المأوى والاستقرار، ومتفاعلة مع بيئته التي تستمد منها مكوناتها. وذلك، أن لكل حضارة نمطها المعماري الذي يميزها من غيرها من الحضارات. ومع أن هناك تأثيرات متبادلة بين الحضارات في فن العمارة، إلا أن الحضارة تعمل على صوغ هذه التأثيرات الوافدة في إطار منظورها وقيمها، وحين تعجز عن ذلك، فإن هذا دليل ضعفها ووهنها، مما يؤدي إلى تراكم التأثيرات الوافدة حتى تكون لها الغلبة، فيبدو النمط المعماري لهذه الحضارة مسخاً، غريباً عن بيئته، وهذا ما يعكس بدوره ما يعانيه إنسان هذه الحضارة من اغتراب ناتج من الإحساس بالتضاؤل أمام الحضارات المؤثرة.

ولعل هذا ما نجده في تلك الأنماط المعمارية الغربية التي تغزو كثيراً من مدن الدول العربية، والتي تعبر عن استفحال داء التقليد الذي استشرى في مجتمعاتنا، نتيجة التقهقر الحضاري الذي نعيشه. ومن العجب أن يأتي استيراد مثل هذه الأنماط التي لا تناسب مجتمعاتنا بدعوى مواكبة التطور، من غير إدامة النظر في مدى ملاءمتها للبيئة من النواحي النفسية والجمالية والمناخية.

وما من شك في أن استمرار طغيان هذه الأنماط المعمارية الوافدة من بيئات تغاير بيئاتنا العربية، قيماً ومناخاً، يعد خطراً عظيماً على وجدان الأجيال الصاعدة التي تتفتح مداركها على هذا المسخ، فيغيب عنها النمط المعماري الإسلامي الأصيل بما يتضمنه من قيم إنسانية وجمالية تنبع من قيم الإسلام وتوجهاته؛ لأن كل منتج مادي يأتي متشرباً ثقافة منتجيه وقيمهم. وقد جاءت العمارة الإسلامية معبرة عن قيم المجتمع الإسلامي، التي تتمثل في نقوشها وزخارفها وتقسيماتها ومكوناتها الأخرى؛ ومن ثم، فإن استيراد الأنماط المعمارية من مجتمعات أخرى يعني تغييب هذه القيم، وفي الوقت نفسه يكون دليلاً على الغفلة وعدم وجود الوعي لطبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الإنسان وبيئته.

ويتميز مفهوم الإسلام للبيئة من غيره من المفهومات بأنه يمثل جزءاً أصيلاً من عقيدة المسلم، ومن ثم جاء شاملاً ووافياً، فقد حرم الإسلام أي أذى يلحقه الإنسان بالبيئة، وجعل إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وحدد أسس التفاعل الواجب بين الإنسان والبيئة، والقيم الأخلاقية التي تكفله، بما يضمن الاستخدام الواعي لموارد البيئة التي وهبها الله للإنسان، ومتعه بحرية التصرف فيها وفق ضوابط تحول دون الاستنزاف الجائر أو إساءة الاستغلال، أو التسلط عليها جشعاً وطمعاً، وتضمن حفظ التوازن البيئي وعدم الإفساد في الأرض، مع الاستفادة من ثرواتها واستغلالها استغلالاً رشيداً لا جور فيه. ويقتضي ذلك كله من الإنسان أن يتأمل ويتدبر في خلق الله، ويسعى إلى معرفة ما في هذا الكون من مخلوقات وما لها من خصائص وصفات، حتى يدرك أساليب التعامل معها، وحمايتها، وهذا ما قصد إليه التوجيه القرآني بدعوته إلى التدبر والتفكر في هذا الكون، وهناك كثير من الأحاديث الشريفة التي تحث على الرفق بالحيوان؛ فقد: دخلت امرأة النار في هرة حبستها؛ فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. كما تأمر الأحاديث بغرس الأشجار لا بقطعها، وتوجه إلى أنه: إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم من مقامه حتى يغرسها فليفعل.

والإنسان مطالب - كذلك - باستقراء تجارب الأمم السابقة ومعرفة أسباب هلاكها لاستلهام العظات والعبر من تاريخها وما آل إليه حالها، لكي لا يكرر فعلها، وليبعد من كل ما فيه هلاكه وهلاك الكائنات الحية التي تضمها بيئته. ومن فضائل التشريع الإلهي وتكريمه للإنسان أنه جعل قتل الإنسان في المرتبة التالية مباشرة لجريمة الشرك بالله، وعدّ من قتل إنساناً واحداً كمن قتل الناس جميعاً.

وهكذا يبدو تكامل المنظور الإسلامي للبيئة وشموليته، وهو ما يُعَدّ التربية البيئية المثالية التي من شأنها عدم الإخلال بسنن الكون والحياة، وتحقيق خير الإنسانية. والتزام الإنسان قيم هذا المنظور وضوابطه يكفل له بيئة نقية نظيفة دائمة العطاء، فلا يكون في وضع من قيل فيه: «يداك أوكتا وفوك نفخ».

إقرار مفهوم التربية البيئية ليصبح مقرراً دراسياً ليس كافياً لتحقيق غايات هذا المفهوم، وإنما يقتضي ذلك أن يسود المجتمع فهم متكامل لأبعاد هذا المفهوم، وتطبيق عملي له على أرض الواقع

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد 251 ـ السنة 21 ـ جمادى الأولى 1418هـ ـ سبتمبر 1997م



البراجيل .. حل معماري متصالح مع البيئة الخليجية

إذا افتقدت العمارة أو البناية صفة التناغم مع المحيط العام والاندماج فيه فإنها تصبح عنصر تشويه، على الرغم مما قد يبدو عليها من جمال متكلف، وذلك، ما حدث في مدن عديدة بسبب اللهث وراء ما يسمى بـ «النموذج العالمي»، الذي يسلب الخصوصية ويفرض حلولاً معمارية غريبة عن البيئة وقيم المجتمع.

كامل يوسف حسين ناقش جوانب من عبقرية العمارة الإسلامية وتعبيرها عن التفاعل بين الإنسان وبيئته، وذلك من خلال عرضه قصة «ملاقف الهواء»، وهو الحل المعماري المعروف في منطقة الخليج بـ «البراجيل».

طالع ص 84

استجلاء كنه الإبداع



على الرغم من أن ما يعيش فيه العالم من تطور في جميع مناحي الحياة يُعد من ثمرات الإبداع، وكذلك ما يتوصل إليه العقل البشري من أفكار تفتح آفاقًا جديدة أمام الإنسان، إلا أن كنه الإبداع تحيطه علامات استفهام لم يجل الإنسان غموضها حتى الآن، وما يزال العلماء بين أخذ ورد وبحث واستقصاء وتجريب للإجابة عن أسئلة مثل: هل الإبداع فطري أم مكتسب؟، وما سر ارتباط بعض الاختراعات والابتكارات المبدعة بالمصادفة؟

د. صلاح يحياوي وازن بين الطروحات المؤيدة والمعارضة.

طالع ص 54

التلفاز إلى متحف التاريخ



من أكثر ما يميز هذا العصر، الذي يتصف بتطوره «التسارع بمتوالية هندسية»، أنه كلما انكمش العالم واختزلت مسافات بفعل النمو المطرد لوسائل الاتصالات ووسائل المواصلات اتسعت النافذة التي يطل منها الإنسان على العالم، وتجسمت الأحلام ،وقصص الخيال العلمي في ابتكارات واختراعات حديثة تدفع سابقاتها ـ تباعًا ـ إلى متحف التاريخ .

عدنان عضيمة يعرض جوانب من التحولات المتوقعة في صناعة التلفاز مع دخول تقنية الاستظهار الليزري.

طالع ص 15

أدب وفكر

تربية وتعليم

إدارة

علوم واجتماع

تعريب وترجمة

تراث وتاريخ

من كتاب العدد

د. علي أبو الفتوح إبراهيم الشيخ

- من مواليد المنوفية، مصر 1937م.
- حاصل على الدكتوراه في اللغة الروسية، كلية الآداب، جامعة موسكو 1971م.
- تدرج في سلك التعليم الجامعي حتى أصبح عميدًا لكلية الألسن، جامعة عين شمس، ورئيسًا لقسم اللغات السامية، ثم نائبًا لرئيس جامعة عين شمس لشؤون التعليم والطلاب.
- يعمل أستاذًا للغة الروسية بكلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود بالرياض.
- من مؤلفاته: الخواص النحوية والتراكيب اللغوية المؤلفة من الصفة والاسم في اللغة الروسية الحديثة، دلالة التراكيب اللغوية في اللغة الروسية المعاصرة، العلاقات الدلالية بين أجزاء التراكيب اللغوية عن الروسية والعربية، العلاقات النحوية بين أجزاء التراكيب في اللغة الروسية الحديثة. وترجم إلى الروسية كتاب «تفسير الفقه»، وكتاب «مجلس الشورى: النظام الأساسي للحكم - نظام مجلس الوزراء - نظام مجلس الشورى والأوامر الملحقة به - نظام المناطق».

د. أحمد عبدالرحمن أحمد

- من مواليد السودان
- حاصل على الدكتوراه في الاقتصاد والإدارة، كلية وارطون، جامعة بنسلفانيا.
- عمل بالتدريس في الجامعات الأمريكية والعربية، وكان رئيسًا لقسم إدارة الأعمال، جامعة الخرطوم، الذي تحول في عهده إلى كلية للإدارة، وعمل عضوًا بمجلس إدارة بنك الخرطوم، ومستشارًا بالهيئة العامة للاستثمار الكويتية.
- يعمل حاليًا أستاذًا مشاركًا في قسم إدارة الأعمال، كلية العلوم الإدارية، جامعة الملك سعود.
- له أبحاث منشورة في الدوريات العلمية، ورأس تحرير مجلة السودان للعلوم الاقتصادية والاجتماعية، وهو حاليًا عضو ضمن مستشاري تحرير إحدى مجلات جامعة لندن (MBR).

د. عبدالخالق بن مساعد الزهراني

- من مواليد المملكة العربية السعودية 1382هـ.
- تخرج في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وحصل على الماجستير عام 1409هـ، وكان عنوان الرسالة «الاستطراد في الشعر الجاهلي بين الأصول الفنية والدواعي النفسية»، ونال الدكتوراه عام 1413هـ برسالة عنوانها «نزول الغيث لابن الدماميني - دراسة وتحقيق».
- يعمل أستاذًا مساعدًا بقسم الأدب والبلاغة بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- له مقالات وقصائد منشورة في بعض الصحف المحلية، ولديه مجموعة قصصية تحت الطبع، إلى جانب بعض البحوث العلمية والدراسات النقدية.

حسني سيد لبيب

- من مواليد القاهرة، مصر 1942م.
- حاصل على بكالوريوس الهندسة، جامعة عين شمس.
- عمل مهندس تركيبات كهربائية بمجمع الحديد والصلب (1970-1974م). مهندس كهرباء تشغيل بشركة الحديد والصلب (1974-1985م)، مدير إدارة الصيانة الكهربائية (1985-1994م)، وهو حاليًا مدير عام صيانة بالشركة نفسها.
- عضو اتحاد الكتاب، ورابطة الأدب الحديث، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- له أربع مجموعات قصصية: حياة جديدة (1981م)، أحدثكم عن نفسي (1985م)، طائرات ورقية (1992م)، كلمات حب في الدفتر (1993م)، وله دراسة أدبية «باقة حب» بالاشتراك مع د. حسين علي محمد (1977 م)، وفي الترجمة له مجموعتان قصصيتان لوليم ساروبان: سبعون ألف آشوري (1994م)، ابن عمي ديكران (1994م)، وشارك في عدد من الكتب، وله مقالات ودراسات منشورة في الدوريات العربية المختلفة، وقد حصل على عدد من شهادات التقدير والجوائز من جهات متعددة.



إنقاذ صبي احتجز في مصفاة بركة سباحة

قضى ولد ما يزيد على عشر دقائق محتجزًا تحت الماء عندما امتصته (شفطته) مصفاة (فلتر) قناة مجرى إحدى البرك، وقد تناوب حارسا إنقاذ لتمكين الصبي أليستار نورويل، البالغ من العمر 9 سنوات، من التنفس الصناعي، بعدما بذلا جهودًا مستميتة، وأخفقا في تحريره.

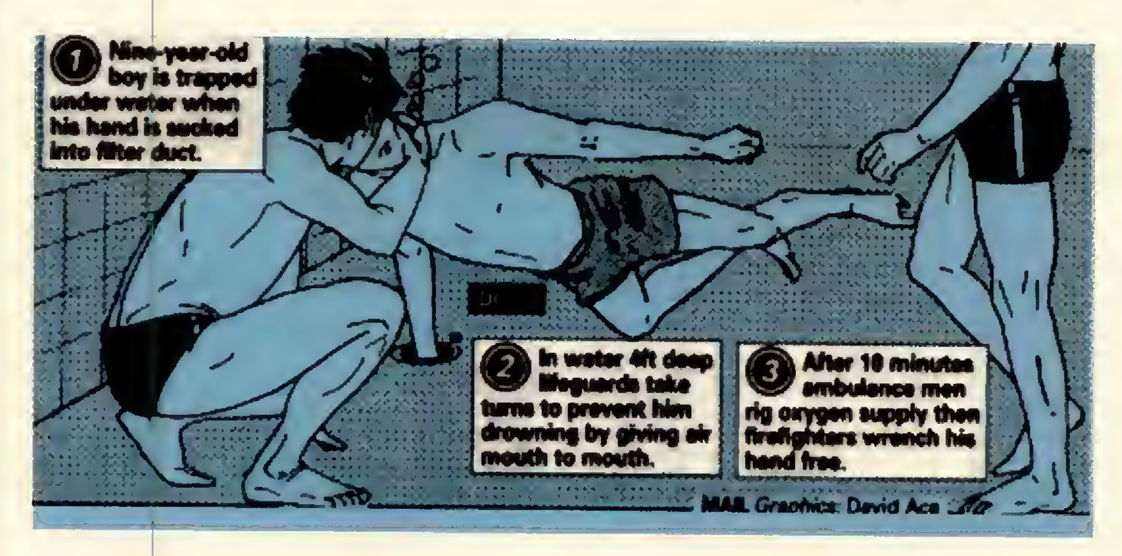
على إثر ذلك استدعيت خدمات الإسعاف (الطوارئ) وفي الوقت الذي كانت والدته تنظر إليه بهلع، وصلت سيارة إسعاف، وعمل الفريق الطبي بها على تزويد الصبي بالأكسجين. ومن ثم غاص رجال الدفاع المدني في البركة وحرروا ذراعه، وقد أسعف أليستاربالقرب من البركة ثم نقل إلى المستشفى، وتابع المحققون تحرياتهم في الحدث في المركز الترفيهي (توماس كوك) في لونغثورب بيتريورو. أما البركة التي تخضع لمعاينة بانتظام فأغلقت إلى حين استكمال التحقيقات من قبل خبراء الصحة البيئية ورجال الشرطة ومسؤولي مركز توماس كوك.

كان أليستارمن بين مجموعة من الصغار يستخدمون بركة الأطفال في ذلك المركز الترفيهي. وقبل ذلك الحدث بثوان معدودة اكتشف سباح آخر أن جهاز إعادة تدوير المياه وتصفيتها انعتق بالمصبّعة (حاجز من قضبان متماثلة) التي تغطي قناة المجرى، إلى أحد جوانب البركة، وقبل أن يتمكن مسؤولو المركز من تحذير الأطفال لإخلاء البركة جُرف أليستار إلى المجرى المفتوح، الذي يبلغ حجمه مصرف منزل خارجي.

إن انعتاق ذلك الجهاز كان قويًا لدرجة أنه احتجز ذراع الصبي، ولحسن حظه تمكن حرس الإنقاذ من اكتشاف ما حدث فورًا.

يقول نيجل مارتن مدير الدفاع المدني في كمبردجشير - «ديلي ميل DAILY MAIL، إنه عندما نزل رجال الدفاع المدني واجهوا موقف حياة أو موت، ولم يكن أمامهم إلا بضع ثوان لاتخاذ قرارهم، لأن الصبي كان محتجزًا لمدة عشر دقائق قبل وصولهم. وكان الخيار لديهم إما إلحاق ضرر ما به أو تركه يموت، ولذلك انتزعوه انتزاعًا بواسطة ذراعه.

وجاء هذا الحدث بعد أربعة أيام فقط من رواية أحد الصبيان عن كيفية إنقاذ صديق له بإجراء (تنفس صناعي) له تحت الماء لمدة عشر دقائق، وتفاصيل القصة المماثلة لحادثة إليستار هي أن روس ديفس 18 عامًا كان يقود سيارته وسقط بها في حفرة ري بالقرب من كولشستر فاحتجز ليام كوفي أحد ركاب السيارة في الحفرة فعاد روس وغاص بالماء ليجري تنفسًا اصطناعيًا لذلك الراكب البالغ من العمر 16سنة إلى أن وصل رجال الإسعاف!!





التضحية بالأطفال على مذبح الملاكمة.. لتسلية الكبار!!

بحركات متوازنة وأجسام تتصبب عرقًا يقوم الأولاد بأداء رقصة شعائرية بتركيز مدروس. تُمثّل أعمالهم المسرحية الرشيقة هذه في حلبة، ويحيط بهم نحو أربعة آلاف مشاهد يهيمن عليهم الصمت والافتتان بأعمالهم! إلا أن الجذل والانتشاء يُفسح بعد لأي الطريقَ إلى الرعب والهلع، إذ يندفع الأولاد بأقصى قوة بعضهم نحو بعض بعنفوان الوحوش.

هذا هو العالم الغامض للملاكمة في بورما، ويؤدي هذه الملاكمة أمام جماهير صاخبة أولاد قد لا تتجاوز أعمارهم سن السابعة فقط؟!

تؤمن الغابات البورمية الكثيفة ملاذًا محجوبًا عن الأعين ملائمًا لوسائل تسلية تثير التقزز والاشمئزاز، وهي محظورة في أي مكان آخر ما عدا بورما (على حد قول وورلدنيو WORLD NEW)، ولكن بالنسبة للبورميين فهي رياضة ملاكمة في أنقى صورها، وهي شكل من أشكال الفنون العسكرية تحمل جميع إغراءات القتال المتلاحم، إنه، من غير ريب أحد أكثر المشاهد عنفًا. ومنذ نهاية العهد الاستعماري لبورما عادت هذه الرياضة لتحتل مكانةً كبيرة في قلوب البورميين.

عندما استضافت مدينة تونغو مهرجانها السنوي للملاكمة الذي يستمر ثلاثة أيام للاحتفالات باليوم الوطني لبورما، تدفق العمال والمزارعون زرافات ووحدانا للاستمتاع بمنظر الصغار مثل تاين و دوكيان وكلاهما في سن العاشرة، وهما يتلاكمان، ويركل الواحد منهما الآخر ويضربه بشدة حتى يستسلم أحدهما. يتصارع الولدان دون أدنى حماية لمدة ثلاث جولات غير محددة الزمن، ولا تتوقف الجولة إلا إذا لحق أحدَهما ضررٌ أو أصابه نزف دم، وأصبح تعبًا لدرجة لا يستطيع معها متابعة الصراع.. والقوانين لا تحظر إلا الضرب بين الرجلين والعض أو شد الشعر.

يقول مرافقو المتلاكمين إن معظم الأولاد يقومون بهذا العمل لأنه مصدر سرور وابتهاج لهم، إلا أنه من الصعب تصديق ذلك عندما تُحدث اللكمات جروحًا غائرة في وجوههم، وكل لكمة ترسم علامة اشمئزاز على وجوههم، إلا أن الأقرب إلى الحقيقة هو أنه في بلد يبلغ معدل الأجر السنوي فيه 900 كايات KYAT أي ما يعادل 90 جنيها استرلينيا. فإن مبلغ الألف كايات، أي ما يعادل 100جنيه، الذي يحصل عليه الفائز بالبطولة هو الهدف الذي لا يقاوم.

أما المشاهدون في الحلبة فيراهنون على الفائز فتوضع الأوراق النقدية في أفواه المتلاكمين لتشجيع المراهنات ولتذكير الأولاد أن مكافأة الفوز هي المال. إن سين باي بِن، مثل معظم الصغار، قد تدرب تحت إشراف والده وبدأ الملاكمة وهو في سن الخامسة واشترك في ثماني منافسات. وفي أحد الاحتفالات البوذية في شوي بايي تار إحدى ضواحي العاصمة يانغون - رانغون سابقًا - بدأ سين الملاكمة ضد أونغ مان تونغ البالغ من العمر 9 سنوات الذي قاده والده إلى الحلبة ولاكم في اثنى عشر احتفالا، وكان تونغ قد تلقى التدريب وهو في سن السابعة، يقول هذا الصبي إنه يريد أن يصبح طبيبًا ولكن والده منظم مباريات.

وبعد ثلاث جولات طويلة وحامية من الضرب والركل أطاح أونغ مان تونغ ب سين باي بن وأفقده وعيه.

يعتقد المراقبون أنه لا يمكن إيجاد تبرير لهذا الحيف الذي يلحق بالأولاد الصغار من أجل إرواء تعطش الكبار للدماء وبذلك يجب أن ينظر إلى هذا العمل على أنه عار.



الخطر مهنتي



كارين ويب متخصصة بعلم الأحياء البحري، وكل عملها هو تنظيف ما في داخل الصهاريج العملاقة لتربية الكائنات البحرية الملأى بسمك القرش. والفتاة البالغة من العمر 21 سنة تغوص إلى أحواض تربية الأسماك والحيوانات البحرية الغريبة الألوان والأشكال يوميًا من أجل المحافظة على نظافتها وأناقتها.

إن أحواض الأسماك الجديدة في لندن من الضخامة لدرجة أنه لا يمكن التأكد من نظافتها بالوسائل الاعتيادية، ولابد من نزول شخص يجوب أرجاءها ويتأكد من نظافتها بالطريقة الصحيحة السليمة.

تقول كارين إن محاولتها الأولى في الدخول إلى المياه الممتلئة بسمك القرش كانت مجهدة لأعصابها، ولكنها لم تحتج إلى وقت طويل لتتعود التعامل مع أسماك القرش، ولتتعود تلك الأسماك التعامل معها.

إلا أنها ـ أي تلك الأسماك ـ فضولية وهي من النوع الذي لم يعرف عنه قط مهاجمة البشر. وتقول كارين التي تعيش في أوربنغتون ب كِنْتْ: إن ذلك العمل بالنسبة لها شيء رائع، وإنها تحب الغوص وتتمتع بالحياة البحرية وبهذه الطريقة تقضي نحوًا من ساعة داخل الصهريج.

لقد تقدمت كارين التي تحمل شهادة جامعية في الأحياء البحرية لهذا العمل بعدما اطلعت على إعلان عنه في مجلة نيوسينتست، وتعلق على ذلك بقولها:

في الواقع كنت أريد العمل في مجال الأحياء البحرية ولم يكن بوسعي أن أطلب أفضل من ذلك العمل في بداية حياتي المهنية.

يقع مجمع الأحواض، ذلك الذي استغرق بناؤه سنتين ونصف السنة، في حي كاونتي هول القديم بالقرب من نهر التميز (التايمز) وتبلغ مساحته 18000 قدم2، وبوسع زائريه دراسة بيئة مئات الأنواع من الأسماك المختلفة بالمشاهدة واللمس والرائحة.

ويوجد صهريجان تحت مستوى المبنى محاطان بدعامات من الإكليرك الشديد الصلابة لإتاحة الفرصة لإعطاء منظر أفضل، ويحتوي الموقع على ثلاثين ألف عينة من الحيوانات المائية تمثل ثلاثمئة وخمسين نوعًا من الأسماك واللافقاريات والحياة النباتية.

كما يوجد أيضًا معرض للغابات الممطرة يتمثل في سمك الضاري.

مدير السجون يحتج على عدم إنسانية السجن

قدم ديفيد ويلسون أعلى مسؤول في إدارة السجون استقالته احتجاجًا على الحالة المزرية التي تسود السجون المكتظة بالنزلاء.

وشجب ديفيد سياسة العدالة الجنائية لأعمال السجون القصيرة الأمد التي يتّبعها وزير الداخلية، وحذّر من أن بريطانيا تنفق بلايين الدولارات دون طائل على مشروعات اجتماعية فاشلة.

وأعلن الدكتور ويلسون البالغ من العمر 39 عامًا بأنه يدرك أنه قام بعمل لا مجال للدفاع عنه وأن ضميره لم يعد يسمح بذلك.

وقد أدرج قائمة بالأسباب التي أدت به إلى الاستقالة من مثل السباق لحجز أعداد متنامية من السجناء في ظروف تزداد سوءًا، واستيراد وسائل لحل مشكلات السجناء لم يثبت جدواها من قبل معسكرات التدريب، وتخفيض نفقات إصلاحيات الأحداث وبرامج العلاج والتعليم.

ويذكر أنه لا يوجد أي سبب قانوني يسوّغ احتجازنا ستين ألف شخص، أي بما يزيد بمقدار

الثلث عمّن كنا نحتجزهم قبل أربع سنوات، مع أنهم ليسوا من أولئك الذين ينتهكون القانون بعنف. فالأمر لا يتعدى أن يكون تهمًا غير مؤكدة أو ارتكابًا لبعض الهفوات البسيطة، أو حجزًا احتياطيًا. وفي آخر الأمر إما أن تصدر بحقهم أحكامٌ لا تتضمن حجزًا قضائيًا، أو أن تثبت براءتهم. والواقع أن سبب وجودهم في السجن هو استجابة لأرباب السياسة الذين يدافعون عن «القانون والنظام» موجدين جوًا من الرهبة والخوف.

يقول ديفيد إن الحلقة المفقودة هي النقاش الحكيم حول الجريمة والعقاب، ويضيف أنهم يلجؤون إلى الاستجابة لصغائر الأمور التي لا تسمن ولا تغني من جوع.



الطيران في خطر بسبب الأشعة الكونية

يقول علماء يعملون في شركة إيركسون ساب أفيونيكس السويدية التي تعمل في مجال الفضاء: إن الأشعة الكونية قد تشل الطائرات التي تعتمد بشدة على أجهزة الحاسوب (الكمبيوتر) حيث إن هذه الحواسيب غير محصنة ضد الأشعة الكونية التي تولد تيارًا متشتتًا من رقائق الكمبيوتر الصغيرة، وتتنامى احتمالات حدوث مثل هذه المأساة مع ازدياد أعداد الأجهزة الدقيقة الموجودة في الطائرة التي تعمل بتيار بسيط.

وقد قام مجموعة من الباحثين في شركة «إيركسون سابا أفيونيكس» بفحص تأثير الأشعة الكونية في الأجزاء الألكترونية التي تحوي الذاكرة، واكتشف العلماء من خلال بحوثهم أن الأشعة الكونية لديها ما يكفي من الطاقة لتغيير الشحنات الصغيرة التي تمثل «الصفر» و«الواحد» في النظام العددي الثنائي الذي تعمل به الذاكرة، حيث إن أشعةً تتجاوز طاقتها خمسة ملايين إلكترون فولت، يكون لها القدرة على تغيير «الصفر» إلى «واحد» و«الواحد» إلى «الصفر».

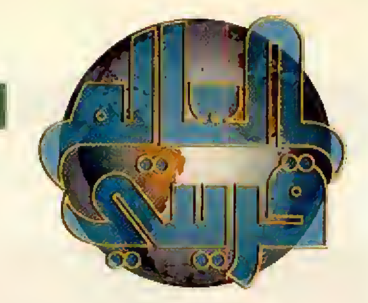
وقد لوحظ تأثير الأشعة الكونية في الأجزاء الإلكترونية في العام الماضي أثناء مهمة «إيروميرا» عندما تم اختبار جهازي كمبيوتر IBM من النوع (النقال)، حيث تم اختبارهما في الفضاء أثناء عملهما لمدة تزيد على خمسمئة وخمسين ساعة، وقد أحدثت الأشعة الكونية أخطاء بالذاكرة بمعدل مرة كل تسع ساعات، إلا أن البرامج طورت بحيث تراقب الذاكرة وتتأكد بأنه لا يوجد معطيات مفقودة عند تحطم الكمبيوتر. وقد جاء تأكيد وجود المشكلة عندما قامت شركة «أريكسون ساب أفيونيكس» باختبار جهاز بذاكرة أربعة ملايين حرف، وهذا الجهاز يماثل أنظمة التحكم في الطائرة، ورُكِّب هذا الجهاز لمدة خمسة أشهر في السنة الماضية، قامت الطائرة خلالها بأكثر من ألف ساعة طيران بارتفاع أكثر من 10كم، وأدى ذلك إلى تغيير المعلومات في الذاكرة بمعدل معلومة كل ساعتين.

تقول المهندسة «كارين جونسون» الباحثة في الشركة إن كون أجهزة الطيران يكمل بعضها بعضًا، فإن أي خطأ بسيط قد يؤدي إلى سلسلة من المشكلات في الأجهزة، وتضيف بأن ضربة واحدة قد تنتج ضربات عديدة تشابه السقوط المتتابع لأحجار «الدومينو».



ومن المؤسف، أنَّ تحصين الطائرات ضد الأشعة الكونية يعد ضربًا من المستحيل، وتعلق «كارين» على ذلك بقولها إن الأشعة الكونية قادرة على اختراق جميع الأجسام حتى الطبقات السميكة من الإسمنت، وتضيف بأن أنظمة الحماية التي توفر للأجهزة الألكترونية يجب أن تمنع الأشعة الكونية من إحداث كارثة على الرغم من كونها عالية التكاليف.

تقول كاترين بأن الطائرتين: بوينغ 777 و«ساب» هما الطائرتان الوحيدتان اللتان تحويان برامج تعمل على فحص الأخطاء المتولدة من الأشعة الكونية، وتضيف بأن سلطة الطيران المدني البريطانية على علم باحتمالات هذه الأخطاء.



عندما يكون الألم نعمة وليس نقمة

عندما جميع الآباء والأمهات يتمنون لأطفالهم حياة بدون ألم إلا سيمون وانجيلا جاض، من ساوث نورودو - جنوبي لندن. فهذان الوالدان يدعوان الله أن يتألم نجلاهما الطفلة جودي (3 سنوات) وأخوها جوناثان (6 سنوات)، وأن يصرخا من فرط الألم. لا شك أنها أمنية قد تبدو مستغربة: أن يربط أبوان سعادتهما بتعاسة فلذتي كبدهما، ولكن عندما تتوضح القصة يبدو هذا التعليل مقبولاً.

يسيطر على عائلة جاض كابوس مزعج، وربما لا نهاية له؛ فالطفلان جودي وجوناثان لا يعرفان الألم، ولا يشعران به، وهما ضحيتان لخلل مورّثي جيني، ويعاني من هذه الحالة التي تسلب المصابين به الوسيلة الرئيسة للإحساس بالألم، نحو مئة في العالم، وهي حالة نادرة

ولا علاج لها حتى الآن.

وما يقلق عائلة جاض أنه من دون إحساس طفليهما بالألم. فإن حوادث بسيطة قد تصبح مميتة، فالصغيران لا يعرفان أن تسلقهما السلالم سيترتب عليه ضرر كبير لأنهما لن يشعرا بالألم في حال سقوطهما.

كما أنهما لا يعرفان النأيَ بوجهيهما عن النار والأجسام المشعة والمتوهجة، ولا يعرفان رد الفعل الفوري (الارتكاسي) عندما يعض أحدهما لسانه، إذ لا يوجد إحساس باللسعة المفاجئة، ولذا فقد يستمران في عض لسانيهما.. ولهذه الأسباب مجتمعة تستمر عظامهما في التكسر، وجلودهما في التقرح، وألسنتهما في النزف.

لاحظ الأبوان هذه الحالة لأول مرة عندما أعطيت حقنة للطفل جوناثان ولم تبد عليه علامات الألم، ولم يبك كالأطفال الآخرين.

قام طبيب مختص بالأطفال بتشخيص حالة حيوانات، بعد إخضاعها لفحوصات مكثفة «ولسعات نحل اصطناعية وجلسات تحفيز كهربائية، ونخزات عيدان مستدقة الطرف لتقويم ردود الفعل»، أبلغ الدكتور كارلوس دو سوزاء من مستشفى سانت جورج في لندن، والدي الطفل بأن أطراف ابنهما تعمل كالمعتاد وأن هناك قصوراً في مراكز استقبال الألم التي تبث التحذيرات للدماغ. وأبلغهما أن يراقبا كل حركات الطفل وسكناته.

على خلاف كل الآباء والأمهات ليس بوسع أسرة جاض أن تعتمد على بكاء طفليهما لتحذيرهما من الأخطار، فالصمت أو الضحك هو الشيء المرجع عندما يواجهان الأخطار. حسب تقرير أوردته صحيفة ذي ميل (THE MAIL) البريطانية ، قال جوناثان لوالده ذات مرة: إنه يشعر برطوبة في قدميه، وقد أصيب الوالد بالهلع عندما اكتشف أن أصابع قدمي الطفل قد أصيبت بجرح بليغ وأن حذاءه يطفح بالدم وبالرغم من ذلك لا يشعر الطفل بأي ألم.

لقد مرت سنتان ونصف السنة قبل تشخيص حالة جوناثان، وخلال تلك المدة عانى من كسور في عظامه فاتُّهم والداه بضربه. أما الآن فإن هذا الطفل الذي يتسم بالمرح الصاخب تعلو ساعديه ويديه آثار ندوب الجروح التي أصابت بعض أجزاء جسمه. لقد كسر ساعداه ثلاث مرات وأعيد تثبيتهما. والشيء الذي يبعث على الأسى أنه يرتدي مساكًا لدعم كاحل قدمه (رسغ قدمه) الذي تضرر بشكل مفزع لأنه استمر في المشي وكاحله مكسور دون أن يعرج كبقية الأطفال في مثل حالته.

لقد كان جوناثان يضع ضغطًا كبيرًا على العظام المكسورة حيث بدأت تتفسخ بعضها عن بعض ويخشى الأطباء من ضرورة إجراء عملية بتر.

أما جودي، فتقضم لسانها وشفتيها وتعاني أيضًا من ندوب أحدثتها هي بنفسها.

يدرك سيمون 33 سنة وأنجيلا 27 سنة والدا الطفلين النقد الموجه لهما بالمخاطرة بصحة إنجاب مزيد من الأطفال. يقول سيمون: إن الناس يتساءلون عما إذا كان ينبغي لنا إنجاب المزيد من الأطفال، ونحن ندرك مدى المجازفة في ذلك.



لقد التحق جوناثان بالمدرسة إلا أنه غير مسموح له باللعب في باحة المدرسة مثل بقية الأطفال، فكاحله المصاب لا يمكنه من ركل الكرة، أو ركوب الدراجة. كما أن طاقته الفياضة وافتقاره للخوف يجعلانه يرتطم بالأشياء أو يسقط أرضًا، دون أن يلقي بالاً لحماية نفسه.

يقول والدا جودي وجوناثان إنهما مقتنعان بأن لا علاج لحالة طفليهما، ولذلك فإنهما قد وطَّنا نفسيهما على التعامل مع هذه الحالة الغريبة. وهما يريان أنه من الصعوبة أن تصف ما هية الألم لمن لا يشعر بالألم. وبمرور السنوات تعلمت أسرة جاض من تجاربها، فقد أخذ الوالدان يمسحان الغرف بحثًا عن الأركان الحادة والدمى الصلبة، فعليهما أن يعملا لمدة أربع وعشرين ساعة مما لا يتحمله إلا القليل من الناس. ولقد ترك سيمون (الأب)، الذي كان يعمل مديراً لقسم محاسبة، ترك عمله وتفرغ لمساعدة زوجته الشابة للتغلب على المسؤوليات الضخمة المترتبة على حالة الطفلين. يقول سيمون وهو يراقب طفليه يلعبان في حديقة محلية. إنهما طبيعيان في كل شيء ما عدا افتقادهما للإحساس بالألم، إنهما يضحكان إذا ما داعبتهما ويستجيبان لأقل لمسة ولكن ليس للألم. ويضيف ليس بوسعه أن يلفهما بالقطن وإلا فإنهما لن يتعلما كيفية رعاية نفسيهما.

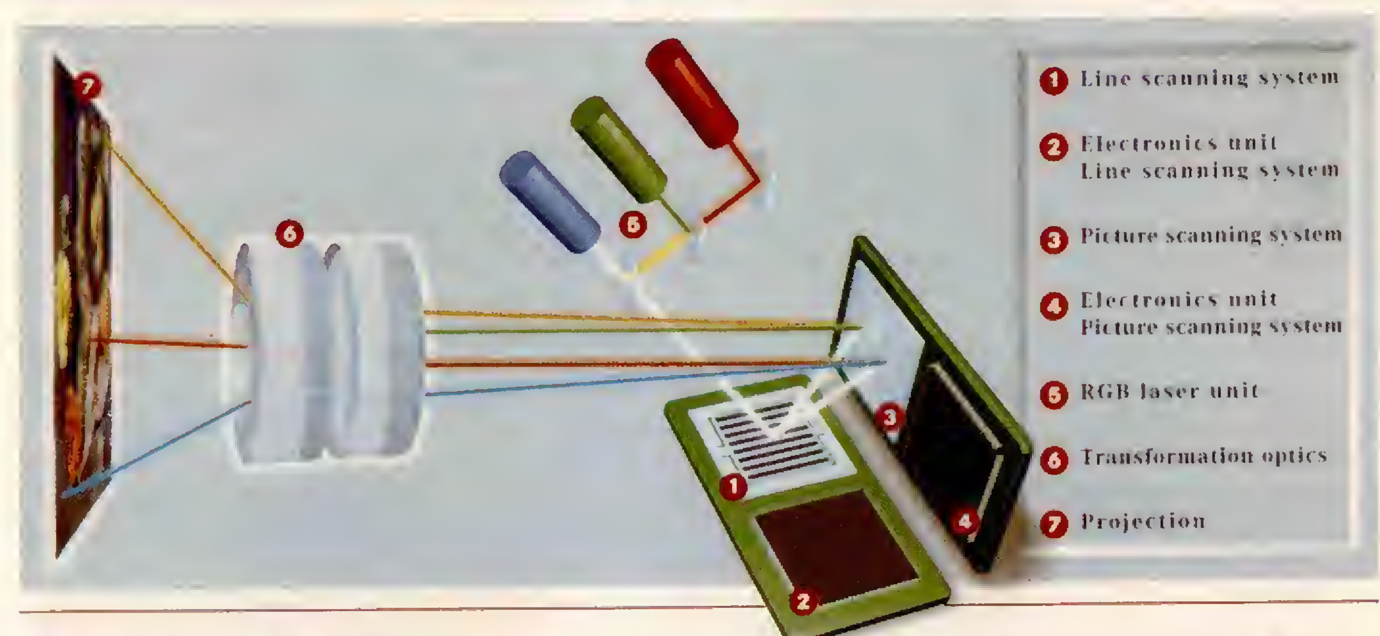
هناك أمر آخر يقلق والدي جوناثان وجودي، وهو أن طفلهما الأكبر دانيل (8 سنوات) لم تظهر عليه علامات الحالة الغريبة هذه، كما أنهما يتوجسان خيفة أن تصاب طفلتهما الصغرى (8أشهر) وينتظران في فزع كيف سيكون رد فعل الصغيرة مع آلام السنين.



علوم

الشاشة الليزرية تنقل السينما إلى بيتك

إعداد: عدنان عضيمة



مخطط الاستظهار الليزري يبدو فيه كيف أن جهازًا صغيرًا يشبه الآلة الحاسبة سيقوم مقام التلفاز في استقبال الصور التلفزية وإسقاطها بأشعة الليزر على حائط الغرفة بمواصفات ممتازة واتساع هائل

تخيّل أن يصبح تلفازك المنزلي على شكل آلة حاسبة، أو دفتر صغير تفتح دفتيه في مواجهة الحائط لتسقط فوقه الصورة الليزرية المجسّمة للأقنية التلفزية التي تختارها بوضوح لم يسبق الحصول عليه بأي وسيلة من وسائل الاستظهار الأخرى، حتى يصبح الحائط وكأنه شاشة سينيمائية كاملة. وإذا كنت تعتقد أن هذا التصوّر لا يعدو أن يكون ضربًا من الخيال، فإن الخبراء يؤكدون بأن تحقيقه أصبح وشيكًا، وبأن الوقت الذي سينظر فيه إلى أجهزة التلفاز الحالية وكأنها مجرد ذكرى لتقانة قديمة قد أتى؟

يرى الخبراء أن تقنية «الاستظهار الليزري» Laser Display Technology للصور التلفازية (LDT)، والتي كانت قبل وقت قصير مجرّد حلم، أوشكت الآن على دخول منازلنا لتحتل مكان جهاز التلفاز التقليدي.

ولقد أثبتت إحصائية أجريت على زوار المعرض العالمي للأجهزة الإلكترونية الذي نظم في برلين عام 1995م أن 60٪ من أصل نصف مليون زائر أمّوا المعرض، كان اهتمامهم منصبًا على التطور الطارئ في حقل (تكنولوجيا) التلفاز، واتّضح أن معظمهم كان يقبل على شراء الشاشات الأكبر.

ووفقًا لمقولة قديمة يمكن اعتبار التلفاز جهازًا مخصصًا لرسم الألوف من الكلمات؛ وهي مقولة صحيحة تمامًا نظرًا لأن الخبراء قدّروا بأن نحو 85٪ من حصيلة المعلومات التي نتلقاها تأتي على شكل صور. وهذه الحقيقة الحيوية (البيولوجية) تحوز على الاهتمام المتزايد في وسائط الإعلام الحديثة. يضاف إلى ذلك أن التلفاز لم يعدْ مجرد جهاز لنقل الصور، بل ازدادت استعمالاته واستخداماته تشعّبًا، مثله في ذلك



كلاوس بومهارت أحد رواد تقانة الاستظهار الليزري في ألمانيا

تعود تقنية رسم الصور بأشعة الليزر وإسقاطها المباشر على السطوح إلى بداية عقد الثمانينيات. واليوم يجري تطوير هذه التقنية بحيث أمكن التحكم بإسقاط الصور التلفزية المبثوثة من المحطات على سطح واسع كحائط الغرفة مثلاً بعد تحويلها إلى حزمات مندمجة من الأشعة الليزرية بالاستعانة بوحدة المعالجة الإلكترونية المصغرة فيما أصبح يعرف بتقانة الاستظهار الليزري laser diaplay technology. وتبدو في هذه الصورة التي التقطت عام 1984م لوحة ليزرية تحاكي منحوتة جدارية منقوشة على «جبل الحجر» Stone Mountain في ولاية جيوجيا لأبطال وطنيين في أمريكا هم: لي وجاكسون وديفيس

مثل الحاسوب الذي فتح عصر الوسائط الإعلامية المتعددة multi-media، واستلزم تطورهما معًا تطوير وسائل الاستظهار التي استفادت من تطور تقانات الإلكترونيات المصغّرة.

ونظرًا لهذه الأهمية الكبيرة التي تنطوي عليها تقانة الاستظهار، فقد أصبحت النوافذ الصغيرة التي نستعملها اليوم للإطلال على عالم المعلومات (الشاشات العادية) أضيق من حاجات الإنسان، مما اقتضى السعي إلى ابتكار شاشات بحجم شاشات السينما لتوسيع هذه النافذة، ومن المتوقع أن تغزو هذه الشاشات قريبًا بيوتنا جميعًا.

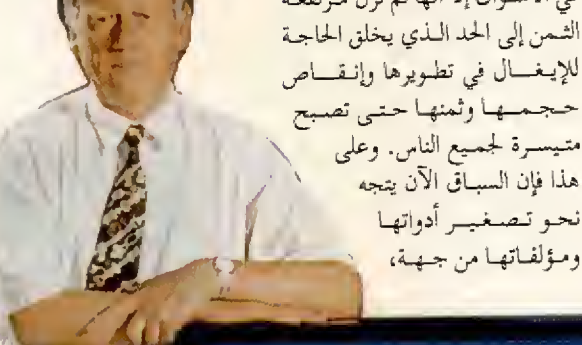
كل هذا أصبح ممكنًا من خلال التطور الذي طرأ في ألمانيا وأمريكا واليابان في حقل تجسيد الصور المستظهرة، وتوسيع حقول إسقاطها نتيجةً للبحوث المتواصلة التي تكفلت بها مجموعة شركات ومراكز علمية. وفيما تعتمد أجهزة التلفاز العادية على استظهار الضوء العادي على الشاشة باستخدام أنبوب الأشعة المهبطية بحيث يقوم هذا الأنبوب بمسح الصورة على الشاشة لتظهر على مادة الفلورسنت، فإن الاستظهار الليزري يعتمد على الحزم الليزرية الملوّنة التي يتم دمجها إلكترونيًا بالاستعانة بوحدة معالجة مصغّرة (حاسوب صغير). ويحقق الدمج الإلكتروني لثلاثة ألوان رئيسة هي الأحمر والأخضر والأزرق تشكيل صور عالية الوضوح والسطوع على شاشة مربعة يصل طول ضلعها إلى مترين أو أكثر، كما يمكن استظهار الصور وفق أية مساحة تتطلبها التطبيقات المهنية. وباختصار يمكن القول بأن أشعة الليزر تخلق الآن أبعادًا جديدة تمامًا لحقل الإبصار البشري.

الشاشة الليزرية
تنقل السينما إلى بيتك

ويجدر التذكير بأن تقانة الاستظهار الليزري ليست الأولى في مجال الحصول على الصور التلفازية المكبّرة، بل سبقت إلى ذلك تقنيات أخرى وجدت تطبيقاتها الفعلية في الأسواق، كتقانة إسقاط البلازما plasmatron technology التي ابتدعتها شركة «سوني» Sony اليابانية واستخدمت فيها تقانة البلورات في الاستظهار. ومن تطبيقاتها المعروفة استظهار الصور والخطوط على لوحات الإعلان الإلكترونية الضخمة التي تنتشر في الملاعب الرياضية، ومن تطبيقاتها الأضيق استظهار الأرقام على الساعات الإلكترونية. وفي نفس الإطار ابتدعت شركة «نوكيا»Nokia الفنلندية «نظام جهاز المرآة العشرية Digital Mirror Device System» لبناء الشاشات الضخمة. ويرى الخبير كلاوس دايتر بومهارت Klaus Dieter Bomhardt، الذي يعدّ من روّاد تقانة الاستظهار الليزري في ألمانيا، أن هذه التقانة الجديدة وحدها تتميز بآفاق مفتوحة في مجال تكبير الصور وزيادة وضوحها إلى الحدود التي تتفق مع طموحات الإنسان وحاجاته في هذا الصدد مهما اتّسعت وتشعبت. ويقول بومهارت بأنه سبق للخبراء المهتمين بهذه التقانات أن بذلوا أكثر من مئتي محاولة لإيجاد الحلول الناجحة لمشكلة حاجة الإنسان لتكبير الصور المستظهرة حتى توصلوا إلى القناعة التامة بأن الحل المثالي يكمن في تقانة الاستظهار الليزري.

وتتسابق الشركات العاملة في هذا الحقل في هذه الآونة إلى الإسراع بطرح منتوجات تقانة الاستظهار الليزري في الأسواق قدر الإمكان حتى تحقق بها أعلى المبيعات. ويعتقد الخبير فرانك دايتر ماير بأن هذه التقانة ستكون قادرة على طرح أجهزة التلفاز الليزرية في الأسواق لكل من المستهلكين وأسواق الحواسيب الشخصية خلال العام القادم 1998م والذي يليه. ولقد تمكنت بعض الشركات فعليًا من إنتاج النماذج الأولى من هذه الأجهزة التي استخدمت لخدمة الأغراض العامة بما فيها الشاشات الواسعة المستخدمة في المعارض التجارية، وعرض المحاضرات الجامعية والثقافية، والإعلانات التجارية وملاعب كرة القدم. ويمكن القول بأن النماذج الأولى من هذه الأجهزة أصبحت متوافرة الآن في الأسواق إلا أنها لم تزل مرتفعة الثمن إلى الحد الذي يخلق الحاجة للإيغال في تطويرها وإنقاص حجمها وثمنها حتى تصبح متيسرة لجميع الناس. وعلى هذا فإن السباق الآن يتجه نحو تصغير أدواتها ومؤلفاتها من جهة، ولابتداع أنواع جديدة من أنصاف النواقل الليزرية من جهة أخرى.

وما إن يعلن عن اكتشاف جديد في الدول المتقدمة حتى تسارع إلى مباركته وتبنيه عن طريق دعم مراكز البحث بالأموال والإمكانات اللازمة حتى يقتحم الأسواق، ويحقق السبق في ميدان المنافسة. وفي ألمانيا وحدها حظيت تقانة الاستظهار الليزري بدعم متعدد المصادر من وزارة البحث العلمي، والمؤسسة البافارية





شاشة إسقاط ليزرية ضخمة عرضها نحو مترين بإمكانها استظهار الصور التلفزية المجسمة بعمق خمسين سنتيمترًا. إنها سينما حقيقية ستدخل بيوتنا قريبًا ويمكن الاستغناء عن الشاشة وإسقاط الصور على حائط واسع

الشاشة الليزرية
تنقل السينما إلى بيتك

للبحث، وعدد من المعاهد الجامعية. ولم يعد هناك متسع من الوقت للانتظار، فلقد بدأت فعليًا حمى التنافس العالمي على تطوير تقنية استظهار الصور الكبيرة للاستثمار بأسواقها العالمية.

ولقد سبق أن استخدمت أجهزة أشعة ليزر غازَي الأرغون والكريبتون لأغراض تكبير الصور، إلا أنها كانت ثقيلة وذات استهلاك عال من الطاقة الكهربائية بحيث يزن الواحد منها نحو طن، ويستهلك 160 كيلو واط. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه الأجهزة النواة الأولى لتقانة الاستظهار بالليزر التي أصبحت اليوم على أثر تطويرها كافية لإسكات الأصوات التي كانت تشكك بإمكان تحقيق هذه الفكرة.

وحتى بعد حدوث هذا التطور الجذري قبل نحو ست سنوات بقي الكثير من الخبراء على قناعتهم باستحالة الصور التلفازية باستخدام أشعة الليزر. وخلافًا لأنابيب الأشعة المهبطية، التي يتم حرف حزم إلكتروناتها مغناطيسيًا لتسقط على الشاشة الفوسفورية فتؤلقها وتظهر بذلك الصورة على الشاشة، فإن شعاع الليزر ينتج نقطة منفردة من الضوء على سطح الإسقاط، ولكن هذه النقطة الضوئية تتحرك بسرعة 90 كيلو مترًا في الساعة أثناء مسحها للشاشة، ونظرًا لهذه السرعة الهائلة، فإن الخطوط التي ترسمها أشعة الليزر يندمج بعضها في بعض لإعطاء الانطباع بالصورة الكاملة في المركز البصري لدماغ الإنسان.

ويعتمد مبدأ تقانة الاستظهار على حرف أشعة الليزر. وتشترك ثلاثة منابع ضوئية تصدر الألوان الأصلية الثلاثة: الأحمر والأخضر والأزرق، في تشكيل شعاع منفرد. ويتولى نظاما المسح scanners الضوئيان العامودي والأفقي مهمة توجيه الأشعة نحو شاشة الإسقاط كحائط الغرفة أو خلفية الإسقاط القماشية. ولقد تم بناء نموذج أوّلي لنظام الاستظهار هذا، فحقق صورة بلغ عرضها 180 سنتيمترًا وعمقها نحو 50 سنتيمترًا. وتم التأكد عمليًا من أن الصور المكبّرة بهذه الطريقة لا تنطوي على أيٍ من العيوب الضوئية بالرغم من قصر المسافة بين منبع الضوء والشاشة.

وبالإضافة لضخامة الصورة، التي لم يكن تحقيقها ممكنًا باستخدام أي من التقانات الأخرى، فإن الاستظهار الليزري يقدم أيضًا مجموعة أخرى من الفوائد. وعلى سبيل المثال، وباستخدام ذاكرة الصور المبرمجة، يمكن توليف الجهاز على أي من النظم المعيارية للاستقبال التلفازي: PAL أو NTSC أو SECAM أو HDTV. كما أن النظام المتطور لتحويل الألوان الذي تنطوي عليه هذه التقانة يضمن التخليق التلقائي لدرجات الألوان المضبوطة والمتنوعة التي تؤلف الصورة اعتمادًا على ثلاثة ألوان أصلية هي: الأحمر والأخضر والأزرق. ولهذا فإن مراكز البحوث تتكهن بأن تحدث هذه التقانة ثورة جديدة في تطبيقات الدارات الحاسوبية المتكاملة، والأنظمة المصغّرة المستخدمة في برمجة الآلات الذكية، وفي علم الإلكترونيات الضوئية. وعلى أن التوقعات المتفائلة بشأن هذه التقانة الجديدة لا تتوقف عند هذا الحد، حيث تنتظر إحدى الشركات الألمانية أن تربح أكثر من نصف مليار مارك من تطوير هذه التقانة خلال العقد القادم. ويتوقع الخبير ماير أن يؤدي تطوير هذه التقانة خلال السنوات العشر القادمة إلى حدوث ثورة جديدة تحاكي تلك التي نشهدها الآن في حقل صناعة الإلكترونيات المصغرة.

ومع كل هذا التفاؤل بشأن مستقبل تقانة الاستظهار الليزري، فلقد اتضح أن الطريق أمامها ليست مفروشة بالحرير، بل يكتنفها الكثير من الصعاب. وتكمن أهم تحدياتها الراهنة في القدرة على تصغير أجهزة الاستظهار الليزري وجعلها أقل وزنًا وأفضل أداءً. ويرى أن الأعباء المالية التي يتطلبها حل هذه المشكلات تمثل مشكلة حقيقية، فالنجاح التقني يقتضي قبل كل شيء خفض تكاليف الصنع للدرجة التي يصبح معها طرح أجهزة التلفاز الليزرية في الأسواق بأسعار معقولة أمرًا ممكنًا بحيث يتراوح سعر الجهاز الواحد بين 1500 و3000 دولار كحد أقصى. ولتحقيق هذا الهدف، فإن من المهم إنتاج الأجهزة بأعداد كبيرة، ولكن مثل هذا الإنتاج لا يمكن بلوغه إلا إذا نجح عدد أكبر من صانعي أجهزة التلفاز العادية ومؤلفاتها في الاتفاق على التحوّل لصناعة أجهزة التلفاز الليزرية. وهنا يكمن السبب الذي يجعل من نجاح تقانة الاستظهار الليزري أمرًا مرتبطًا بالمشاركة والتعاون الدولي. ومن شأن مثل هذه المشاركة أن تتمخض عن ظهور شركات عالمية لإنتاج أجهزة التلفزة الليزرية بناء على تراخيص ممنوحة من الشركات المبتكرة. ولقد تقدم فعليًا العديد من الشركات والمؤسسات العالمية للبحث والتطوير طلبًا للفوز بمثل هذه التراخيص. ويمثل هذا الاتجاه دعمًا قويًا لمراكز البحث والتطوير من شأنه أن يعزز من قدرتها على المضي قدمًا في إنجاح العمل بتجسيده هذه التقانة الواعدة.

ويمكن القول بأن كل المؤشرات توحي باتّجاه هذه التقانة حثيثًا نحو نهاية سعيدة تزداد فيها وسائل الاتصال، والإعلام، والمعلومات، تطورًا، وقوّة، وتأثيرًا في مجتمعات الأرض كافة.

يوضح هذا المخطط تطور مبيعات سوق الأجهزة التلفزية في العالم ما بين سنتي 1995و2010م. ويظهر بأن سوق الأجهزة التلفزية الليزرية متشهد نموًا متسارعًا بحيث من المتوقع أن يباع منها نحو عشرة ملايين جهاز عام 2010م

العنصرية اليهودية..
من التسول إلى الإرهاب!

د. حسن ظاظا

العنصرية ظاهرة اجتماعية بدائية، تأصلت منذ كان بنو آدم يعيشون في مجموعات قليلة، تستمدّ قوتها وسلامتها من عزلتها، وتضامنها، وشعورها بوحدة الانتماء إلى أصل واحد، يأخذ، مع الزمن، صورة أسطورية عجيبة، تصل في بعض الأمم القديمة إلى مستوى من القدسية، يقل ويكثر بحسب الظروف، من مجرد البركة إلى العقل والحكمة، إلى القوّة الموهوبة، إلى الفطرة الملهمة، إلى الفيض الغيبي، وربما إلى الألوهية، فيزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، أو أبناء بعض أنصاف الآلهة المقربين إلى كبير الآلهة، المقيمين معه في السماء. وهي أساطير طويلة وكثيرة بين أمم العالم، ما يزال علماء الآثار والتاريخ والسلالات البشرية يكتشفون الكثير منها، ويحلون رموزها، ويعكفون عليها قراءة وتفسيرا. وفي منطقتنا العربية هذه يمتد بساط البحث مما قبل التاريخ في الشمال الإفريقي كله، ومصر، وفلسطين والأردن، مروراً بسيناء، وشبه الجزيرة العربية، إلى لبنان وسورية وإيران واليمن والحبشة، إلى عصور الحضارات والامبراطوريات والأديان السماوية ليغطي أكثر من ستين ألف سنة من الوجود الإنساني في هذه المناطق الشاسعة، أكثرها في ما قبل اختراع الكتابة، الذي نسميه اصطلاحا «ما قبل التاريخ». وقد تطورت الإنسانية ـ صعودا وهبوطا ـ في هذه الأصقاع، كما أفصحت الآثار عن أسرارها، فعلمنا منها أن وقوف الإنسان أمام ظاهرة تجدّد الحياة من حوله، وما تأتي به من المواليد الجدد، وما يحصده الموت من البشر ـ الكبير والصغير، والعظيم والحقير ـ بلا استثناء؛ كل هذا ينبه على وجود موجود لا تناله هذه التغيرات. وباختصار عرف الإنسان الله، وعرف ما كان يؤرقه من انفعالات داخلية أهمها الحبّ الذي يسوق الجنسين إلى الميل كل منهما للآخر، وتزاوجهما وتعاونهما. ولما كانت الحياة تنتهي بالموت لا محالة، فإن الإنسان حاول جيلاً بعد جيل أن يصل إلى إجابة عن سؤال: وماذا بعد الموت؟ فقاده ذلك إلى الآخرة، وإلى البعث والنشور، وإلى الأبدية بعد المرور بهذا العالم الدنيوي الفاني. ولذلك نجد الذين يؤرخون للفنون والحضارات يعدون من البواعث الأساسية لظهورها في بني الإنسان ثلاثة: الدين، والحبّ، والموت. ولولا هذه الثلاثة، وعمقها في العقل الباطن لبني آدم، لبقي الإنسان لا يتطور إلا ببطء شديد، شأن كل الكائنات الحية الأخرى.

سر العقدة الملازمة للتاريخ اليهودي

وكان وعي الإنسان (الاجتماعي) بأنه عضو في جمع من أمثاله، سببا في التعارف والتعاون والتضامن، وفي نقيض ذلك أيضا من تجاهل ومقاطعة وعداوة. وكلما كانت المجموعة ضعيفة وقليلة العدد، ومحدودة الثروة اختلف أسلوبها في التدين، وأصبح الإله هو الحليف الوحيد المسؤول عن حماية شعبه، ولاسيما إذا اضطر هذا الشعب إلى أن يعيش، ويخضع لشعوب أخرى أقوى وأكبر وأغنى منه بكثير. وهذه هي سرّ العقدة الملازمة للتاريخ اليهودي منذ بداياته إلى الآن. ظهر في منطقة الشرق الأوسط وهي تتأرجح بين الوحدانية والوثنية. فوصل إبراهيم عليه السلام إلى اختيار الوحدانية بعد تأمل كثير، ربما لأن الشرك كان دين الامبراطورية التي كان يعيش فيها، امبراطورية «حمورابي» في بابل، بالعراق، وكانت منوطة بإبراهيم رسالة سماوية من إله واحد، استمد منها قوة وشجاعة وإيمانا، وغادر العراق نحو الغرب، وكان رجلا كثير الأسفار والرحلات، من العراق إلى سورية، ثم فلسطين، ومصر، والحجاز ثم بوادي الأردن إلى أقصى الجنوب من فلسطين حيث أقام في «جرار» بالقرب من بئر سبع. وبقي في أسفاره فأدركت الوفاة زوجته سارة، فاشترى لدفنها مغارة مزدوجة لتكون قبرا له بعد موته في «حبرون» مدينة الخليل. ومع الزمن أصبح سيدنا إبراهيم عليه السلام أسطورة للأجيال. فهو أبو سيدنا إسماعيل من السيدة هاجر التي يزعم اليهود أنها كانت جارية مصرية، على حين ذهب الباحث الحديث «فينكلر»، وهو يهودي أمريكي، إلى أنها لم تكن من الرقيق ولا من صميم أرض مصر، بل كانت حجازية، في وقت كان فيه الساحل الغربي للبحر الأحمر منطقة نفوذ فرعونية. وإبراهيم هو أبو إسحق أيضا من سارة، إحدى بنات عمومته. وزعم رواة التلمود أن إبراهيم ـ وهو في سن المئة وسبع وثلاثين سنة ـ كان محتفظا بشبابه وحيويته. فلما ماتت سارة تزوج امرأة أخرى من سلالة «يافث بن نوح» هي «قطّورة»، وإن كان بعض الرواة قد زعم أن قطور كان لقبا لهاجر، ومعنى هذا الاسم بالعبرية «البخور»، وزعم الراوية أنها كانت خادمة في بيت سارة، موكلة بالنار الخاصة بالبخور. ورفض معظم الرواة في التلمود والمدراش هذا الزعم وقالوا إنها زوجة ثالثة لإبراهيم. وهكذا تكون سارة من سلالة سام بن نوح، وهاجر من سلالة حام، وقطوره من سلالة يافث. وبهذا يصبح إبراهيم أبا لكل الذرية التي أنجبها نوح. ونسبوا إلى إبراهيم أنه أنجب من قطوره اثني عشر ولدا منهم «يقطان» الذي تسميه العرب قحطان وهو أبو اليمن. وقالوا أيضا إن قطوره علمت أبناءها أنساب الجن وطرق إحضارهم وأخذت علمهم فعلمته لأولادها! فهذا طرف من علم الأنساب الخرافية التي كان بنو إسرائيل يتناقلونها فيما بينهم، وهي تنتهي في آخر الأمر بأن العرب الشماليين (أبناء إبراهيم من هاجر) والجنوبيين باليمن إخوة لأبناء إبراهيم من سارة (اليهود)، ولابد أنه كانت هناك أسباب لإدخال هذه القرابة في الموروثات التاريخية للأمتين. ثم أضيف إليها في الفترة التلمودية أبناء قطورة أيضا، وهم بقية شعوب العالم ـ مع صلات (ثقافية) بالجن أيضا ـ. ويصبح إبراهيم عليه السلام ـ مثل آدم ونوح ـ أبا للجنس البشري كله، مع تقديم نسل سارة (عنصريا) لأنها من عشيرة إبراهيم، وهم اليهود، بحيث تبرز العنصرية البدائية بأجلى معانيها، فأبناء سارة من إبراهيم هم الأشرف، والأنقى نسباً، والأقرب إلى الله، والأقوى!!

الخلاف يدب بينهم منذ قديم الزمان!

ومع الزمن، ومع الخلافات الناشئة بين الأسباط

وتفشي الزواج من خارج العشيرة تدب الشحناء في الجميع، وتصل إلى العنف. بل تبدو بوادر ذلك من قصة يعقوب (إسرائيل) نفسه، الذي أثار حبه ليوسف وتدليله إياه حقد إخوته عليه، حتى هموا بقتله، ثم عدلوا عن ذلك إلى إلقائه في الجبّ، ووصوله إلى مصر في قصته المعروفة. وفي مصر تزوج من امرأة مصرية.

ولأن الأسباط من أبناء يعقوب كانوا مولودين من أربع نساء هنّ: ليا وراحيل ابنتا لابان - واحد من أرحام بيت إبراهيم الذين بقوا في العراق -، وكانت راحيل أصغرهما وأجملهما وذات الحظوة عند يعقوب، أنجب منها يوسف وبنيامين، أما ليا فكانت أكثر الزوجات الأربع أبناء، إذ ولدت له رأوبين وشمعون ولاوي (ليفي) ويهوذا ويسّاكر وزبولون، وأختهم دينا. وأما الجاريتان، فقد ولدت له بلْهة خادمة زوجته راحيل: دانْ ونفتالي. وولدت زِلْفى خادمة ليا ابنين أيضاً هما: جاد، وآشر. وكما اختلف إسماعيل وإسحق - ابنا إبراهيم - فإنّ يعقوب وعيسو ابنَيْ إسحق اختلف كل منهما مع الآخر، فبقي يعقوب في فلسطين ورحل عيسو إلى بَوادي الأردن، فكان متوقعا أن يختلف أبناء يعقوب بعضهم مع بعض، بحيث لا تنقطع العداوة التي كانت قد بدأت بين قابيل وهابيل ووصلت إلى الغضب الملتهب وإلى جريمة القتل! كل ذلك يحتاج إلى دراسة متأنية تمكن من الإبقاء على «المحتمل» من تلك القصص، وإن كانت الرواسب الشعبية القديمة ذات أثر في تكوين المجتمع في كل أمة. وخلاف أسباط بني إسرائيل مع بعضهم بعضاً ترك هذه الأمة التي عاشت قرونا طويلة في الشرق والغرب على هذا القوت الثقافي المقدّس في خلاف دائم، لايكاد ينقطع إلا في وجه كارثة تحمل الجميع إلى الوفاق بدل الشقاق، ومعالجة الاختلاف بالوحدة؛ بل بالائتلاف الذي يتضح حتى في زعامة رئيسهم الحالي بنيامين - نتن ياهو، الذي لا يحكم من خلال حزبه (الليكود) بل بوساطة ائتلاف من جميع الأحزاب الرجعية المتشددة التي تخشى السلام!

ونحن، أمام دعوة موسى عليه السلام، ننحني احتراما وإجلالا، حتى بعد أن تعاقبت عليها أيدي المحرّفين والمخرّفين! فالدين - مهما كان - عقيدة لها حرمتها، وإذا كان تناولنا أي أمر من خصوصيات الناس يعد تطفلا منا ومضايقة فإنه في موضوع الدين أشد خطورة، كما لو كنا نلوك سيرة النساء من أهل بيته. لكننا نتتبع التاريخ اليهودي ابتغاء معرفة أمينة وواضحة لليهود، وإدراك الفرق الشاسع جدا بين إنسانية اليهود عموما، ووحشية الصهيونية، خصوصا نتن - ياهو الذي يعطي الحق لشرطته وجيشه بالعيث في الأرض فسادا ثم يعلن بكل وقاحة أن الحكم الذاتي الفلسطيني هو المسؤول. وهذه من السلوكيات الموروثة عن الأسلاف، والمسؤول عن أي فساد يحدث هو غير اليهودي (الجُوْيُ)، فهو - دائما - المعتدي والظالم والمتعصب ضد اليهود. ولو أن من يقولون هذا رجعوا إلى الكتاب القيّم الذي ألفه في النصف الأول من هذا القرن الأديب والصحفي اليهودي الفرنسي «برنار لازار» بعنوان «اللاسامية» وقسمه قسمين: الأول عن اللاسامية الواقعة على اليهود من الأمم الأخرى، والثاني عن اللاسامية التي ترجع أسبابها إلى سلوك اليهود أنفسهم، ولكن الظروف السياسية، والدعوة الصهيونية القوية جدا في الغرب أوجدت كُتاباً مناقضين - أحرارا أو مأجورين - جرّحوا برنار لازار، وحذروا اليهود منه، فخسر في كتابه هذا الكثير من المال والسمعة، ومات فقيرا طريدا. ولو أنه زاد في نقده للصهيونية فربما كان قد قُتل بيد بعض الإرهابيين الصهاينة أو بعض عملائهم المأجورين، الذي يهدد بهم نتن - ياهو السلطة الوطنية الفلسطينية وكل المتحالفين معها، وهذا تهديد ساقط فيه غباوة كثيرة، لعل المتلقي لهذا التخدير يعتقد أن الدولة الصهيونية بريئة من فرَق التصفيات الجسدية، وهو كلام فارغ من الألف إلى الياء. فهذه الفرق الصهيونية الصميمة كانت موجودة في التجمعات الصهيونية قبل قيام هذه الدولة بسنين طويلة، لعلها أطول من عمر هذه الدولة، جاء منها اثنان إلى مصر فقتلا اللورد موين وزير المستعمرات في ذلك الوقت، وأقرّا بذلك وحُكم عليهما بالإعدام، وبعد ذلك بأربعين سنة كان مناحم بيغن زعيم الليكود يزور مصر بعد معاهدة كامب ديفيد، فطالب برفات الرجلين، وحملهما معه إلى القدس، ودفنهما في قبر خاص للأبطال.

لمحة من تاريخ التدين اليهودي المتداخل والمعقد

وتاريخ التديّن اليهودي طويل جداً، وفي غاية التداخل والتعقيد لأسباب أهمها المسافة الزمنية الهائلة التي تفصل موسى عن الذين يقولون إنهم أتباعه وأمته الآن، إذ تقدر تلك المسافة بأكثر من ثلاثة آلاف سنة، بلا كتاب محفوظ من التغيير والتبديل، ولا صحابة عايشوا موسى ورووا عنه بسند متصل، ثم بالحوادث الجسام التي شهدها اليهود بعد موسى، وبسبب تعاقب الأنبياء - والأنبياء الكذابين أيضا - في كل جيل، وتسرب عادات وتقاليد اختلطت بالدين، وتجلت فيما لا يُحصى من الفرق الدينية التي يكفّر بعضها بعضا، ولا تجتمع على قول واحد ولا في صعيد واحد من العالم، ولا تحت إرشاد هيئة شرعية متماسكة ومتآلفة. وإن كانت أسوأ الفرق الباقية والمؤثرة حتى الآن هي فرقة اليهود «الربانيين» أو الربيين، وهم في الأغلب الأعم صهاينة متطرفون، وذوو ثأر ضد جميع أمم العالم التي عرفها وتعامل معها أسلافهم وشيوخهم. وتكونت لهم مع الزمن شريعة دينية لا نجرؤ على مناقشتها، إذ لا جدوى في مناقشة «متدين» لا يفصل بين الإيمان الديني والعقيدة القومية العنصرية. ثم إن الشعار الإسلامي المنصوص عليه في القرآن الكريم: *لكم دينكم ولي دين*، يوفر علينا هذا الجهد.

والشرائع الدينية العامة لدى اليهود الربانيين وصلت إلينا - ووصلت إلى العالم اليهودي كله - بتأثير قليل جداً من النصرانية، والمجوسية، والوثنية الفرعونية، والبابلية الأشورية، ولكن الأثر القوي والمهيمن هو أثر فقهاء المسلمين، ففقهاء اليهود، كانوا - جميعا تقريبا - تلاميذ أئمة الإسلام، حتى في اختلاف الأئمة الفقهاء تسامحا أو تشددا.

فاليهودية الربانية اشتهر فيها - منذ ما قبل الإسلام بقليل - مذهبان هما: هلّيل، وشَماي:

1- هلّيل إمام اليهود الفريزيين في حياة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام. وُلد عام 70 قبل المسيح، وتوفي عام 10م بعده، وكان يعلم ويفتي في عهد الملك المتهوّد الظالم هيرودس الأدومي - أي الأردني - واشتهر هذا الإمام عند اليهود باسم هليل الكبير، أو هليل البابلي. وكانت عشيرته تزعم أنها من نسل الملك داودا وبدأ هليل دراسة التوراة في بلده بابل بالعراق، ثم رحل إلى أورشليم/ القدس حيث واصل دراسته على إمامين شهيرين في شرح الشريعة هما «شمعيا» و«أبطاليون»، وكان يدفع (رسوم) الدروس بالمدرسة إلى حارس الباب، وكانت تعادل نصف أجره الذي كان يأخذه من عمل يؤديه عند بعض الحرفيين. وكان إذا عجز عن الدفع يمنع من حضور درس الشيخين. وذات ليلة من ليالي الشتاء القارسة البرد منعه الحارس، فتسلق الحائط وبقي يستمع من الخارج حتى كاد يتجمد من البرد فلاحظه شيخه شمعيا، وكانت الليلة ليلة سبت، فوجده في حالة إغماء من التعب، ومن الثلج المتراكم على ثيابه فأمر بإدخاله إلى الداخل، وأوقد نارا لتدفئته - مع تحريم إيقاد النيران أو الأنوار في السبت - ولكن الشيخ أفتى بإباحة ذلك لضرورة إنقاذ مَنْ يهدّده خطر، وكان هليل فيما بعد يفتي بإباحة هذا يوم السبت.

وبعد موت الشيخين عاد إلى بابل، ثم سافر إلى الإسكندرية التي كانت ليهودها نهضة علمية مزدهرة منذ أيام فيلسوفها اليهودي «فيلون» وهو من أقطاب الأفلاطونية الجديدة، وعندهم تمت أول ترجمة كاملة للتوراة وأسفار الأنبياء وكتب الحكمة إلى اللغة اليونانية، وهي «الترجمة السبعينية» التي

الصهيونية ليست بريئة من فِرَق التصفيات الجسدية، فهذه الفرق الصهيونية الصميمة موجودة في التجمعات الصهيونية قبل قيام الكيان الصهيوني بسنين طويلة!

انقسم اليهود فرقتين: متسامحة في أمر الدين، ومتشددة فيه. لكن التسامح لم يزد في عدد اليهود، كما أن التشدد لم ينقص منه شيئاً، على مرور قرابة ألفي سنة على ذلك!

اشترك في إنجازها سبعون عالما تبركا بالسبعين الذين اختارهم موسى من قومه، وقد ظهرت في دولة البطالسة وأثارت ضجة كبيرة بين علماء اليهود في القدس الذين رفضوها، وحرّموا استعمالها، وعلماء الإسكندرية الذين اعتمدوها وأباحوا حتى الصلاة بها، واعتكف هليل عددا من السنين معتزلا في الصحراء، مع إحدى الفرق اليهودية.

اشتهر هليل بتسامحه ومرونته في الفتوى، ورويت عنه - في التلمود - أحكام كثيرة تنطق بأن الدين يسر لا عسر، وما تزال بلدان من التي يسكنها يهود تحتفل بذكراه في ليلة من ليالي عيد الفصح اليهودي الذي يقع في منتصف شهر مايو (إيار) في التقويم اليهودي، وتقام لذكراه حفلة ضخمة في مدينة القدس، وفي تونس حيث تقام الحفلة في معبد الغريبة في مدينة جربة. أما «شمّاي» فكان الوجه الآخر من الشريعة اليهودية.

2- وشمّاي يكاد يكون معاصرا لهليل. ولد عام 50 قبل المسيح ومات عام 30م بعد المسيح. واليهود يصفونه بأنه حكيم فلسطين (أرض إسرائيل). وعلى النقيض من هليل كان شماي يمثل الجناح المتشدد والحرفي في استخلاص الأحكام الشرعية. وفي ذلك العصر كانت نصوص «المشنَه»، وهي مجموعة كبيرة من المرويات المأثورة والأحكام الشرعية وعللها، تستأثر باهتمام علماء الربانيين (الفريزيين)، دراسة وتسجيلا ومناقشة، حتى أصبحت في نظر اليهود تعادل السنّة في نظر المسلمين، مع أنه لا مجال للمقارنة إطلاقا، إذ إن نسبة المشنة إلى موسى - أو حتى هارون - لا تتصل بهما بسند صحيح، وإنما يعزونها إليهما بأساطير عارية من أي توثيق في الرواية، أو أي اتصال تاريخي في تسلسلها. ولكنها كانت ضرورة مقضية على هذه الأمة التي جاورت قرونا طويلة عصور الكتابة والتنظيم التشريعي والاستقرار الثابت في التعامل في مصر والشام والعراق وبلاد اليونان والرومان وإيران، ومعايشتها لحضارات تلك الأمم المتصلة المستمرة الراسخة النابعة من بيئاتها. وقد يكون هذا هو العامل في قيام شيوخ اليهود إما بالتسامح الشديد مثل هليل وإما بالتشدد الحرفي مثل شمّاي. وتصور هذا قصة قصيرة في المشنة تقول: جاء أحد الكفّار إلى شمّاي يريد اعتناق الدين اليهودي، وقال إنه يعلم أن أحبار اليهود يطيلون الكلام جدا، وهو لا يطيق رجله على الأرض لأكثر من لحظات، وعلى الشيخ أن يلخص له الدين كله ورجله مرفوعة وهو معتمد على الأخرى، ويجب أن ينتهي الشرح قبل أن ينزل رجله التي فيها الوجع إلى الأرض. فانتهره الشيخ - وكان سريع الغضب - وقال له: أنت تستهتر بالدين وبالشريعة فاغرب عن وجهي، فإنك غير مقبول من الله!، وذهب إلى هليل، الشيخ الآخر، وأعاد عليه موضوعه، فأجابه بقوله: لا تعمل شيئا تكره من شخص آخر أن يعاملك بمثله، وكل ما جاء في الشريعة متفرع عن هذا الأصل! وآمن السائل بالدين اليهودي، ودخل فيه (المشنة - أحكام السبت 31ب). وهي قصة تذكرنا بكثرة الأسئلة - في غير محلها - التي وردت في سورة البقرة بالقرآن الكريم، من التضييق الذي يجلبه اليهود على أنفسهم بكثرة الأسئلة.

وقد أصبح كلا الشيخين رأس مذهب في الفقه، يقال لأتباعهما «بيت هليل» أو «بيت شمّاي» إلى الآن. وزعم بعض الذين درسوا هذا الموضوع - ومنهم دائرة المعارف اليهودية الحديثة المنشورة في إسرائيل - أن فلسطين في عصر هليل وشمّاي كانت غاصة بالكفار من جميع الأجناس: مصريين، وشوام، ويونان، وأتراك، وزنوج، فكان «بيت شماي» يخافون من أن تذوب الأمة في هذا المحيط من الفكر الأجنبي، فعقّدوا الدين حفاظا على كيان الشعب وعنصريته، وأما «بيت هليل» فكانوا يحلمون بأن ينتشر الدين اليهودي، حتى باعتناق من يدخل فيه من الكفار (الجوييم) فينمو ويقوى ويحافظ على كيانه. وبقي شمّاي مناسبا للعقلية اليهودية على تعقيده وصعوبته، لأن حرص اليهود على البقاء حتى مع إغضاب الرب، وإهمال العبادة أهم عندهم من الإكثار من «المؤمنين» المتسامحين.

زحام من المذاهب واختلاف في الدين!

والآن بعد قرابة ألفي سنة من هليل وشمّاي نكتشف أن جهودهما كانت عاطلا باطلا، وأن تسامح هليل لم يزد في عدد اليهود في العالم، وأن تزمت شماي لم ينقص من عددهم، وأن عصرهما كان حافلا - حتى في فلسطين - بزحام من المذاهب اليهودية، تفرعت عنها فروع متعددة، نعطي فكرة عن أسماء المهم منها، وما يميزه من مذهب اليهود الربانيين.

وأول انشقاق في البناء اليهودي يُسجّل في فلسطين يوم وفاة سليمان عليه السلام، إذ كان أحد كبار قوّاده وهو «يربعام بن نباط» قد تمرد عليه وانهزم أمامه، فهرب إلى مصر، ولم يعد منها إلا بعد وفاة سليمان، فأسس له مملكة في شمال فلسطين، في إقليم (السامرة) وجعل معبده على جبل «جرزيم» بجوار نابلس، وهو موضع «بيت إل» الذي أسسه يعقوب لعبادة الله عند مجيئه مغتربا من العراق إلى فلسطين. واتخذ يربعام عاصمة له اسمها «ترصه» ثم اتخذ أخرى بديلة لها اسمها السّامرة، وسمّى مملكته «إسرائيل». أما جنوب فلسطين فقد جلس فيه على عرش سليمان بن داود «حبعام بن سليمان» في أورشليم/ القدس. وهكذا قامت في الوقت نفسه مملكة يهوذا في الجنوب، ومملكة إسرائيل في الشمال، ولكل منهما توراة خاصة، بأبجدية مختلفة، وطقوس وعبادات مستقلة، ولم يفز بنصيب الأسد إلا بعضُ الأنبياء الجوّالين بين المملكتين، وطبعا الكثير من السحرة والعرافين والنساء الباحثات عن ممارسة الفجور مع بعض الحجاج في القدس والسامرة.

ومع انقسام المملكتين تغيرت مواقف المؤمنين من النصوص الدينية، ومن شروحها وتفاسيرها أيضا، وقد رأينا أن أول المنشقين على مُلك داود وسليمان هم:

السامريون: على الرغم من أن لهم تاريخاً حافلاً بدأ منافسا لملك سليمان بالقدس، إلا أن الزمن أكل منهم - تقريبا - كل شيء. حتى باتوا الآن فرقة صغيرة - بضع مئات - متخلفة ليس فيها علماء أو فقهاء أو مؤرخون يعتمد عليهم - بل ليس فيها لغويون للّغة العبرية -؛ إذ إنهم منذ الفتح العربي يتكلمونَ العربية باللهجة الدارجة في منطقة نابلس. أما التوراة السامرية فإنها تحتوي على أسفار موسى الخمسة مع بعض الاختلافات التي أثبتها «كيتل» الألماني في طبعته العلمية المحققة لنصوص (العهد القديم) العبرية وما فيها من النصوص الآرامية القليلة مثل سفر النبي دانيال. وأما بقية أسفار العهد القديم، أي الأنبياء الأول والأنبياء الأخر، وكتب الحكمة، فإنها ملغاة عندهم برمتها لكثرة الانتقادات واللعنات والشتائم المنصبة من كثير من أنبياء اليهود على هذه المملكة المنشقة العاصية، غير الشرعية لأنها مغتصبة لعرشها من آل داود، ولأنها لا تقدس هيكل القدس ولا جبل صهيون. فهم بوضعهم السياسي الحالي والماضي كانوا في نزاع دائم مع سكان يهوذا، رعايا أسرة داود وسليمان، وهم منذ التسلل الصهيوني الحديث إلى فلسطين يعيشون منكمشين في موطنهم في الضفة الغربية، ثم وجدوا أنفسهم تحت التهديد الصهيوني، فتعودوا الصبر والصمت، وهم في ظل الحكم الذاتي - المحدود جدا - في موطنهم لا يجرؤون على أية مطالبة، لا من الصهيونية ولا من السلطة الوطنية الفلسطينية!

وزيادة على نصوصهم الدينية التي ذكرناها - وهي أسفار التوراة الخمسة باختلاف واضح في الخط واللغة والسياق نفسه - أضافوا «سفر يوشع بن نون»، صحابي موسى وفتاه، ولهم في ذلك حجة قوية هي أن بني إسرائيل ظلوا في التيه مع موسى إلى أن مات هو وأخوه هارون من قبله، وأول من عبر الأردن إلى الضفة الغربية من فلسطين هو يوشع بن

نون، فهذا عندهم - وعند العالم كله - صكٌ شرعي يثبت وجودهم في وطنهم هذا منذ عهد يوشع بن نون. وبسبب عزلتهم هذه، عن اليهود، وعن الأشوريين الذين هاجموا السامرة وخربوها واحتلوها، ونظرا لتعرضهم الدائم لدسائس عشائر اليهود سكان يهوذا، والدعايات السيئة التي كانوا يشيعونها عنهم لدى السلطات العسكرية المتعاقبة على احتلال فلسطين، أصبحوا غرضًا لاضطهاد أولئك الفاتحين. فالإسكندر اليوناني مثلا، بعد أن أتم احتلال فلسطين عين لها ضابطا كبيرا من أعوانه حاكما عليها، واغتاله اليهود، وألصقوا التهمة بأهل السامرة، وهكذا ظلوا أجيالا منبوذين، مع أنهم في عصورهم الذهبية كانت مملكتهم في شمال فلسطين هي الأقرب إلى الإمارات اللبنانية ذات الحضارة الفينيقية في صور وصيدا وبعلبك، كما كانوا مجاورين للإمارات الآرامية المتحضرة في سورية مثل دمشق وحلب وإبلة ورأس الشمره (منطقة اللاذقية وغيرها)، وكانت القصور في السامرة أجمل وأكثر بذخا، وأسواقها أنشط وأغنى، ولاسيما في حكم آخاب، سابع ملوك السامرة، الذي جلس على عرش السامرة عام 910 قبل الميلاد، وحكم ثلاثا وعشرين سنة، وتزوج إيزابيلا ابنة ملك صيدا في لبنان (إتبعل) ومات قتيلا في معركة حربية، وكان - كما تقول المراجع اليهودية - متهما في دينه، أراد أصهاره في لبنان أن يتعهد بتنشئة أولاد إيزابيلا منه على الكفر وعبادة الصنم «بَعَل» الفينيقي، فتعهد بأن تكون مواليده البنات وثنيات، أما الذكور فلا مفر من أن ينشؤوا على الديانة الموسوية، وإلا ضاع حقهم في خلافته بعد موته. وتم الاتفاق على هذا، وأحضرت إيزابيلا عدة مئات من كهنة بَعل، ووطنتهم على جبل الكرمل في حيفا. وكان النبي إلياس يرى الانحراف عن الوحدانية في قصر آخاب فيخطب في الناس محرضا على التمرد، وذات يوم وكان سقوط المطر قد توقف، وهلكت النباتات والبهائم، وقام كهنة البعَل بصلوات للصنم حتى ينزل مطرا على الأرض، أما النبي إلياس فكان يسخر من كفرهم ومن صلاتهم، فطلبوا منه - من باب التحدي - أن يقوم أمام الجموع الحاشدة بصلاة استسقاء لرب العالمين. فقام بها وما كاد ينتهي منها حتى انفتحت أبواب السماء بماء غزير، فهجم العامة على كهنة بَعَل وقتلوهم، وكان عددهم أربعمئة. فأقسمت الملكة إيزابيلا أن تقتل إلياس عليه السلام، فاختفى واتجه نحو طور سيناء، يعبد الله حيث كان يعبده موسى عليه السلام.

وفي طريق عودته وجد امرأة تبكي لأن ابنها يموت جوعا، فسألها أن تحضر حفنة من الدقيق وقليلا من الزيت، وأشعل التنور وبدأ يلقي من العجين أقراصا، والعجين لا ينتهي حتى أكل جميع أهل القرية وشبعوا من تلك الفطائر الفاخرة، وقام

الفرق اليهودية تتبادل فيما بينها الاتهامات بالكفر والضلالة. ومن أبرز هذه الفرق: السامريون والفريزيون، الذين يُكفِّر كل منهما الآخر، ويزعم أن ما بين يديه من الكتب هو الوحي من الله!

الصبي سليما معافى، فأقسمت أمه على النبي إلياس أن يأخذ الصبي معه ليخدمه، ولازم الصبي النبي إلياس وتعلم منه، ثم أوتي النبوة، وهو نبي الله «إليسع»! أما إلياس فهبطت إليه من السماء عربة فاخرة ركبها وحملته إلى السماء! واليهود يعتقدون أنه مقيم في السماء، ينزل في يوم من أيام عيد الحانوكه (عيد تدشين الهيكل في أورشليم، بعد إصلاحه وتطهيره من اقتحام انطيوخوس اليوناني القادم من عاصمته أنطاكيه بسورية لتدمير هيكل أورشليم). والظاهر أن هذا التقليد اختراع يهودي وضعت عناصره بعد انتشار النصرانية، واليهود يقولون لأولادهم إن النبي إلياس ينزل من السماء في هذا العيد محملا بالحلوى واللعب والهدايا للصالحين من الأطفال! وواضح أن الاحتفال بذلك العيد إنما هو لصرف أطفال اليهود عن احتفالات عيد الميلاد، بدليل تحديده مع يوم عيد الميلاد النصراني.

أما السامريون فلا شأن لهم بهذه البدَع السياسية التي يخترعها اليهود، وأما عقيدتهم فأساسها:

1- الإيمان بإله واحد للعالم كله، وهو ليس بجسم ولا مادة ولا صورة، وهو روحانية كاملة.

2- الإيمان بأن موسى عبد الله ورسوله، وأنه خاتم رسله!

3- أن الله أنزل عليه التوراة التي بأيدي السامريين، وأوجب تقديسها، واليقين من أنها كلام الله!

4- الإيمان بأجبل «جريزيم» المجاور لمدينة نابلس.

5- اعتقاد أن بقية أسفار «العهد القديم» اليهودي محرفَّة وضالة ومضللة، وليس فيها وحي من الله، باستثناء سفر يوشع بن نون كما سبق.

6- يصفون المشنَّة والتلمود والمدراش وما إليها من كتب اليهود الرَّبانيين بأنها من الجذور الموغلة في الكفر.

واليهود الربانيون يصفون السامريين بأنهم حثالة من اليهود الجهلة والضعفاء مادياً ودينيا، بقوا في فلسطين بعد زوال المُلك اليهودي في تلك البلاد بلا توعية دينية أو قومية، وبلا ثقافة. أما اليهود الربانيون، والصهاينة منهم خاصة، فيزعمون أن الأشوريين، بعد أن أجلوا بني إسرائيل من السامرة، وزّعوا أرضهم ومدنهم على سكان من غير اليهود، ويستشهدون على ذلك بنصّ يقول في العهد القديم: وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوت (الأكراد؟) وعوّا، وحماة، وسَفَرْوائيم، وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني إسرائيل، فملكوا السامرة واستوطنوا مدنها (العهد القديم - سفر الملوك الثاني - الفصل السابع عشر). وهو نص اعتمد عليه كاتب المقال في «دائرة معارف إسرائيل» (أوتسار يسرائيل) المنشورة في نيويورك عام 1911م؛ أي في بداية النشاط الصهيوني في العالم، ودعوة اليهود إلى الاستيطان في وطنهم التاريخي - كما يزعمون - قبل صدور وعد بلفور بأقل من سبع سنين!

نزاع على ما ليس من حقهم!

وغرض مثل هذه النصوص أن يفهم اليهودي الصهيوني أن فلسطين أرض مغتصبة من اليهود، حتى من بعض السكان الذين يزعمون أنهم من بني إسرائيل مثل السامريين. أما السامريون فإن طائفتهم قد حسمت النقاش بالتحذير من مثل هذه النصوص التي تلي عند اليهود الربانيين في كتابهم الموسوم بالعهد القديم، وتصف كل ما جاء فيه بأنه كفر وضلال وتضليل. ومع ذلك تذكر دائرة المعارف الصهيونية هذه - في الجزء العاشر منها - في التعريف بالسامريين أنهم ليسوا من بني إسرائيل؛ بل أتى بهم الغزاة، كما ذكرنا، وكان أحبار التلمود يشيرون إليهم بتعبير «المحجبين بالوحوش» أو «الذين أجارتهم السباع».

أما السامريون أنفسهم فيزعمون أنهم من سلالة هارون الكاهن - أخي موسى - كما كان يزعم ذلك يهود خيبر في بلاد العرب في الجاهلية. وكان لهم كاهن أعظم بقي منصبه في يد عالم من علمائهم إلى أن مات حاخامهم الأخير عام 1623م، فأصبح عامتهم ينتسبون إلى عشيرة تسمى بني عزيئيل بن لهَاب، ومنهم يختارون الكاهن رئيس الطائفة، ويحيطونه بتعظيم كبير، ويزعمون أنه سليل «لاوى» والد موسى وهارون!

طرف من عقائد الفرق اليهودية

وفي عقائد السامريين وجوب الإيمان بيوم القيامة، بعكس الصدوقيين، ويصفونه بأنه يوم البعث، ويوم الموقف العظيم، وهم ينتظرون مجيء المسيح المخلّص المنتظر، ومن أسماء أبناء هذه الطائفة السامرة أو السامريون، وبنو إسرائيل، وأيضًا بنو يوسف.

أما طائفة اليهود الفريزيين فهي الطرف المضاد للسامرة، فهم اليهود المتزمتون الخُلَّص المختارون من الجميع بالفرز، أي باختيار الأفضل، فالفريزي متمسِّك بأحكام الدين دقيقها وجليلها، ولأنه متميز من بقية المؤمنين فكل شيء فيه يميزه: لحيته، وأنفه، ونظراته، وأسئلته في كل صغيرة وكبيرة، وصوته، وحرصه إذا تكلم على ترصيع كلامه بمقتبسات من التوراة وأسفار الأنبياء وكتب الحكمة، أو من التلمود، أو من كتب «علم الباطن». وهم مناقشون في كل شيء، حتى إن اليهود يتندرون عليهم بمقولة

ضاحكة: قابَلَ يهوديٌّ (عادي) حاخامًا من أولئك المتزمتين الذين لا يستعملون صفة فريزي الآن - تواضعًا - فقال له: لماذا يردّ الحسيد (التي تعني مدلول فريزي) على أي سؤال يوجهه إليه يهودي عادي بسؤال، بدل الإفادة المباشرة؟ فأجاب - بكل هدوء -: ولِمَ لا؟ وتعبير «التلمود» هو ثمرة العقل الفريزي، والمدرسة التي تُكوِّن العقلية الفريزية على مر العصور. وتستطيع معرفة الفريزي من رغبته في تعقيد أبسط المسائل، وحرصه على أن يستنبط من أية بديهية مجموعة رهيبة من المشكلات - التافهة عادة -، والقدرة على توليد أزمة من غير شيء، وعدم الرغبة في الحسم، وربما لا يكون وراء هذا تدين كثير، أو إيمان عميق، أو حتى التزام أخلاقي، المهم هو الجدل، والجدل التلمودي الذي تتناطح فيه الأسئلة، ونادرًا ما تكون لها إجابة صريحة. والفريزي هو بطل المغالطة المنطقية، وهو لا يوجد بالضرورة في مجتمع الحاخامات، بل تجده بكثرة وبأساليب لا تحصى في السياسة مثلاً. بنيامين نتن - ياهو رئيس الوزراء الصهيوني حاليًا فريزي، دون أن يكون مؤمنًا عاملاً ولا باحثًا عن مثل أعلى ولا حتى عن مصلحة عليا لقومه أو حفاظًا على فخامة المنصب الذي يشغله. المهمّ عنده أن الطرف الآخر - الذي لا بد أن يكون عدوه - يريد السلام، وهو بدوره لا يريد أن يتورط في الحرب، لكنه لا يريد أيضًا أن يربح (الآخر) بقبول فكرة السلام، مما يترتب عليه هذا الركود الجاثم على المنطقة، حتى على آمال اليهود في تسوية مقبولة. وقد يرى الفريزي أن نهاية الموضوع لن تكون إلا كما رآه غيره من بني جلدته. لكن لا! فلن تكون المسألة بهذه السهولة. وفريزي آخر من طراز آخر هو وزير الخارجية الصهيوني دافيد ليفي، الذي يلبي كل رغبة من أية جهة بوعود مطاطة وأعذار مبتكرة، وإجابات عن كل سؤال بسيل من الأسئلة. وفريزي ثالث هو أريئيل شارون، وزير البنية التحتية، الذي يشعرك بأنه رجل عنيف وكريه وسريع إلى الحرب حتى تخشى بوادره. ووزير الحرب إسحاق مردخاي الذي يلعب دائمًا لعبة المنافق، فهو يحب السلام ولكنه يحب الأمن أيضًا، وفي رأيه - الممكن على الأقل - بأي موضوع نبدأ؟ فإذا قلت له بالسلام أجاب بأن السلام في غابة من الأعداء لا يضمن الأمن، فإذا قلت له لنبدأ بالأمن، دسّ من عنده من يعكر هذا الأمن ولو بكلمة حتى يصيح: المسألة متعددة وتحتاج إلى بحث من جميع الأطراف، ثم يضرب الحصار المحكم على الفلسطيني المسكين لعله - من اليأس - لا ينتحر بل يقبل مرغمًا ما يناسب هؤلاء الصهاينة! وكان زعيمهم الراحل دافيد بنغوريون رجلاً واسع الثقافة والتجربة، طويل الأناة، فكان يحاول في الأزمات أن يشرح للعرب أن العبقرية اليهودية ما جاءت هنا إلا لخدمة الحضارة، وأنها تحترم التطلّعات العربية إلى الحرية والعزة والكرامة، فاتركوا لنا فرصة للتفاني في خدمتكم، ثم ينقض على أية فرصة فيأخذ كل مزاياها للصهيونية، ويلقي بقماماتها ونفاياتها في وجوهنا!

الصهيونية: من التسول إلى الإرهاب!

وكان الفريزيون من كبار المنافقين، وكانوا متبحرين في صنع الأحكام الشرعية، مما ألحق بالشخصية اليهودية أفدح الأضرار. فالبروتستنتي مارتن لوثر، الداعية إلى هذا المذهب في العصور الوسطى، ترك لنا رسالة أو كتابًا صغيرًا عنوانه «نفاق اليهود» ترجمه إلى العربية ونشره الأستاذ الراحل عجاج نويهض، أحد رجال الصف الأول من العرب المدافعين عن حق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه وكرامته بعد أن انتقلت الصهيونية من دور «التسوّل» إلى دور الانقضاض و«الإرهاب». ودراسة مارتن لوثر أساسية في الموضوع، لأن الرجل قام ببحث عقائدي لاهوتي واجتماعي ليبين أن هذه الأمة كانت دائمًا سريعة إلى التعامل مع الأقوى والأغنى، وكانت تكاد تركع أمام المزيد من القوة الماديّة أو السياسية التي كان يمنحها لها جبابرة العالم، ثم إذا ما نالت منه كفايتها انقلبت عليه أو ملأت الدنيا عجيجًا وضجيجًا ضده، حتى المسيح عليه السلام، نشروا افتراءات وفضائح عن أمه وعن عفتها وشرفها، وجعلوا المسيح ليس ابن الله بل ابن يوسف النجار، وهو مخلوق طاهر ليس ابن الله إلاّ في الحدود المعروفة عن أن الناس جميعًا عيال الله، أقربهم إليه أنفعهم لعياله، وأما الولادة المعجزة لرسول النصرانية الكريم فإنها ليست ظاهرة وراء العقل، والمرأة التي وضعت خمسة أطفال أحياء ما هي إلاّ الطرف المعجز المقابل لمعجزة ميلاد المسيح بتقدير من خالقه. ولو كان المسيح قد أدخل في دعوته شيئًا من الحقد الصهيوني، والتصميم على قتل أعداء اليهود لآمنوا به واتبعوه، ونكسوا الجباه احترامًا له وإجلالاً لأمه السيدة العذراء، ولكنه جاءهم بعقيدة تقوم على العفو والتسامح، ولم يدعهم إلى إفناء أهل فلسطين بالقتل أو التشريد أو مصادرة الأملاك، وكان يدعو إلى احترام العقود والعهود، والمساواة بين جميع خلق الله، ثم إلى السلام أولاً وأخيرًا، وإلى عدم الثورة على السلطة بالقوة، حتى لو كانت سلطة كافرة مثل القياصرة الرومان. لو أن سيدنا المسيح كان صهيونيًا وصلبه القيصر أو نائبه في فلسطين لدعا كل صهيوني قام من بعده إلى الاقتداء به، وأحاطه بالتقديس في أرفع درجاته، ولقالوا إنه «المسيح المخلّص المنتظر»، ولكنه اتهم الفريزيين اليهود بتضليل الأمة، وإشعال نيران الفتن والخلافات فيها، والإغراق والتنطع والإرهاب الديني والاجتماعي، دائمًا بغرض الحصول على المزيد من الثروة والنفوذ والجاه، وكانت مناقشاته مع الفريزيين علنية في الساحات العامة، وفي الأسواق وفي داخل الهيكل نفسه. وهذا يذكرني بخاطر لواحد من جفاة الأعراب.

قال الراوي: إن هارون الرشيد قال لوزيره شيئًا في مدح حلوى اللوزينج التي تُصنع من اللوز والسكر وبعض المنكهات العطرية. فرد وزيره جعفر البرمكي بأنه لا يحب اللوزينج، واختلفا فكان لا بد من حكم، فلم يكن بالباب إلا هذا الإعرابي، فلما مثل أمام أمير المؤمنين سأله عن رأيه في اللوزينج، فأجاب: لا أحكم على غائب يا أمير المومنين؛ فدعا له بصحن من اللوزينج، انقض عليه يلتهمه بنهم، فقال له الخليفة: والآن ما رأيك فيه يا أعرابي! فأجاب قائلاً: والله - يا أمير المؤمنين - لو كان موسى دخل على فرعون بلوزينج لآمن به! ولكنه دخل عليه بعصا!

فلو أن المسيح دخل على الفريزيين بتنظيم مؤامرة لذبح الحامية الرومانية في فلسطين لشجعه الفريزيون على ذلك، وقد حدث هذا مع الرومان أكثر من مرة فأحرق الرومان الهيكل ودمّروه وخرّبوه وسووه بالأرض وأقاموا على أنقاضه تمثالاً وثنيًا لكبير آلهتهم جوبيتر، وضُربت على اليهود الذلة والمسكنة، وتفرقوا في الشتات والاضطهاد والاحتقار من القرن الأول للمسيح إلى القرن العشرين الذي أقاموا فيه دولتهم الصهيونية في فلسطين، وما تزال جموع من المتشددين تطالب بالقضاء على ما تبقى من الوجود العربي والإسلامي في القدس والخليل وبيت لحم وسائر الأراضي الفلسطينية، مع الاحتفاظ بالجولان وجنوب لبنان وحق المشاركة في المياه وغيرها من الثروات الطبيعية في الشرق الأوسط لتكون الرئاسة والصدارة والوصاية عليها جميعًا من إسرائيل!

الإرهاب لا يزال مستمرًا!

وهناك فرقة إرهابية مخيفة من فرق اليهود القديمة هي فرقة اليهود القنّائين، ومعنى الاسم باللغة العبرية: الغيورون أو أصحاب الحميّة، وهي ليست فرقة دينية بقدرما هي مجموعات من المتعصبين ترى استعمال القوة لتنفيذ أغراضها. ويفخر القناؤون بهذه التسمية لورودها في قصة في ذكر إلياس النبي عندما أمر بأن يترك السامرة في عهد آخاب ملك إسرائيل وزوجته إيزابيلا بعد أن أقسمت أن تقتله انتقامًا لتحريضه العامة على قتل كهنة الوثنية بعد صلاة استسقاء خاسرة للإله اللبناني (بَعَل) ليتوجه إلى «جبل الله حوريب» في منطقة طور سيناء وأن يقضي الليل في مغارة هناك: «وكان كلام الربّ إليه قائلاً: ما لَكَ ها هنا يا إلياس؟ فقال: قد غرتُ غيرة الرب إله الجنود، لأن بني إسرائيل قد تخلّوا عن عهدك، وهدّموا بناءك، وقتلوا أنبياءك بالسيف! (العهد القديم، سفر الملوك الثاني). وجاء في المدراش أن من أشهر الغيورين القدماء الذين أخذتهم الغيرة لله من عهد موسى «فنحاس بن إنقازار بن هارون الكاهن». ثم يذكر حادثة زنا بين واحد من بني إسرائيل وامرأة مديانية فقتلهما طعنًا بالرمح، وكان في المعسكر نبي الله موسى فأقرّه على هذا العمل ورفع الله الوباء عن بني إسرائيل.

ومن هنا يتضح لنا أن فرق اليهود المتباغضة بعضها مع بعض كثيرة جدًا، ونرجو أن نقف معها وقفة أكثر تفصيلاً، ونرى كيف انعكست هذه التجمعات في مجرى السياسة الصهيونية المعاصرة.



الخواتم

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الخواتم من الأمور التي علق بها الإنسان منذ أقدم العصور كما يبدو، ولها قصة طويلة، متصل بعضها ببعض، ومنفصل بعضها عن بعض، يُعرَف بعضها باليقين، وبعضها يعرف بالتخمين، أو لا يعرف أبداً.

والخاتم خاتم سواء ما كان من ذهب أو فضة أو نحاس، أو من مواد أخرى، المهم أن يطوق الإصبع، بصفة دائمة أو مؤقتة. عمله مهم لبعض من لبسه، ولمعانه أهم لبعض من لبسه، ومدلوله هو المسيطر عند بعض لابسيه، والفئات من لابسيه يختلفون، فلبس الرجال له يختلف عن لبس النساء، حتى لو اتفق الاثنان على جانب الزينة فيه، يبقى نظر الرجل إليه غير نظر المرأة.

والحديث فيه متشعب وطويل، وأقرب ما يمكن أن تتطرق إليه مسماه، فلعل كلمة خاتم جاءت من الختم، لأنه في الأصل كان يكتب عليه اسم صاحبه، أو عبارة يختارها صاحبه، يعرف بها ختمه، بحيث إن من يطلع على ورقة «مختومة» بخاتمه، يستدل على أنها موثقة وصحيحة.

وهذا لايزال قائمًا، وكثير من الناس يتمسك به، وإن كانت فائدته الآن أقل من السابق، ومستعملوه أقل ممن كان يستعمله في الماضي، وبعض القضاة يفيدهم فائدة جلى، خاصة إذا كان القاضي كفيفا، ولعل الكفيف عموما يستفيد منه سواء كان قاضيًا أو غير ذلك.

ولعل الخاتم في عصور بدائية كان رمزًا للرابطة بين شخصين، أو بين قبيلتين، أو عشيرتين، أو عائلتين.

وقيمته ماديا تتحدد من المعدن الذي صنع منه، أو الفصوص النادرة أو الثمينة التي ألصقت به، بطريقة أو بأخرى، ولكل أمة ذوقها، وقدرتها، وعاداتها في صنع الخاتم، وطريقة لبسه، وفي أي اليدين، وفي أي الأصابع، وهل يكفي الأمر أن يكون في إصبع واحد، أو أكثر، وفي يد واحدة، أو في اليدين الاثنتين.

وفرق كبير بين الخاتم للمرأة، والخاتم للرجل، فهو للمرأة حتما زينة، إلا ما خصص لهدف اقتضته عقيدة أو عادة، أو اتباع، وحتى في هذه الحالات وجد النساء طريقًا لجعله يؤدي غرضه، ويقف عامل زينة وحلية للجمال.

وأبرز مظاهره اليوم هو ما خصص علامة للخطبة بين رجل وامرأة، ولبسه في إصبع بعينه، ثم نقله إلى آخر، أو إلى يد أخرى بعد أن يتم الزواج، ومن مظاهره أيضا في هذا الزمن تحليته بالأحجار الكريمة، وهو مظهر ثراء يدل على صاحبه، وبقدر ما عليه من الأحجار، وما تصل إليه قيمتها، تكون النظرة إلى صاحبه.

وكان لبس الخاتم الثمين في العصور الإسلامية السابقة له معنى بعيد، فالرجل إذا سافر إلى بلد لا يعرف فيها أحدًا، وحدث، على ما يحمله من مال، حادث أفقده إياه، فإن في الخاتم الثمين ما يسعفه، برهنه، أو ببيعه، فيستفيد من مردود ذلك حتى يتمكن من تدبير أمره حتى عودته إلى وطنه.

وقد ورد في التراث بعض نصوص تحدد بعض المعالم حيال الخواتم، واستعمالها، منها النص التالي:

«ذكر السَّلامي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتختم في يمينه، والخلفاء بعده، فنقله معاوية إلى اليسار، فأخذ المروانية بذلك. ثم نقله السفاح إلى اليمين، فبقي إلى أيام الرشيد، فنقله إلى اليسار فأخذ الناس بذلك. [ربيع الأسرار للزمخشري: (ت 538هـ): 24/4] ت: د. سليم نعيمي. ط: العاني. بغداد

ووجود الخاتم في اليمين قد يكون المسوّغ له، إذا كان عليه اسم صاحبه، سهولة الختم به، والتيامن، مما يحث عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه، ولهذا فليس غريبًا أن يكون الخاتم في يمينه، ولكن نقل معاوية له لا يحمل تعليلاً واضحًا، إلا إذا كان معاوية يجد أنه يضايقه في يمينه، فنقله، وأخذه الأمويون علامة لهم، أما أن يعيد السفاح ما كان في زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهذا له تعليلان: الأول أنه عودة لما كان عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم، وفي هذا برّ وأجر، والثاني أن فيه مخالفة للأمويين، وهو نهج دأب عليه العباسيون ما وجدوا إلى ذلك سبيلا. ونأتي لهارون الرشيد، ونقله إياه إلى اليسار، وهذا يُبقي الأمر في ظلمة، معمى عليه، ويبقى السبب مجهولاً إلا تخمينًا ضعيفًا، كما ظُنَّ بمعاوية.

وهناك نص يعطي صورة لما كان يصل إليه سعر الخاتم في حقبة من حقب الأمويين، وما جاء في النص من تقوى، لا يستبعد أن تأتي من عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله: «بلغ عمر بن عبدالعزيز أن ابنه اشترى فص خاتم بألف، فكتب إليه: عزمتُ عليك لما بعت خاتمك بألف، وجعلتها في ألف بطن جائع، واستعملت خاتمًا من ورق فضة، ونقشت عليه: «رحم الله امرأً عرف نفسه» [ربيع الأبرار: 25/4]

ولأشعب موقف مع الخاتم، يتماشى مع روح أشعب، وما يتسم به من طرافة، وما عرف منه من فكاهة، مع سرعة بديهة، وحرص على حماية حقه، والموقف يتبين من النص التالي:

«قالت امرأة لأشعب:

هات خاتمك أذكرك به.

قال: اذكريني بأني لم أعطك» [ربيع الأبرار: 25/4]



قصيدة

يا عشق العمر

سامية عبد السلام إبراهيم

أحببتُكَ، يسبقني نبضي ... ووهبتكَ لهفة وجداني
أودعتك ذاتي يا ذاتي ... وضياء العين بأجفاني
لا أنسى يوم تلاقينا ... ونسيت قلوبًا تهواني
لم أنكر أبدًا.. لم أخجل ... من حبٍّ يقهر أحزاني
أرجوك حبيبي لا تنأ ... فالعشق بدربك أنساني
دقاتِ الحزن على بابي ... وعناق الشوك لأغصاني
فالحزن محب يعشقني ... لا يخطئ أبدًا عنواني
وتركت عذابي من خلفي ... والحب دعاني.. أحياني
يا عشقَ العمر وما أهوى ... يا أعذب أعذب ألحاني
يشجيني صوتُك يا نغمًا ... موصولاً، يثري وجداني
وأراك تفكر مهمومًا.. ... أفديك بعمري.. وزماني
دعني أتحملْ أحزانك ... تسكن أشجانك أشجاني
وأضم عيونك يا عيني ... بحنايا قلبي.. بحناني
وتعيش خلالي لو يومًا ... فرَّقنا نهرُ الأحزانِ
فأنا لا أقدر أن أنسى ... نسيانُك يعني.. نسياني.

أخطار وافدة: غزو



نـزار نجـــار

مصطلح الغزو الثقافي أحد المصطلحات التي تتردّد كثيرًا في حياتنا الثقافية، وبخاصّة على امتداد العقود الماضية التي بدأت تشهد انحسار الغزو بمعناه التقليدي المباشر، الذي عُرِفَ تاريخيًا باسم الغزو العسكري، أو الاحتلال العسكري المباشر، الذي تعرّضت له أكثر أرجاء العالم العربي.

الاستعمار - بمفهومه القديم - كما عرّفه المتخصصون هو العمل العسكري، أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بوساطة دولة أو جماعة من النّاس على قطعة من الأرض؛ أو على سكّان تلك الأرض؛ أو على الأرض والسكّان في وقت واحد.

لقد فشل الغزو العسكري، ورفضت الشعوب أشكال الاستعمار كافة، قامت الثورات في كل مكان، وتكبّد الغازون تضحيات جسيمة في المال والعتاد والأرواح، ومن هنا نبتت فكرة أن يُستبدل غزو بغزو، وسلاح بسلاح.

الغزو الثقـافي يرمي إلى غـزو الإنسـان في عـقـيـدته، وفي لغـتـه، وفي سلوكـه وأخـلاقيـاته، وفي نمط معيـشتـه، من خلال إحـلال نماذج معينة من التفكير والنظر إلى الحياة والسلوك، محلّ النمط السائد النابع من روح الشعب المستهدف، من قيَمه وعاداته وأخلاقه.

اندسّ الغرب ثقافيًا من طريق التنصير، فقد بدأت الموجات التنصيرية تغزو وطننا العربي منذ القرن الرابع عشر الميلادي تحت ستار فتح المدارس والمستوصفات، وهناك كلمة لغلادستون رئيس وزراء بريطانيا (عن صحوة الرجل المريض ص 199):

«ما دام هذا الكتاب - القرآن - في أيدي العرب يتدارسـونه ويقبلون على العناية به، فلن تـقـوم لنا قائمة، فلابد من العمل على انتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم».

وتوالت إرساليات التنصير من جميع أنحاء أوربا ومن أمريكا، فباسم صداقة فخرالدين المعني لآل ميدتشي تحقّق ربط الموارنة بروما عام 1736م، وعزّز داود باشا الكرجي نفوذ أوربا في العراق، وقام القسّ الأمريكي صموئيل زويمر باول بتأسيس مركز تبشيري في الخليج العربي عام 1891م، وكانت سبقته جمعية لندن التبشيرية عام 1795م، وجمعية الشبّان المسيحيين 1855م، وتأسيس مدارس اليسوعيين في بيروت 1839 وغزير اليسوعية 1843م، ومدارس في زحلة 1844م، ودمشق 1872م، وحلب 1873م.

وبدأت مع التنصير مسيرةُ تنكّر للتسامح القومي وتشكيك باللغة والثقافة العربيتين، وإهمال، بل وتجريح للعنصر العربي متناسين أنّ ما يمثّله الغرب نفسه من علم ومعرفة ومنهج علمي كان من علم العرب والمسلمين وفكرهم وثقافتهم، وكان حقد الغرب واضحًا على الثقافة العربية، تجلّى دائمًا مصحوبًا بعنف وشراسة ومكر وتزييف، موجّهًا إلى: الدين، واللغة وتماسك الأمة في وحدة، أو ملاحقة أحلامها في تحقيق ذلك، وإلى التراث والقيم الأخلاقية - وإلى الكيان الروحي العربي - وتماسك مقوّمات شخصية الفرد والجماعة في الأمة.

ويمكن أن نجسّد الحملات الغازية فيما يلي:

الطفل، منذ نعومه أظفاره، يتعلّم لغة فصيحة في المدرسة، ثم ما يلبث أن يخرج إلى حياته، خارج المدرسة فيستعمل لغة أخرى في البيت والشارع، لتتشابك ثروته اللغوية فيصبح قاموسه عاميًا وفصيحًا.

والصعوبة التي يجدها الطالب في لغته، وأسلوب الكتب الوعر، البعيد عن قواعد البلاغة العربية، والهابط جماليًا وموسيقيًا وقاموسيًا، ستجعله يبتعد تدريجيًا، عن منابع العربية في اللحن والخطأ، ويميل إلى التعبير العامي، والاتجاه نحو الثقافة الغربية.

لقد قرّرت وثيقة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أنّه «ليس ثمّة مناص من تخطيط ثقافي خاص بالطفل العربيّ يستهدف إنقاذ الجانب الثقافي في شخصيته ويستكمل به تكوينه القومي».

وعندما تقول وثيقة كهذه، إنّ الهدف هو إنقاذ الجانب الثقافي، ونحن نعرف مدلول كلمة إنقاذ، ندرك على الفور مدى ما تعانيه ثقافة الطفل العربي من محنة وإهمال!.

ومعارف الطفل مرتهنة بما يحيط به من تغيّرات، والطفل في الغالب، يتأثّر بعناصر ثقافية سابقة الرسوخ في مجتمعه، وهذا المجتمع نفسه عرضةٌ لتأثيرات ثقافية متجدّدة لا يملك دفعًا للكثير من عناصرها، وهنا يقع الطفل في صراع ثقافي متعدّد الأطراف، صراع بين ثقافتين، ثقافة متأصّلة الرسوخ وثقافة متغيّرة، صراع بين القديم والحديث، إنْ لم يعالجه القائمون على ثقافة الطفل العربي اليوم في حرص ووعي، فإن مصداقية هذه الثقافة سوف يعتورها التصدّع؛ ليس بالنسبة إلى مضمونها فقط، وإنّما لعجزها عن الثبات أمام الثقافة الغازية.

وتحديات

مشاهد مثيرة في مسلسلات الأطفال

إنّ رسوم الأطفال المتحركة المقدّمة إلى أطفالنا تقودنا إلى اكتشاف التقصير البالغ في استخدام هذا الفنّ الخطير، فمعظم أفلام الكرتون والصور المتحركة المقدّمة لأطفالنا أفلامٌ أمريكية أو غربية الصّنع والهويّة، وقد صمّمت لأطفال غير أطفالنا، وبعقلية غير عقليتنا، وتشجّع عادات وأخلاقًا لا نقرّ أكثرها، وتمرّ ثقافات لا نرضاها، ويكفي أن نتذكّر الساعات الطّوال التي يقضيها أبناؤنا وهم يتابعون مسلسل (بابي) البّحار، القائم على الصّراع بين باباي وبلوتو الذي يسعى دائمًا إلى اختطاف الحسناء الجميلة أوليف أويل زوجة باباي وامتلاكها، وفي كل حلقة، ما يزال يلاحقها ويشاكسها!!

وقلْ مثل ذلك في مغامرات (ساسوكي) (أو توم وجيري) المغامرات كلّها تعتمد على السحر والشعوذة؛ الطفل ساسوكي يحوّل نفسه إلى حصان طائر ليقاوم الشرّير الذي ينقلب بدوره إلى وحش ذي ثلاثة رؤوس، كلّ واحد من المغامرين يستطيع شقّ الأرض، أو إزاحة الجبل، أو القفز في النار أو الماء الملتهب، ويركّز المسلسل على بعض المشاهد المثيرة والمدغدغة لمشاعر الأطفال الدنيا، فساسوكي ينظر إلى فتاة تقذف بثوبها فتظهر عارية، ينظر مرة بدهشة، ومرّة يغطّي عينيه خجلاً، ومرة يلعق شفتيه بلسانه، ويغمز بعينيه يتناول شرابًا مسكرًا مع جاميو، يحدّقان في الفتاة، يتغامزان ويتساءلان، هل ستكون من نصيب أحدنا!!

وعلى الرغم من الازدياد الكبير في عدد شركات الإنتاج الفنّي العربية، والتضخّم الهائل في حجم إنتاجها، فإننا لا نكاد نجد شركة عربية متخصّصة بفنّ الرسوم المتحركة تخطّط لبرامج هادفة للأطفال، بعقلية عربية ملتزمة قضايا الأمة وتراثها، وعقيدتها وتاريخها المجيد الغني بمواقف البطولة والنّبل، والمآثر الإنسانية العلمية والحضارية، والحافل بالشخصيات الخالدة التي تركت بصمات لا تُمحى في تاريخ البشرية.

أطفالنا أهم بكثير من المرافق والمنشآت والمشاريع الضرورية أو الكمالية، لماذا لا يكون عندنا سينما حديثة متطوّرة تنفذ نصوصًا عربية مدروسة بإشراف فني تربوي علميّ رفيع، لا تجاريٍّ رديء ليس له من همّ إلاّ الربح والثراء؟!

كانت هناك دعوة تقول: لا تطلقوا القمر الصناعي العربي!.. وكان هناك من ينظر إلى عربسات على أنّه مشروع يسهم في دعم الثقافة العربية المشتركة من خلال برامج التلفزة المقرّر بثّها وتبادلها، وأنّه ليس لتوفير دوائر اتّصال فحسب، ولكنّه مشروع سياسي وحضاري وثقافي وإنمائي وصناعي، بل وعسكري في آن واحد.

ومن المؤسف أننا أبعد ما نكون - اليوم - عن تحقيق هذه الأهداف.

الاستعدادات متخلّفة، إلى حدّ كبير، على الرغم من جهود المنظّمات العربية، وبخاصة اتحاد الإذاعات والألكسو وجهاز تلفاز الخليج.

وحتى الآن نتساءل:

- هل قام نظام دائم لتبادل الأخبار أو البرامج المتلفَزَة بين الأقطار العربية باستخدام الشبكات الأرضية القائمة أو الشبكات الفضائية الدوّلية؟!

- هل هناك برامج تربوية جاهزة لتعبئة قنوات القمر؟

- هل يوجد - أصلاً - التلفاز التربوي؟

لقد كشف القمر عُرْيَ التعاون العربي، وتحطّمت آمال الأمة!!

ترجمات عقيمة

الترجمة والنقل عن اللغات الأخرى: هذه الترجمات التجارية لا تشرّف الأدب العربي الحديث في شيء، والجيل السابق يتذكّر جيّدًا كيف أغرقت أسواق الكتب في دمشق وبيروت والقاهرة والعواصم العربية بروايات الجيب، فأصبح النشء العربي أعرف بأعمال (أرسين لوبين) أكثر من أيّ بطل عربي، وقل مثل ذلك في روايات عبير (التي غزت الأسواق حاليًا).

أمّا الترجمات العلمية الحديثة والجيّدة فلم يتجاوز عددها أصابع اليد، ونحن - حتى الآن - لم نأخذ عملية الترجمة في مقولة الثقافة الموجّهة، أو نوليها العناية والاهتمام اللائقين بها، والترجمة عملية أخلاقية في المكانة الأولى، والناقل هو الذي يتحلّى بالنزاهة حتى لا يعبث بالنّص.

(ما الفائدة من ترجمة ميلر مثلاً أو بعض ما كتبه كولن ولسون) والمترجم - هنا - أقرب إلى الطبيب الذي أقسم يمين أبيقراط قبل مزاولته المهنة، وللإيطاليين قول مشهور: (المترجم خائن)! لذلك، فإنّ الدوائر العلمية تلجأ إلى المراجعة، وترفض أي ترجمة لم تُراجع، وفي حديث لطه حسين قبيل وفاته نعى مستوى الترجمات التي تخرج في العالم العربي!.

إنّ نقل العلوم من حضارة إلى حضارة يؤدي إلى إغناء الحضارة الثانية، وإلى حدوث انفجار علمي يغني البشرية جمعاء (حدث هذا في تاريخنا مرتين) في زمن المأمون عندما تمّ نقل جميع العلوم والرياضيات والفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية (انفجار علمي كبير في تاريخ الإسلام).

بلغ أوج هذه الترجمات في أعمال الفارابي (ت: 339هـ)، والبيروني (ت: 440هـ)، وابن الهيثم (ت: 430هـ)، والرازي (ت:311هـ)، وابن سينا (ت:428هـ)، وكذلك فطن محمد علي باشا، بعد أن آلت إليه مقاليد الأمور في مصر بداية القرن التاسع عشر، إلى أنّ غلبة الأوربيين علينا إنّما مردّها إلى تقدّمهم في العلوم والتقنية، واللحاق بهم يحتّم قيام نهضة علمية.

في مسلسلات الأطفال المستوردة مشاهد مثيرة ومدغدغة لمشاعر الأطفال الدنيا، ومغامرات تعتمد على السحر والشعوذة

اللغة العربية وعلوم العصر

ولغتنا العربية استوعبت بحيويّتها ألوان الثقافات، وتمثّلتها بقدرة فائقة.

هذه العربيـة نشأت في مهاد الجزيرة العربية، ثم ارتحلت مع الفاتحين إلى أقاصي المعمورة، وورثناها - نحن - في العصر الحديث، لغتنا الأم التي نتكلّم بها، ونفرح ونغضب ونبوح ونسطّر أرقّ الشعر وأعذب النثر، ونلتفت إلى تراثنا الثقافي منذ امرئ القيس إلى نجيب محفوظ إلى نزار قباني. فنجدُ في مرآته أنفسنا. ونلاحظ أنّ هذه اللغة مازالت، كما كانت في جاهليتها الأخيرة، وبرغم مرور القرون، مفعمة بالحيوية والكفاءة، نضرة، جيّاشة بالحياة، أدركت البداوة، بحضرها ووبرها، فنهضت بالمعاني، وعبّرت عن نمط المعيشة وعن خلجات النفس وقلق الروح، ثم امتحنت هذه العربية امتحانًا تاريخيًا جليلاً وعسيرًا، فلقد جاءها الإسلام حاملاً القرآن، فتدفّقت في جنباتها معان لا حَصْر لها من حيث السَّعَة والدلالة ومجالات التعبير. وفُتحت قنواتٌ عديدة لفهم كتاب الدين وتفسيره وتدبّر أمر الحديث، وضبطه، فكانت علومُ العربية ثروةً علمية تضاف إلى خزّان لا ينفد له مَدَد من حيث القابلية والعطاء والتجدّد والتلاؤم، هي لا تضيق ولا تتبرّم ولا تتعصّب ولا تصد عن الجديد.

العربية - اليوم - أداة شائقة في التعبير عن الحداثة شعرًا ونثرًا، يخبرك المغرضون والضالّون أنها قد لا تصلح لتأدية العلوم العصرية، والواقع أنّه لولا اللغة العربية التي بقيت صامدة أمام الهجمات الثقافية والانتماءات الغربية لما بقي للثقافة العربية وجود في الحاضر.

ومن المؤسف أن نرى شيوع الأخطاء المطبعية في مطبوعاتنا وكتبنا إلى الحدّ الذي جعلنا نعدُّها جزءًا من مثالب تراثنا الفكري، وفي إطار اللغة - أيضًا - نعاني من مشكلة عدم توحيد الاصطلاحات والمفاهيم، أنا أقول: رومانطيقية، وغيري يقول: رومانتيكية، وآخرون يقولون: رومانسية، أو إبداعية. وهناك من يقول: المدرسة الكلاسيّة وسواه يقول: المدرسة الكلاسيكيّة، ويقول فريق ثالث: بل المدرسة القديمة أو التقليدية(2).

فما بالكم، عندما يتعمّد الكاتب الغموض والرمز؟! وعندئذ يتحيّر القارئ، هل ما يقرؤه هو تغرّب مقصود من الكاتب، أم هناك غلطة مطبعية؟! فأين هي؟

الغموض لم يعد معاصرًا، ثم إنّ هناك مفارقة في غموض الحداثة وتعقيدها، وهي أنّها جاءت ضد فكرة التزام خدمة المجتمع والناس، هذه الفكرة «فكرة الالتزام» سادت وتمسّك بها كثيرون من الأدباء والفنّانين في عصرنا هذا، ومارس هذا الغموض في كثير من الأحيان كتّابٌ يعدّون أنفسَهم ملتزمين.

هناك وجهان لثقافة الغازي، وجه علمي، ووجه استهلاكي، الأول يتكون من المكتشفات العلمية والتقنية الحديثة، والثاني يقوم على الصوت والصورة

غموض وألغاز

والإنسان المعاصر معرّض لضغوط هائلة على وقته، هناك عشرات القنوات التلفازية بفضل الأطباق الفضائية (الدش)، هناك مئات المحطّات الإذاعية تذيع - أيضًا - ما لذّ وطاب، هناك عشرات الصحف والمجلاّت والدوريات والنشرات التي يحملها البريد إلى بيوت المواطنين كلّ يوم. هناك دور الخيالة (السينما) والمسرح والموسيقى والرقص والمعارض الفنيّة والمحاضرات والندوات، وتقلّص العالم في أيامنا هذه، أصبحت السفرات والسياحات والإجازات تتطلّب حقّها من وقتنا أيضًا، ألوف الكتب والروايات تواجهنا، تحاصرنا في المكتبات، وتبعث في نفوسنا الحسرات.

- متى نستطيع قراءتها؟

الجريدة اليومية، المجلّة الأسبوعية، الكتاب الشهري، الدورية، متى نستطيع أن نطالع ذلك كلّه؟

وعلى ذكر الغموض (على اعتبار أنّ الغموض لم يعد معاصرًا) الكاتب والروائي الإنجليزي (اتش - ج - ويلز) بعد قراءته لرواية جيمس جويس (يوليسيس) كتب إليه قائلا:

«لقد تمتّعْتَ أنت بكتابة الرواية أكثر مما تمتّعْت أنا بقراءتها، ليس لديّ الوقتَ لحلّ هذه الألغاز، أو أن أخصّص لها ساعات من الساعات الباقية من حياتي!!».

.. هناك من يجد فَقْرًا في الإبداع، فيندفع إلى التنكّر للثقافة الوطنية القومية، ونبذها جملةً وتفصيلاً غير متشبّث بالجوانب المستنيرة في تراثها، وهذا خطأ كثير من المثقفين الذين لا يعترفون بأي فضل لمجموع نتاجهم التّالد منه والطارف، ويميلون بكامل قلوبهم إلى ما يَرِدُ عليهم من الآخرين في كثير من الانبهار المُعشيّ للأبصار والبصائر، ويرتمون في أحضان الثقافات الغازية التي يجدون فيها ضالّتهم، فيكتفون بها متعلّلين بانعدام حرية الإبداع، ويفقدون الثقة في أنفسهم فيتولّد شعور الإحباط، وتقلّص الإبداع القومي، ويكثر التعويل على الآخرين، فتتحوّل الأمة إلى مستهلك سلبي.

خطورة الثقافة الاستهلاكية

ويمكن القول: هناك وجهان لثقافة الغازي، وجه علمي، ووجه استهلاكي، الأول يتكوّن من مكتشفات علمية وتقانة «تكنولوجيا» حديثة، ومن نتائج غزو الفضاء والبحوث الطبية والفيزيائية. أما الوجه الثاني (الاستهلاكي) فإنه يقوم أساسًا على الصوت والصّورة «يتميّز بالميوعة والتهريج والعنف»، ويتجسّم بخاصّة في المسلسلات التلفازية، والبرامج المطوّلة التي توظّف الجنس بعامّة وجسد المرأة هو المحور، فتُدغدغ الغرائز، وتُمجّد المبادرة الفردية.

ولم يسلم الكُتّابُ أنفُسهم من هذه الثقافة الاستهلاكية «روايات غرامية موجّهة إلى المراهقين، روايات بوليسية، قصص جواسيس». وقد تُحوّلُ هذه الروايات المثيرة إلى أفلام سينمائية تُعلّب في أشرطة فيديو وتُباع، أو تُستأجر في النوادي، وتُتناول بنهم استهلاكي جنوني، ولذلك استفحل دَوْرُ الوسطاء الثقافيين الذين يصطنعون نجومًا، ويتعهّدونهم بالدعاية ويبيعون حفلاتهم بآلاف الدولارات، ويجلبون إليهم ثروة خيالية لا يحلم بمثلها أكثر الناس جاهًا أو علمًا (تطالعنا الصحف كل يوم: الفنانة فلانة رفعت أجرها، والفنانة فلانة قبضت كذا، وعلانة رفضت التمثيل لأنّ المخرج لم يدفع بالعملة الصعبة،وأخرى أحيت وصلة غنائية لليلة واحدة بكذا..).

إذن، فقد تحوّل الأمر إلى صناعات ثقافية رابحة، تتّجه إلى الجماهير العريضة ولا تهتمّ بالنخبة وثقافتها الجدّية الرصينة، لأن مردودَها المالي محدود جدًا، وقد أخذ هؤلاء المقاولون الثقافيون يتنافسون فيما بينهم لكسب الأسواق العالمية (ولنأخذ روايات الجواسيس مثلاً)، تركز هذه الروايات على انتصار الجواسيس الغربيين على أقرانهم السوفييت والشرقيين وعملائهم من بلدان العالم الثالث. فهي، وإن بدتْ ترفيهية، هادفة لإكساب الغربيّ ثقة في نفسه، وتفوّقه على كل مَنْ سواه.

(ويبقى الإنتاج الثقافي الأمريكي مسكونًا بهاجس الترويج لسياسة القوّة في الاستحواذ والهيمنة).

إنّها ثقافة تسوّغ السّياسة العدوانية، بهدف تحقيق الهيمنة على العالم، سياسة المصالح الاستراتيجية الحيوية، لتسويغ التدخّل في الحياة الداخلية للبلدان الأجنبية، ومنع تطوّرها الوطني المستقلّ، ثقافة معلّبة قابلة للتصدير والاستهلاك الآني، تُدْخِلُ المتعة في النفوس، ثم تتبخر فوراً، لكنها لا تفعل ذلك قبل أن تحقن مستهلكها بلقاح الأفكار التي يريدها صاحبها.

لقد صارت الثقافة الاستهلاكية سلاحاً فعّالاً لتغيير الإنسان من الداخل، وإدخال التشكيك لديه في جميع قناعاته الوطنية والروحية، بهدف إخضاعه نهائياً، وإضعاف روح المقاومة عنده، حتى يستسلم تماماً إلى الواقع، فيسعى إلى الخضوع والتّصالح معه لا إلى مقاومته والعمل على تغييره!

إنّ الانبهار بالثقافة الوافدة ـ الغازية يدفع إلى الاستخفاف بالثقافة الوطنية، وخطورة الغزو (بحسب نظرية ابن خلدون) أن يقتدي المغلوب بالغالب في جميع شوؤنه. فيتخلّى طوعاً أو كرهاً عمّا ألفه من وجوه الثقافة وتليد العادات.

وأخطر ما نجح فيه الغازي هو بَتْر معظم مثقفي العالم الثالث عن ثقافاتهم الوطنية، وربطهم بقيم الحضارة الغربية السائدة في الشرق والغرب، وإقناعهم بأنّ هذه القيم الغربية هي حقائق إنسانية مطلقة، لا سبيل إلى التقدّم بغير الإيمان بها، والعمل بمقتضاها.

وما دام الغرب قد حقّق هذا التقدّم العلمي (التكنولوجي) كلّه، الذي غيّر مجرى التاريخ، وطوّر حياة البشرية، فلا بدّ أن يكون نهجه الاجتماعي والثقافي أرقى وأقدر من كلّ نهج اجتماعي وثقافي آخر.

معظم المثقفين ما يزالون أسرى نُظم فكرية واجتماعية غريبة عنهم، هي التي توجّه حياتهم وتسيطر على عقولهم، وهي، في جملتها نابعة من ثقافة مغايرة لثقافتهم، تحكّمت في صياغتها ظروف تاريخية واجتماعية لبيئات مختلفة عن بيئتهم، وهم يتحمّسون لها، ويدافعون عنها، ويربطون وجودهم بالإصرار على صبّ مجتمعهم في قوالبها، وكأنّها التعبير الأمثل عن خصائص مجتمعهم، وهذا هو الاستعمار الثقافي الذي يحقّق عن طريق الكلمة والفكرة ما لا تحقّقه الجيوش، ويعجز عنه ـ بالفعل ـ الاحتلال المباشر الذي تلجأ إليه جحافل المستعمرين وأجهزة الغازين السياسية والإدارية.

وبعض هؤلاء المثقفين يُشعرون الآخرين بأنّهم يعيشون على هامش التاريخ، خارج إطار المعاصرة، ويزعمون أنّ ثقافتنا قديمة مهترئة، لا تصلح للحياة المعاصرة المنطلقة، والبديل الغربي يصبح ـ بعدئذ ـ في نماذجه الشرقية والغربية هو السبيل الأوحد للانتقال من هامش التاريخ إلى قلب الحياة المعاصرة.

وعلى هذا، يتحلّل المجتمع من زيّه القومي ليرتدي الزّي الأفرنجي ـ بالتدريج ـ، وينسلخ المجتمع عن أزيائه الوطنية، تنسلخ المدن والأماكن العامة عن جذورها الأصلية وقيمها الموروثة، ينسلخ كلّ شيء من الأصيل إلى الدخيل، «الكلمات المتداولة في الأحاديث اليومية، أوكي ـ هالو ـ غودمورننغ ـ الأسماء الدارجة، أسماء الإناث بخاصة داليا «زهرة فرنسية» ـ كاميليا ـ نانسي ـ ماجي ـ يالا ـ يارا ـ لونا..».

ويأتي من يلهج بروح العصر التي تأبى التقيّد بالقديم، والقديم دائماً قديمُ قومه، والجديد دائماً جديد أهل الغرب مهما بلغت غثاثته! ويأتي من يُسبّح بحمد العلم ويزعم في المجالس أنّ الروح العلمية التجريبية (التي ألغت الغيبيّات) هي التي توجّه فكر البشر في عصر الفضاء والتكنولوجيا، ومن ثم فإنّ التمسّك بما في المجتمع من أفكار وقيم لم تمسّها روحُ العلم التي انفجرت في ديار الغرب هو عين التخلّف، وكأنّ روحَ العلم هذه تحكم حياة أهل الغرب بنفس القدر الذي تحكم به مصانعهم ومعامل أبحاثهم!

الغرب والخوف من الإسلام

خطب الرئيس الأمريكي السابق بوش أمام مجلس الكونغرس وكان مما قاله:

«إنّ العصر القادم سيكون عصر فرض الأنموذج الثقافي الأمريكي، والقيم الأمريكية في العالم».

وصرّح كثيرون من الغرب، من رجال فكر وأدب وصحافة بأنّ القرن الحالي شهد انهيار الماركسية، وأن القرن القادم سيشهد انهيار الإسلام، وانهيار العروبةمدخل لانهيار الإسلام.

وفي منتصف يونية/ حزيران 1992م خرجت مجلة التايم الأمريكية الواسعة الانتشار وعلى غلافها صورة لمئذنة مع يد تحمل رشاشاً!!.

وكان العنوان على الغلاف الرئيس:

ـ هل على الغرب أن يخاف الإسلام؟!

وتكشف المجلة في تقرير شارك فيه أكثر من مراسل في أكثر من عاصمة عربية وغربية عن اتساع رقعة البلاد الإسلامية وتوسّط بلدانها في العالم، بخاصّة إضافة جمهوريات إسلامية جديدة في وسط آسيا خرجت أخيراً من أسوار الإمبراطورية السوفييتية المنهارة، ويوازن التقرير بين ظهور القوّة الإسلامية واهتزاز قشرة الأرض التي تكوّنت على أثرها القارات، ويقول: إنّ العالم كلّه يرقب وينتظر هذا التغيير الكبير كما فعلت أوربا القرون الوسطى، عندما دقّ المسلمون أبوابها وهم في أوجّ قوّتهم.

ونشرت صحيفة هيرالدتريبون أنترناشيونال تعليقاً كتبه الباحث السياسي بريان بيدهام قال فيه:

«إنّ الحرب مع الشيوعية كانت ثانوية قياساً إلى الحروب مع الإسلام، فالحرب مع الشيوعية استغرقت 70 عاماً بينما حروب الغرب مع الإسلام بدأت منذ 1300 سنة ومازالت مستمرّة!!».

وفي افتتاحية لرئيس تحرير مجلة العربي (العدد 406 ـ أيلول 1992م) يقول:

«إنّ الغرب يستخدم وسائل خبيثة في التبشير، من بينها صنع أنواع من إطارات السيارات تترك على الطرق التي تسير فيها علامات أقرب إلى شكل الصّليب!!».

والإنسان العربي ينظر إلى قوّة العالم الغربي فيُدهش ويثق في ثقافة الغرب. أمريكا استطاعت أن تصبح أقوى دولة خلال قرنين من الزمن، وهذا مثال يجعل العربي عاجزاً بثقافته أمام هذه الحضارة ويذكر د. فؤاد زكريا في كتابه «العرب والنموذج الأمريكي» ما يلي:

«لقد أصبحت الوصفة غاية في البساطة، أمريكا بَنَتْ نفسَها في قرنين من الزمان، وأصبحت أعظم بلاد العالم، إذن فاتّباعنا للنموذج الأمريكي سوف يجعلنا بدورنا عظماء متقدّمين، وسينقلنا من الفقر إلى الغنى، ومن الضعف إلى القوة!!».

وإذا كان للغرب عقلانيته، فلنا ـ معشر العرب ـ عقلانيتنا المستمدّة من مصالحنا وواقعنا وأهدافنا، ومن هنا فإنّ تبنيّ العقلانية كما يصوّرها لنا الغرب الغازي الاستعماري، وكما يريدنا أن نفهمها ونتعامل معها، يعني بالمقابل أنّ أهدافنا ومصالحنا غير عقلانية! وعليه فإن كلّ ما يأتي به الغرب من مفاهيم وتصوّرات وقيم وحلول وتسويات يمثّل العقلانية الواعية الحضارية، وكلّ ما يفرزه العقل العربي مجرّد

بعض المثقفين يلهج بروح العصر التي تأبى التقيد بالقديم، والقديم دائماً قديم قومه، والجديد دائماً جديد أهل الغرب مهما بلغت غثاثته

أوهام وأساطير غير عاقلة؛ لأنّ مصدرها، كما يرى الغربيون، عقلٌ عربي لم يصل بعد إلى مرحلة النّضج؛ وهذا معناه التسليم بالنظرية العنصرية حول تصنيف الشعوب إلى عالم متقدّم وعالم متخلّف، وإنّ التخلّف في العالم الثالث يرجع إلى تخلّف عقلي، وليس إلى أسباب تاريخية مادية؟!!.

وليس هناك شكّ في أنّ الولايات المتحدة برزت علومها، وتوسّع سلطانها، فتحوّلت بدورها إلى مركز وجعلت ما سواها محيطًا بسرعة فائقة انبهر لها العالم فعجز عن اللّحاق بها، ورضي بالتلقّي والمتابعة، يائسًا من المنافسة، عاجزًا عن التصدّي والمواجهة، فاكتسحت ثقافة هذا المركز الجديد جلّ مناطق الدنيا، تدعمها وسائل إعلامية متطوّرة، وتيسّرها سرعة المواصلات، والمقدرة الفائقة على نشر الإمتاع والترويج الجمالي.

الإنسان العربي كائن رملي

وفي هذا البحر المتلاطم من الانبهار والشعور بالدّونية تصّاعد أصوات، وترتفع آراء، تشير من بعيد أو قريب إلى اغتراب الروح، واستلاب الشخصية، والوقوع في بحر التشتّت والتردّي والضّياع، حتى إنّ اليهودي الشرقي موسى أهارون يقول:

«أمّا الإنسان العربي فهو عبارة عن سرداب بشري يموت فيه الزمن».

وللزمن يدان قديمتان وساقان من الغبار.

ولهذا فإن أطروحة الدكتوراه التي وضعها هي محاولة لإظهار التقوية البنيوية في العقل العربي!.

ولابدّ من الحديث عن التركيب غير التاريخي للإنسان العربي.

إنّه مجرد كائن رملي (حبّة رمل تمتطي جملاً)، وعلى هذا الأساس فهو (كائن اللامكان) الذي إذا عاش (اللازمني) فعل شكل حالة غيبية (ميتافيزيقية) يعود ليأكلها في نهاية المطاف، ويشير بذلك إلى الأوثان التي كانت تصنع من التمر في أيام الجاهلية، ثم يأكلها صانعوها بعد أن يتعبدوا لها.

وبعض العرب كانوا يئدون المولودة، أي يدفنونها حيّة، إمّا لأنّها مستهلكة، وليست منتجة بما فيه الكفاية، إنّها تقتطع جزءًا من قوتهم، أو لأنّها لا تملك الفعالية الجسدية التي تمكّنها من القتال، أو لأنّها قد تجلب العار.

وكما كان العرب يئدون بناتهم، والبنت هي مركز الكون على الصعيد الحياتي (البيولوجي)



الأفلام المتحركة غربية الصنع والهوية

يريدون أن يئدوا إسرائيل التي هي مركز الكون (على الصعيد الأيديولوجي)!

والإنسان العربي على حدّ تعبير أهارون بتركيبه الحضاري، لا يرتبط بأي علاقة بنيوية بالحرية، البدوي في الصحراء حرّ طليق، لا قيود ولا ضوابط، كما أنّه لا وجود للزوايا الحادّة التي توجد عادة، في المجتمعات التي بلغت مرحلة معينة في التطوّر، لكنّ البدوي يعاني من شظف العيش، ولابدّ أن يبحث عن البديل الذي لا يمكن العثور عليه إلاّ بموت الحرّية!!

والمجتمعات العربية في نظره، هي عبارة عن مجتمعات ساكنة، لكنها ليست البحيرات الأخّاذة التي تجتذب الأنظار، بل إنّها البحيرات الجامدة التي لابدّ أن تنتج أوضاعًا آسنة!!

ويقول: إنّ (الأنا) قبعة اللغة، ولولا الأنا لما كانت اللغة قطعًا، ويفترض بكلمة أنا أن تبتدئ بحرف الألف الذي هو أول حروف الأبجدية، وأن تنتهي بحرف الألف فيما حرف النون يمثّل النواة أو الوعاء الذي ينخرط فيه العالم!

تلك الأنا الطّاغية، التي تقتل المكان والزمان معًا، لا تترك آثارها السلبية على الآخر فحسب، بل وعلى العرب بالدرجة الأولى، فالمجتمع العربي هو غابة من الخناجر، ألا يشبه الخنجر حرف الألف العربي الذي «ولد» أساسًا مثل العصا باعتباره الأداة التي كانت تستخدم للضرب في الصحراء، حتى إذا ما اكتشف العرب الخنجر أو وصل إليهم، راح حرف الألف يأخذ شكلاً خنجريًا، وإن قيل أيضًا إنّه شكل السّيف، فالمهم هو أن اللغة يجب أن تبدأ بموقف معاد كليًا للعالم.

الألف هو مَلكُ الحروف، وكل الحروف (الرعايا) يجب أنّ تنصاع إليه، وبدلاً من أن يُعنى أهارون بالبحث عن أسرار ذلك الربط السحري، يقول إنّ العرب يملكون طريقة واحدة وحيدة لبناء التاريخ: الرؤوس المقطوعة(1).

(وأهارون يلعب فلسفيًا ويلغي بطريقته تلك البعد العبقري في الشخصية العربية)!

في مجلة العربي ينشر د. سامي القباني مقالاً عن سلبيات الشخصية العربية، يقول فيه:

- من الصعب على العربي أن يعترف بخطئه.
- من الصعب أن يعترف أنّ أحدًا أفضل منه!
- من الصعب أن يعمل ضمن مجموعة.
- هو انفعالي، لا يُخطّط ولا يعمل لأهداف بعيدة.
- وهو ضائع في عبقرية لغته، يفتقد الضمير الاجتماعي.. وهو.. وهو..

كأنّما العرب وحدهم يختصّون بهذه الصفات، على الرغم من أنّ هذه الخصال موجودة في كلّ أمّة متخلّفة، وهي ليست صفات متأصّلة!.

لقد وصلت بعض الدعوات إلى درجة توحي بأن يشعر العربيّ بالخجل من انتمائه وأصالته (صورة البدوي الجاهل المنفرط في مجتمعه، الذي لا يحلو له إلاّ التغنّي بأمجاد أسلافه، ولا يتحدّث أو يفكّر إلاّ من وحي الانفعال والتوتّر، وأنّه قد فقد ضميره ولا يعترف إلاّ بذاته).

إن قوة السلاح قد تكون كبيرة، مدمرة، قادرة على فرض كفتها، لكن لغة الثقافة هي الأقوى لأنها تصوغ وجدان من يخترع الأسلحة، ومن يستعمل الأسلحة

محاولات شتّى لطمس الهوية، وتضييع انتمائها وأصولها، محاولات شتّى تبذل لاغتراب الجماهير ذاتها وتقوقعها في أطر محليّة ضيّقة، فأحداث العالم العربي، وأحداث العالم الإسلامي لم يعد لها صدى بين الجماهير، (أحداث أفغانستان، الشيشان، البوسنة والهرسك، جنوب لبنان، فلسطين المحتلة) بالإضافة إلى التناقضات الفكرية والعقدية (الأيديولوجية) التي تشهدها الساحة العربية.

لقد عمل الاستعمار الغربي على تفتيت المنطقة وتجزئتها ووقفت القوى الاستعمارية بكلّ قواها في وجه أية تطورات نحو الوحدة العربية، فهي تخشى العروبة كما تخشى الإسلام، لذلك عملت وتعمل باستمرار لعرقلة أي جهود نحو الوحدة العربية، خشية أن تكون نواة وحدة إسلامية أكبر، وأكثر من هذا تعمل هذه القوى باستمرار على الإيقاع بين العروبة والإسلام، وتزرع الشقاق وبذور الخلاف بين الدول العربية، وتساند الأقليات في داخل بعض الدول العربية، بقصد خلق التفرقة والتفتت القومي في الداخل.

ويجيء الغزو الثقافي والفكري الذي تتعرّض له المنطقة العربية من الخارج ليكمل هذه السلسلة من الأساليب والإجراءات التي تقصد إلى تحطيم الهوية العربية وأسسها الأصيلة، وأبواق الدعاية لا تهدأ في المنطقة، فهذه الدعاية تدّق على نغمة النظام العالمي الجديد، وهذه الدعاية تتغنّى بالنموذج الغربي، وهذه الدعاية تركّز على مقولات السلام، وكل الدّعايات تتمركز حول تحطيم القوى المعنوية للمواطن العربي وتحطيم ثقته بنفسه وبقدرات أمته وتقاليدها الحضارية.

صارت قيم المواطن العربي تخضع لعملية إعادة ترتيب منظمة، هدفها ضرب القيم الأصيلة، وتحطيم المثل العليا، التي تمثّل محور الهوية بالنسبة للمواطن، واستبدال قيم استهلاكية غربية بها، قيم من شأنها تمييع الشخصية العربية وضمان استمرار التبعية.

(فمثلاً تطرح مقولة: خطأ شائع خير من صواب مهجور، ومقولة: خذ الصّفر ولا تبالِ بين طلاب المدارس، وما قصّر في الأعمار طول السهر، القمصان المشجّرة التي نرتديها وما يكتب عليها، الأغاني المبثوثة والكلمات المدسوسة فيها..).

المواجهة

لم يعد الغرب بحاجة إلى ورقة توت يستر بها عريه وعورته وعاره، فيما يتّصل بممارسة الغزو الثقافي تحت ستار المدنية ونقل الحضارة، ومن يقرأ خريطة التحرّك الغربي يرى بوضوح المرتكزات التالية:

- تفتيت الوطن العربي وإضعافه.
- إجهاض كل أشكال التضامن العربي.
- إذكاء الخلافات العربية - العربية.
- القضاء على التماسك الأخلاقي والاجتماعي.
- إحكام الحصار على العرب حتى لا يملك أيٌّ منهم قوة عصرية علمية أو تقنية أو عسكرية أو اقتصادية.
- التصفية البطيئة لحضورهم الحيوي والثقافي والعقدي، وهذا هو نظام العالم الجديد، إنّه بكل بساطة نظام القديم القديم، الجديد المتجدّد.

كل بلد له حساباته بمعزل عن الآخر، تأخذهم فرادى وتفتك بهم وحداناً، وتفوز بجعلهم أرانب في حقل مكشوف في زمن تتخبّط فيه الرؤى ويزدحم بالغثّ والرخيص من القول والفعل وفقدان الطريق إلى الهدف الصحيح.

إنّ قوة السلاح قد تكون كبيرة، مدمّرة، قادرة على فرض لغتها، لكنّ لغة الثقافة هي الأقوى لأنها تصوغ وجدان مَنْ يخترع الأسلحة ومن يستعمل الأسلحة، وحفظ النوع البشري، ودوام نموّه ورفاهه، وحفظ الشعوب من أخطار السلاح النووي وكل أسلحة الإبادة والدّمار الشامل، منوط بقوّة الفكرة وقدرة الثقافة، لأنّهما عاملا حفظ وازدهار من جهة، وعنصرا ردع وكبح من جهة ثانية.

ورفض الغزو، والوقوف في وجهه، لا يكون باتّخاذ المواقف البطولية والتشهير بالهيمنة الغربية، بل بالإسهام الفاعل في إنتاج ثقافة عالمية قوامها الجودة والإبداع الفنيّ ومعالجة قضايا الإنسان دون إغراق في الالتزام على حساب الفنّ.

وإنّ الآراء التي تطرح من أجل الوقوف أمام هذا الغزو الثقافي تقوم على أساس هضم الثقافة وإعطائها صبغتها العربية الأصيلة، وهذا الرأي يتبنّاه كبار المفكرين في عالمنا العربي، الثقافة العربية بتراثها وأصالتها قادرة على أن تستوعب جميع الثقافات وتعيد صياغتها بالطابع العربي الأصيل دون أن تؤثر في بنيان النفس العربية واتّزانها.

وعليه، فلابدّ من إملاء الفراغ الثقافي الذي نتج عن هجران التراث، وعن الكسل، في الإبداع والتجديد وتحرير القيم الإسلامية الأصيلة الكامنة من الأقنعة المستعارة.

وإنّ الدعوة إلى إحياء اللغة العربية، وإلى تعميمها بلغة سليمة، هي دعوة إلى الأصالة الثقافية، دعوة إلى الدفاع عن الذاتية الثقافية.

اللغة العربية هي حاضنة ثقافتنا، لأنّها لساننا وترجماننا، وبها تنزّل الوحي على نبيّنا العربي الكريم - صلى الله عليه وسلم -.

وليست اللغة العربية مكتوبة أو مروية مجرّد لغة خطابية، بل هي الحضارة ذاتها تمثّلت بذلك التراث الضخم، وتمثّلت بذلك الإنسان المبدع الذي انتمى إلى اللسان العربي وصنع الأوابد والروائع والطرائف.

إنّ الخطر لا يوضع تحت كَيْل فيخفى، والناس لا تتحوّل عن طبيعتها لمجرّد أنّ الرماد قد يغطي جذوتها، ونحن في زمن، النارُ على حدودنا، والخطر الثقافي يتهدّد وجودنا ومصيرنا.

ولابدّ أنْ يأخذ الحوار دوره في مجتمع ما، ويؤدي دوره في تحقيق التّواصل بين بني الإنسان، والمواجهة مع المتسلّلين والغازين ليست سهلة، والمثقفون العرب والمسلمون والمؤسسات الإعلامية ومؤسسات التنشئة في العالم العربي والإسلامي كلّها يجب أن تتحمّل قدراً من المسؤولية.

وحين تُلغى التناقضات المفتَعلَه بين العروبة والإسلام يتحقّق التنسيق والتعاون الثقافي، وتتحدّد رسالة الإعلام العربي في تكتيل الإرادة العربية ورسم الأهداف، وإيجاد المؤسسات الواعية لذلك. ولابدّ من أن يتخلّى - عندئذ - المثقفون العرب عن سلبيتهم، فهم نبراس هذه الأمة الذي ينير لها آفاق التطور، ويفتح لها باب الأمل في ليلها الحالك.

ولابدّ من العمل على غرس مجموعة القيم التي تؤكد على أثر هذه الأمة ودورها في الحضارة الإنسانية.

إنّ التحصّن بالنظرة الصافية والتمسّك بالقيم الأصيلة وإرساء مبدأ الحوار بين المثقفين والخروج من دائرة التبعية الثقافية إلى رحاب التواصل المفتوح، ينقلنا إلى ساحات الضوء إن شاء الله.

هوامش وإحالات:

1- الثقافة الاستهلاكية، مسعود ضاهر.
2- إشكالية الهوية في المنطقة العربية، حسنين توفيق إبراهيم، العربي 303، 1984م، ص 97.
3- العربي 406، أيلول 1992م، افتتاحية العدد بقلم د. الرميحي.
4- العربي 265، كانون ثان 1980م، عون الشريف قاسم.
5- الموقف الأدبي 249، د. ع. ع. عرسان، دمشق.
6- دراسات في الثقافة العربية، ع. ع. عرسان طرابلس الغرب.
7- القبس الكويتية، 6384، 1990/2/15م. أطروحة يهودية عنصرية تلغي البعد العبقري في شخصيتنا.
8- الصيّاد، 2643، 30 حزيران 1995م، ضبضبوا أولادكم باكراً، (تحقيق عن نجمة الجنس ترايس لورون) ص 40.
9- الوحدة، 83/82 يوليو 1991م ص 302، رسائل ثقافية، بيروت، محمد نورالدين، المؤسسات التربوية الأجنبية والحياة اللبنانية.
10- الفيصل. 208، مارس 1994م، عبدالملك عبدالرحيم، على موعد 146.
11- الفيصل، افتتاحيات رئيس التحرير د. زيد عبدالمحسن الحسين، أعداد متفرقة. 236 وما قبلها.



إثارة هذا السؤال أمر مناسب مُهم، حيث إننا أمة سجينة الماضي أكثر من أي أمة أخرى، نجتره كل يوم ونعيش بداخله. ولا أظن أن الإغريق مثلاً مع ما كانت لهم من حضارة واندثرت، يجترون ماضيهم كما نجتره نحن، وأشك في أن اسم «الاسكندر» مثلاً له عندهم شعبية أسماء مثل «طارق وخالد» عندنا، لا ولا يفاخر الإيطاليون بيوليوس قيصر أو يتحسرون على انقضاء عهده، مثلما نفعل نحن نحو ماضينا.

وللإجابة عن هذا السؤال دعونا نحدد حدود الماضي أولاً، أين يبدأ وأين ينتهي؟ إننا عادة ننظر إلى تاريخنا قبل الإسلام وكأنه تاريخ أمم أخرى، فلا نعتز كثيراً بإنجازات الفراعنة أو بابل أو هانيبال. وهذا شيء مفهوم إذ إن هويتنا صارت هوية إسلامية. بل إن بعض الدول المسلمة حاليًا التي لم تشارك في بناء الحضارة الإسلامية تنظر إلى تاريخ الدولة الإسلامية وكأنه تاريخها وتشعر بصلة قوية تشدها إلى تلك الحقبة وإنجازاتها. وبحسبان أن الماضي الذي نتحدث عنه يبدأ بالإسلام وينتهي بالجيل الذي سبقنا مباشرة، فالماضي الذي نناقشه هنا هو الأربعة عشر قرناً الأخيرة بالتقريب.

ومن وجهة نظر كمية، يمكن القول: إنه من بين الأربعة عشر قرناً هنالك أربعمئة وبضع سنوات تقريبًا فقط كانت جميلة فعلاً، هي مدة النبوة والخلفاء الراشدين والعهد الأموي والعصر العباسي الأول، يضاف إلى ذلك مدة الأندلس وبعض الومضات هنا وهناك مثل عهد بني حمدان وبني أيوب والفاطميين في مصر والشام، ومحمد الفاتح في القسطنطينية. تلك كانت عهوداً جميلة حقًا بمعنى أنه كان لنا فيها عزة ومنعة، وفيها نشرنا العدل وبسطنا الرحمة باسم الله وأرسينا الأمن والازدهار الاقتصادي، وهيأنا للعلوم والمعرفة الانتشار. أما الفترة الباقية من تاريخنا، التي تقارب الألف سنة فقد تنقلنا فيها من انحدار إلى انحدار على أيدي المغول والعجم والمماليك وأخيراً الأوربيين. على هذا لم يكن ماضينا كله جميلاً، بل إن جله لم يكن كذلك.

هذه طبعًا نظرة تركز على الكم وتهمل الكيف، وقد نرجح الفترات القصيرة المزدهرة على الفترات الطويلة المنكسرة.

وحالنا اليوم لا ترقى بأية حال إلى عظمة حالنا في فترات الازدهار لكنها حتمًا خير ألف مرة من حالنا في فترات الانحسار.

هنالك شيء آخر هو أن نظرة الفرد والأمم إلى الماضي دائمًا تشوبها غشاوة. حينما يتذكر الإنسان العادي ماضي أيامه ينسى المتاعب والآلام ويتذكر الجوانب الحلوة فقط. عندما نتذكر أيام الدراسة الثانوية مثلاً، ننسى ساعات الدراسة الطويلة المملة وتشدد الآباء والمدرسين وأقلام البوص، والورق والكشاكيل الرخيصة، كما ننسى القلق والخوف من الإخفاق في القبول للجامعة. ونتذكر المواقف الطريفة فقط «والوناسة» و«خلو البال» الذي لم يكن خاليًا حقيقة. وكلما كان الحاضر محبطًا والمخاوف تلف المستقبل، بدا الماضي جميلاً. أعتقد أن هذه النظرة الرومانسية تجعل الجمال في الماضي يغمرنا حينما نتذكره، بخاصة أن حاضرنا لا يرضي طموحاتنا وتطلعاتنا موازنة بالآخرين.

هذا لا يعني أن ننسى الماضي كلية فمن «نسي قديمه تاه» كما يقول أهلونا، بخاصة أن في ماضينا الكثير الذي نستطيع أن نستمد منه الإلهام. الحضارة الغربية لا تعيش في الماضي ولكنها لا تنساه، بل إنهم يعرفون حضارتهم بالحضارة «اليهو - مسيحية» JUDO - CHRISTIAN CIVILIZATION. الغرب لم يتحضر لأنه نسي دينه، لكنه سينهار لأنه لم يعد يذكره. حضارتنا السابقة كانت مسلمة وكذلك ستكون حضارتنا القادمة، فقط علينا أن ننظر إلى أسسها الحقيقية، فهي قد قامت على «الوحدانية والعدل والرحمة»، فالواحد القهار هو العادل الذي كتب على نفسه الرحمة . و«العدل» من أكثر الكلمات ذكراً في القرآن العظيم، كذلك يروى عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: «إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة»، علينا أن ننطلق من هذه المفهومات لا من التشنج والتطرف الذي نراه عند البعض.

أما لوم شباب اليوم وتحميله المسؤولية وحده فذلك أمر شطط. كيف نلوم الشباب على وضع سابق لهم؟! فالتخلف لم يبدأ بالأمس ولن يكفي مجهود جيل واحد لإزالته. والشباب على أية حال يعمل ويطمح ويحلم تحت معطيات معينة تحكم تفكيره وطموحه وأحلامه وليس له فيها يد.

هنالك قيود معينة وأحكام موضوعة بعضها حميد وضروري، وبعضها ضار وغير ضروري. كما أن الحضارات والنمو الذي تم في الأمم الأخرى جاء نتيجة لسلسلة من الأفكار والومضات والإنجازات التي تبنى بعضها فوق بعض. هذه الإنجازات بدت أحلامًا بعيدة المنال في أولها لكن الشباب المصرّ المثابر أنجزها رغم الموانع والقيود.

دعونا من لوم الشباب ولنهيئ لهم الفرص في جميع المجالات بما فيها

الاقتصادي، وهذا مجال أشارت دراسة حديثة لمؤسسة مرموقة فيه إلى أن الشرق الأوسط من أكثر مناطق العالم التي تهيمن فيها الدولة على الاقتصاد وذلك من مخلفات النموذج الاشتراكي الذي اتبعته بعض بلداننا، الشيء الذي يقف عائقًا أمام كثير من الشباب عندنا، بينما كثير من الإنجازيين الذين أغنوا وشكلوا عالمنا هم رجال أعمال شبان مقدامون(entrepreneurs)، بالإضافة إلى مواهبهم الأخرى، ابتداءً من أديسون وفورد مرورًا بماركوني ووقوفًا ـ لا انتهاء بـ ـ بيل جيتس!

د. أحمد عبدالرحمن أحمد

الشباب

كلمة رقيقة رنانة تهتز لها القلوب والمشاعر، وتنعم بها الأفئدة، قيثارة تعزف بها ولها الأمم على مر العصور والحقب، الشباب وترنو لها الآمال.

الشباب الأمل، العَمَلُ، الشباب ذخيرة الماضي، وحلم الحاضر وأمل المستقبل.

والشباب كلمة لها سحر وجاذبية، يرددها الشيخ فيمتلئ قلبه حيوية ونشاطًا، وينسى شيخوخته وكأنه المعنيّ بها، يرددها الأب فيمتلئ فخرًا وسعادة بما حققه ونشأ أولاده عليه.. ويرددها الشاب فيمتلئ قوة وحيوية وأملاً وحلمًا في مستقبل سعيد، والشباب أيضًا هم العنصر المهم والفعال في صنع الحضارات على هذه المعمورة منذ أن بدأ الله الخلق، هُمْ وبهمْ نتطلع إلى الآفاق البعيدة التي تفوق الأحلام وما بعد الأحلام.

ومن هنا كانت عناية الأمم كافة مهمة جدًا بهذه الشريحة الفاعلة، عصب كل ما هو جديد، وكل ما هو خير، وكل ما هو أمل.

يبدو الماضي جميلاً في أذهاننا نحن العرب، اعتمادًا على ما نرى من مئذنة شامخة، أو قبة جاثمة، أو نخلة باسقة، أو عمامة مكورة، أو حجاب مسدول.

ويكتنف الحاضر نظرة تشاؤمية تسبب الإحباط للشباب الذي يُنظر إليه بازدراء اعتمادًا على ما يرى من بناء عال، أو كهرباء مسخرة، أو وجوه سافرة أو رؤوس حاسرة، أو صدور وسيقان مكشوفة.

وبين هذا السؤال وذاك أين نحن؟؟ أو بمعنى أكثر دقة وأعمق تحديدًا أين الشباب؟؟، هل هم في الشرق أم في الغرب؟ هل هم في شرق غربي أم غرب شرقي أم في بقعة من الأرض لا هي شرقية ولا هي غربية أم شرقية غربية بل شمالية جنوبية معًا؟!

فالشباب العربي في مزيج متداخل متفاعل من قديم وحديث ومن ماض وحاضر، من أوروبي وأفريقي وأمريكي، من جمود وثورة؛ لأن بيئة تتركب من مثل هذا المزيج جديرة بأن تنتج مثل ذلك الشباب، بل ربما لم تكن جديرة إلا بإنتاج مثل هذا النموذج من الآدميين. له صفات كثيرة، ومرّ في أطوار مختلفة، وترى له جوانب متعددة. فهو عَالِمٌ جاهل، ومتفائل متشائم، وهو وديع ثائر، وهو راض ساخر، وهو شابٌ هَرِمْ، وهو فـي الجملة نموذج فريد.. متداخل معانق لكل العناصر التي تكوّن بيئته، وتحدد خطوطها.

غير أن هناك صفات ثابتة يتميز بها دائمًا، ولاشك أننا نلمسها في كل أحواله، وفي كل طور من أطواره.. تلكم التمسك بالقيم الروحية والأصالة والحياء، والمتأمل لمظاهر الحياء عند الشباب يجدها كثيرة متنافرة حيث يتجلى فيها أحيانًا خط من الجبن وخط من الكرم وخط من سعة الصدر، وخط من الاستهتار، وما أظن أن معركة الجبر والاختيار ـ التي أطلقت أولى رصاصاتها، منذ أن حلا للإنسان أن يتفلسف ـ قد آذنت بهدنة أو صلح، أو نهاية تتقرر بانتصار أحد المعسكرين ـ وما أظنها إلا ستظل كذلك مادام الإنسان موجودًا، ومادام لهذا الإنسان عقل، ومادام هذا العقل يفكر ويتفلسف، ومادام هناك الماضي وهنا الحاضر، وهناك القديم وهنا الجديد.

ومما لاشك فيه أن كل حقبة زمنية تخضع لظروف وأحكام كونية، وتطورات حضارية، وتقدم علمي محدود بنمط معين لتلك الحقبة؛ وذلك في المجالات الحياتية المختلفة لسكان منطقة ما. ونحن في عالمنا العربي يسري علينا ما يسرى على أي مجتمع إنساني، نَمُرّ بمثل هذه الظروف وتلك الحقب، وبما أن الشباب هو العنصر الفاعل والفعال في كل المجتمعات كما ذكرنا آنفًا، فإننا نرى الشباب ينظر إلى واقعه وحاضره نظرةً تشاؤمية تسبب له الإحباط، ونراه يسجل في كل درب من دروب الحياة عدم الرضا عما حوله، وعمّا يكتنف الحياة في شتى صورها وأنماطها، وحتى أحيانًا لا يرضى البعض عن نفسه هو بما هو إنسان، صانع لهذه الحياة، ونجد أن البعض يفرط في التفكير في فلسفة الأمور وتطويعها، بأن الماضي كان أفضل وأن الماضي كان أجمل ، وأن الماضي بكل ما حوى، وبكل ما كان يعتبر الأمثل في كل شيء.. وبنظرة متأنية ثابتة، وبرأي حكيم عادل نستطيع أن نؤكد أن الماضي كان جميلاً في حينه، كان جميلاً في أصالته، كان جميلاً في قيمه، كان جميلاً في كل ما يتفق مع الخير، كان جميلاً بما يحقق للإنسان السعادة والرفاهية، بما يحقق له الأمل في الحياة الأفضل، كان جميلاً بما يهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم، كان جميلاً بما يبعد الإنسان عن التردي في الرذيلة والأهم من ذلك كله كان جميلاً بما يجعل الإنسان يتمسك بقيمه الدينية المتأصلة في الشريعة السمحة التي هي الينبوع الكبير الذي يهب الإنسان الفرد الحياة الكريمة الآمنة على سطح المعمورة.

نعم كان الماضي فيه كل هذا، ومن عاش ذلك الماضي، وعاصر كل هذه المعطيات قد تفوته النظرة المتمعنة في جمال كل هذه الأمور وهو يحيا في وسطها، وهو معايش لها، ويمرُ الزمان، ويصحو الإنسان، بعد أن أصبح ذلك كله ماضيًا. وبعد أن تتغير الظروف.. ويصبح الماضي ماضيا، وتحدث الثورات المذهلة في عالم العلم والمعرفة والتقدم التقني (التكنولوجي)، وبعد أن تصبح الدنيا صغيرة جدًا وتنتقل الأحداث على سطح الكرة الأرضية في ثوان من جراء ذلك التقدم في علوم الحاسوب وفي شبكات الإنترنت، تقدم مذهل يومًا بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة، تقدم يستطيع فيه رجال الأعمال القيام بأعمالهم التجارية، وصفقاتهم من خلال مؤتمرات لا يتكبدون لها عناء الانتقال بالطائرات، بل تعقد تلك المؤتمرات بين بضعة أفراد فـي أماكن، بل قارات مختلفة من العالم، وتعقد تلك الصفقات التجارية والصناعية من طريق شبكات الاتصال خلال ساعة من الزمن، يتحقق بفضلها حصول الفرد على متطلباته بوساطة تلك التقنيات الجديدة والمتجددة دائمًا.

نشءَ الخير، يا أمل المستقبل، رويدًا في نظرتكم التشاؤمية للحاضر، مهلاً في نظراتكم بازدراء إلى ذلك الذي فُعل وأُنجز، مهلا في الحكم على حياتنا الحاضرة بأنها لا تروقكم، إن هذا الحاضر أسس على جمال الماضي، نعرف ـ نحن الشيوخ ـ أنكم قد تكونون متعجلين تواقين إلى حياة أفضل، نعرف أنه قد لا يرضيكم ما تحوزونه من معطيات، نعرف أن تطلعاتكم قد تكون أكبر مما أنتم فيه الآن، وهذا قد يسبب عدم الرضا.

لكن إذا أخذتم من الماضي جماله، وأصالته وقيمه العليا، وسراطه المستقيم، وأخذتم خبرة الحكماء والعقلاء، وأخذتم منهم المثل الأعلى الذي يحتذى.. لاستطعتم باستيعابكم لجمال الماضي، ومعايشتكم لضروب التقدم والتطور في ظلّ توجيه قياداتكم الحكيمة، تستطيعون أن تتجنبوا الخطأ، وتبتعدوا عن التخلف، وتواكبوا التطور وتصبغوا الحياة بكم ولكم وعلى أرضكم لذرياتكم من بعدكم، وفقكم الله يا نشء الخير، يا صناع المستقبل يا أمل كل من له أمل.

د. علي الشيخ

الشاعرُ والزنجيَّة

د. حسين علي محمد

أصدر الشاعر شفيق معلوف (1323هـ / 1905م - 1396هـ / 1976م) مجموعته الشعرية الأولى عام 1345هـ/1926م، قبل أن يسافر إلى مهجره بعام واحد. وقد صدرت المجموعة عن دار إنجليل بشارع البوسطة، ببيروت، وتضم ست لوحات «بريشة الأستاذ المتفنّن انطوان» وتحمل عنوان «الأحلام». وتحتها كُتب بخط صغير «قصيدة خيالية اجتماعية». فماذا قدَّم هذا الشاعر - الذي عُرف فيما بعد بشاعر عبقر - في بواكيره؟

تضم هذه المجموعة ثلاثة أحلام، وكل حُلْم يضم تسع قصائد، وكل قصيدة تتكون من سبعة أبيات (مجموع أبيات المجموعة مئة وتسعة وثمانون بيتا).

ويحمل الحُلْمُ الأول عنوان «على أقدام الزنجية»، ويُقدِّم له ببيتين من شعر أبي العلاء المعرّي، هما:

إلى اللّه أشكو أنني كلَّ ليلة
إذا نمْتُ لم أعدَم طوارق أوهام
فإن كان شرًا فهوَ لابُدَّ واقعٌ
وإن كان خيرًا فهوَ أضغاثُ أحلام!

فمن هي هذه الزنجية التي يسكبُ شاعرُنا عبراته على أقدامها؟

يقول في النشيد الأول تحت عنوان «الشاعر»:

أمرَّ نسيمُ العشية كفًا
على جبهةِ الشاعرِ الشاحبةْ
دعوه يزحزحُ عن قلبِه
بقيّةَ حبّاته الذّائبةْ
ولا تُزعجوه لئلا تَوقَّفَ
في صدره روحُهُ الواثبةْ
ليستخلص الشعرَ من نسمات
تهيمُ في اللجّةِ الصاخبةْ
ويستنزف الدّمع من طبقات
الأثير فأجفانُهُ ناضبةْ
هو الشاعر.................
وإن تكُ آمالُهُ ذاهبةْ

إن الشاعر - في ختام صباه، ومطلع رجولته - يبحث عن حقيقة الوجود، وهو يرى - كغيره من الرومانسيين - أن العالم بصخبه، وضجيجه، وعنفه يغتال براءته. فأين يجد هذه البراءة ليعيش في عصرها الجميل، وتعود إليه إنسانيته المُهدرة وآماله الذاهبة. وهو الشاعرُ الذي يستطيع أن يمسك بالحقيقة. وإذا ابتعدنا عن إزعاجه. فهو قادرٌ على استنزاف الدمع من طبقات الأثير..

ياله من شاعر رومانسي فذ في مبتداه، وفي قدرته على التشكيل بالصور. لكننا سنعاود السؤال من هذه الزنجية؟

لقد كتب شاعرنا قصيدته هذه عقب نهاية الحرب الكبرى الأولى (1914م - 1918م) هذه الحرب التي جعلته «يتيقظ على تلك الفاجعة وهو بين العاشرة والرابعة عشرة.. وينضج، ويُدرك من أسرار المصير ما لا قِبَل لسواه به في عمر طويل. ولقد بدا الإنسان في تلك الحرب، سريع العطَب، تافه المصير، كُلِّي العجز، يترقب الموت أن يُلمَّ به؛ وهو لأيريم؛ شبح زوالي لا شأن له، ولا قُدرة لـه على التحدي والصمود» (شفيق معلوف: شاعر عبقر، إيليا الحاوي، ص13).

ومن ثمَّ رأينا شاعرنا يلجأ إلى الشعر، عساه يكون ملجأه الأخير في البحث عن البراءة التي اغتالوها في الحرب، وكأنَّ عصرَنا بعد الظلام الدامس الذي عاش فيه حربا مهلكة، سيعود إلى البراءة، ويلتقيها، ولن يُفرِّط فيها.

يقول في النشيد الثاني وعنوانه «الزنجية»:

عشقت ابنة الليل زنجيةً
تُرصع فاها دراري المجرّةْ
رأيتُ الثريا على خدِّها
كوشْمٍ، فصعَّدْتُ في الجوّ زفرةْ
وعاهدتُها الحبَّ فهي أليفـ
ـة صدري، وكم فرَّجت عنه حسرةْ
إذا انتصف الليل قمتُ أريقُ
على قدميْها مدامعَ مرَّةْ

في وسط الليل والظلام الدامس (أهوال الحرب، والقتل، والتشريد، والخراب...) تشرق هذه الزنجيَّة (تعود البراءة تشرق من جديد)، ويفكر الناسُ في إنسانيتهم التي اغتالوها).

يجد شاعرنا الزنجية، ويجالسها، ويُفضي لها ببوح نفسه، ولكن طبيعة الناس، أو قُل طبيعة الكون تتغلّب في النهاية - مرة ثانية. وتُغتال البراءة من جديد، فيصرخ في نهاية النشيد الثالث:

فيالك كونًا تقاذف نفسي
من مشكلات إلى مشكلات

ويظلُّ الشاعرُ حالمًا بعصر البراءة، فلا يرى إلا «كرة النار» - وهذا تعبيره في عنوان أحد أناشيده - تتدحرج في الأفق . وينظر حوله فيرى الزلازل في هجمة كاسرة لاتُبقي ولاتذر، والعواصف تهب، والصواعق تهمي، والسيول تجري، والكواكب تثور، والوجود يُمسي عبابًا من النار.

وكأن الشاعر يقول في حُلْمه الأول: إنَّ وحش الشرور الإنسانية الذي انطلق من قمقمه في الحرب الكبرى الأولى، سيخرج مرة ثانية، في غضبة ماحقة، لاتُبقي ولاتذر. وإن الفناء سيغتال حلم الخلود:

سيفنى الخلودُ على الأرض مثل
فناءِ المعالمِ في بابلِ
فكُلُّ الذين إليه سعَوا
رمَوا نفْسهم رميَةَ القاتلِ
فراحوا يذيبون أرواحهم
بخورًا على مذبحِ الباطلِ
ألا يعلمون بأن الخلودَ
على الأرض أمنيةُ الجاهلِ؟

ولقد صدق الشاعر فيما توقَّع، فبعد نشر هذه المجموعة بثلاث عشرة سنة، خاض العالم حربًا مروّعة، قضت على ملايين البشر، وأحدثت من الخراب والتدمير ما يفوق أثر الزلازل والبراكين التي مرت بها البشرية في تاريخها الطويل!

حكاية النيل في هذا الزمان

حسني سيد لبيب

ما أكثر الشعراء الذين تغنوا بالنيل، لما يحمله لهم من ذكريات حلوة عن أيام الصبا. وكم شهدت ضفافه لقاء الأحبة والخلان. وما أكثر الشعراء الذين بثوا النيل النجوى والحنين، والشكوى والأنين. فالنيل صفحة حانية من صفحات تاريخ الشعر المصري. وفي قديم الزمان، قدس الفراعنة النيل، مصدر الخير لبلادهم، والذي قال عنه هيرودوت مقولته المعروفة: «مصر هبة النيل». فالنيل أصل الحضارة المصرية في ربوع الوادي.

وجد المصريون القدماء في فيضه رضا وكرمًا، وفي غيضه غضبًا وشحًا. عاش المصريون سنوات الرخاء من فيضه وكرمه، مثلما عاشوا سنوات عجافًا من غيضه وشُحِّه، لذا فقد حَرَّموا تلويث مياهه. ويصف المقريزي زمن قحط مر بمصر، حين غاض ماء النيل، فيقول: «ثم وقع غلاء في زمن أتريب بن مصريم، ثالث عشر ملوك مصر بعد الطوفان، وكان سببه أن ماء النيل توقف جريه مدّة مئة وأربعين سنة، فأكل الناس البهائم حتى فنيت كلها، وصار الملك أتريب ماشيًا، ثم أضعفه الجوع حتى لم يبق به حركة سوى أن يبسط كفيه ويقبضهما من الجوع، فلما اشتد الأمر عليه، وطال احتباس النيل، وشمل الموت أهل الإقليم، كتب أتريب إلى لاذو بن سام بن نوح عليه السلام بذلك، فكتب لاذو إلى أخيه أرفخشذ بن سام فلم يجبه بشيء، حتى بعث الله هودًا ـ عليه السلام ـ فكتب إليه أتريب يلتمس منه الدعاء برفع ما نزل بأرض مصر. فأجابه هود ـ عليه السلام ـ إني أدعو لكم في يوم كذا، فانتظروا فيه جري النيل. فلما كان ذلك اليوم جمع أتريب من بقي بمصر من الرجال والنساء وهم قليل عددهم، فدعوا الله تعالى وضجوا واستغاثوا به. وكان ذلك عند انتصاف النهار في يوم الجمعة، فأجرى الله سبحانه وتعالى النيل في تلك الساعة»(1). وكتب المقريزي يصف حالات عسر كثيرة بسبب نقص مياه النيل، والقحط الذي عم البلاد. وفي العصر الحديث، بُني السد العالي في مطلع الستينيات، فحمى البلاد من الفيض والغيض، وانتظم المنسوب.

هذا النيل المبارك، كان مصدر وحي وإلهام للكثير من الشعراء، يستوحون منه قصائدهم، وهم يتأملون النهر الخالد في سريانه وجريانه. وهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يقرض قصيدة طويلة عن النيل، زاخرة بالصور والأخيلة، يقول في مطلعها:

من أيِّ عهد في القرى تتدفق
وبأيِّ كف في المدائن تُغْدق
ومن السماءِ نزلتَ أم فُجِّرتَ من
عليا الجنان جداولا تترقرق

ولقب الشاعر محمد حافظ إبراهيم بشاعر النيل. واللقب لم يطلق جزافًا، فقد «ولد على ماء النيل لا على شطآنه، بعائمة في بلدة ديروط، بمحافظة أسيوط»(2).

على ضفاف النيل، تتعدد الرؤى، وتتباين المشاعر والأحاسيس. وقد عبر الشاعر عبدالستار سليم في قصيدته: «الناي وضفاف النيل»(3)، عن جدب المشاعر والأحاسيس في زماننا.

غيض القريض ـ فلا شدو على فنن
ولا صفتٌ ـ إن شدونا نحنُ ـ آذانُ
فلا السنابلُ تعطي قمحها نضرا
ولا السحائبُ فيها الوَدْقُ هتّانُ
ولا الشواديف حنّت في تأوُّدها
ولا السواقي لها في الليل ألحانُ
ولا السماءُ تضم الطير حانية
عند المساء.. ولا في الأرض أكنانُ
والناي فوق ضفاف النيل.. أنّته
سالت دموعًا.. وما للدّمع أجفانُ

وتبارى الشعراء في تدبيج قصائدهم متخذين (النيل) رمزًا، يشونه مواجعهم وشكواهم، متخذين النيل/الرمز معنى راقيًا للوطن، وهويته الصحيحة. سيما وقد تصارعت أمواج المذاهب والفتن والإحن على البلاد، مما يستنفر الشاعر الغيور على بلده، فيعبر برؤيته عن مصر الوطن والتاريخ والحضارة، عن مصر العريقة المؤمنة، عن كنانة الله، وعن نيلها الخالد. فانبرى بعض الشعراء في تجسيد رؤيتهم الإبداعية، بعيدًا عن الذاتية المريضة



التي خدرت البعض، وبعيداً عن الغموض الذي فتن به البعض الآخر، وصار هذان الفريقان كمن يجري وراء سراب. انبرى الشعراء ذوو الرؤية والحس الفني والوطني، يوقظون الأمة من سباتها، معبرين عن هويتها وقيمها وأصالتها، صونًا لها من دعاة التغريب والترهيب، لتكون مصر المحروسة كنانةُ الله في أرضه واحةَ أمان، ينعم فيها الناس على شطآن النيل بالأمن والأمان. وقد تبارى الشعراء يخطبون ود النيل، رمزًا للعطاء، وتأصيلاً للشخصية الوطنية، وتأكيدًا على أنه لن يبني مصر إلا سواعد أبنائها.

نعم، تبارى شعراء نابهون، في الكتابة عن النيل، رمز الخصب والعطاء، وشعرهم يقول مضمونه: إذا كانت مصر هبة النيل؛ لأن النيل واهب الخير والحياة لها، فما أحرانا باتخاذ النيل رمزًا ذا دلالة، فنعزف على شطآنه أغنيات حب الوطن. لكن الأغنيات جاءت ملأى بالمواجع والشجون.

ومن بين عشرات القصائد التي اتخذت النيل رمزًا ذا دلالة وإيحاء، نلقي الأضواء هنا على قصيدة «النيل» للشاعر فاروق شوشة(4). وتتربع القصيدة في مكان الصدارة في رياض الشعر العربي. ولا ننتقي القصيدة؛ لأننا عقدنا موازنة بينها وبين غيرها من القصائد، أو أننا انتقينا شاعرها من بين الشعراء؛ فانتقاء القصيدة لا يخضع لأي وجه من وجوه الموازنة، على مستوى القصيدة أو على مستوى الشاعر، فما إلى هذا قصدنا، لكننا انتقينا قصيدة «النيل» هذه لتفردها، ولأنها نسيج وحدها، لا تظلم غيرها من القصائد، ولا تجور على حق غيرها. كما أن صاحبها شاعر متفرد قدير، لا يظلم غيره من الشعراء، ولا يجور على حق غيره. ونحن على يقين بأن الديوان العربي زاخر بالدرر واللآلئ، وبالأصوات الشعرية الجديرة بالإصغاء والاعتبار.

(نيلُ) فاروق شوشة يشخص قبالتنا، من أول القصيدة إلى آخرها، شيخًا محنيَّ الظهر، طاعنا في السن، إيماءة إلى تاريخه العريق منذ آلاف السنين، وهو يواصل رسالته، بجريانه من منبعه إلى مصبه. النيل/الشيخ هنا، إيماءة ذكية، يستغلها الشاعر باقتدار وحنكة، ليروي من خلال القصيدة/القصة، حكاية النيل في هذا الزمان، أو حكاية زماننا كما عاصرها النيل. وما دامت الأداة الفنية طاوعت الشاعر الفنان في تشخيص النيل شيخًا أثقلته المحن، والأيام والتجارب، فإن الصياغة الفنية للنص الشعري تجنح إلى لغة القص، فتسلس الكلمات، وهي تعبر عن رحلة الشيخ الطويلة حتى وصوله أبواب القاهرة..

«ألقى النيل عباءته فوق البر الشرقيّ ونام
هذا الشيخ المحنّي الظهر،
احدوْدب
ثم تقوّس عبر الأيام»

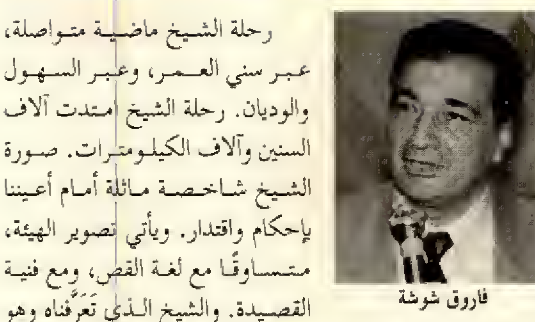
يخط يراع الشاعر هنا، صورة لهيئة النيل/الشيخ، وما صنعت به السنون، فصار الظهر محنيًا، أحدب، مقوسًا، وتكفي صفة واحدة منها لبيان المراد، لكن الصفات الثلاث أتت في السياق تكثيفًا للشيخ الطاعن في السن، كما أن تتابع الصفات، بهذا الترتيب، جاء متساوقًا مع دلالة كل صفة، فمن الانحناء البسيط، إلى تحدب الظهر، ثم التقوس.

وما فعلته الأيام والسنون في شيخنا، يدفع الشاعر إلى الحديث عن المعاناة التي كابدها في رحلته الطويلة الممتدة.

«العمر امتد
وليل القهر اشتد
وصاغ الوراقون فنون الكذبة في إحكام
لكن الرحلة ماضية
والدرب سدود
والألغام !»

ما أكثر الهموم، ما أكثر الليالي التي اشتد فيها الظلم والقهر، وفي المقابل، تكاثر المزيفون، يشوهون وجه التاريخ، تكاثر صنّاع الكلام الرديء، الأدعياء، وإزاء قتامة الصورة...

«حمل العكاز
وسار يحدق في الشطآن وفي البلدان»


فاروق شوشة

رحلة الشيخ ماضية متواصلة، عبر سني العمر، وعبر السهول والوديان. رحلة الشيخ امتدت آلاف السنين وآلاف الكيلومترات. صورة الشيخ شاخصة ماثلة أمام أعيننا بإحكام واقتدار. ويأتي تصوير الهيئة، متساوقًا مع لغة القص، ومع فنية القصيدة. والشيخ الذي تعرّفناه وهو يلقي عباءته فوق البر الشرقي وينام، مستريحًا من وعثاء الطريق، ملتمسًا الراحة قبل أن يدق أبواب قاهرة المعز.

«قبل القاهرة
توقف
جاء يدق الباب ويحلم»
مصر أم الدنيا

ثمة تناغم خفي بين تشخيص النيل شيخًا، ورحلته الطويلة الممتدة عبر آلاف السنين، وجريانه الدائب من منبعه إلى مصبه، حتى وصوله أعتاب القاهرة. هنا تمضي الصورة القصصية تصنع لوحة تشكيلية ذات ألوان وظلال، ومعان وقسمات لهذا الشيخ، ويظل الشاعر يوظف الصورة الإبداعية، بعمق الدلالة، وفي مخيلة القارئ صورة للشيخ المحنك، قد نلبسه عمامة، ونتمثله مؤرخًا كالجبرتي أو المقريزي، حين يدق أبواب القاهرة. ينقلنا الشاعر إلى نفسية الشيخ النازح إلى القاهرة، فيتمثله القاهريون أحد أبناء الصعيد النازحين إلى القاهرة، معتبرين أنها (مصر أم الدنيا). ولكل قارئ للقصيدة أن يتخيل النازح الضيف كما يحلو له، وكما يطيب له الخيال.

تبدو الحيرة على قسمات وجه الشيخ الكثير التعاريج والأخاديد، وتنشأ الحيرة من تعدد الأماكن التي يرغب في زيارتها...

«هل سيصلي الجمعة في أزهرها
يمشي في الموسكي والعتبة
يعبر نحو القلعة
أو يتخايل عجبًا في ظل الأهرام»

نفس الحيرة التي تواجه كل من أتى زائرًا

برغم الزحام وتعدد وسائل الاتصال، وسهولة المواصلات إلا أن غربة الإنسان وعزلته زادت، وازدحم ديوان «الاغتراب» بقصائد لا تحصى ولا تعد

لمصر بين الأزهر، لأداء الشعائر والتزود بجرعة إيمانية، وبين السير في أحياء القاهرة العتيقة، يتنسم عبق الماضي وأريجه، تاريخ مصر القديم، وبين زيارة قلعة صلاح الدين الأيوبي، واسترجاع الأمجاد العربية والانتصارات العظيمة، بين زيارة الأهرام وأبي الهول، وتأمل صفحة مجيدة من الحضارة الفرعونية التي أدهشت العالم كله. والتساؤل، بقدر ما ينم عن الحيرة لتعدد الأماكن، فهو تساؤل من اعتزم مشاهدة الأماكن كلها، وجاء التساؤل من قبيل الإعجاب والإشادة بما تمثله هذه الأماكن من رموز ودلالات، ويكشف هوية البلد.

يقطع النيل آلاف الكيلومترات، شيخًا قادمًا لزيارة القاهرة، اعتزازًا بالأصالة والعراقة، واحتفاء بها، ومن أجل عيون القاهرة يهون الصعب. ثم تقع المفاجأة التي لا يتوقعها.

«ويظل الشيخ النيل يحدق
لا يجد وجوهًا يعرفها
وبيوتًا كان يطل عليها
وسماء كانت تعكس زرقته
وهو يمد الخطو
ويسبق عزف الريح
ويفرد أشرعة الأحلام»

ومثلما ترد المفاجآت في القصص، فوجئ الشيخ بوجوه لا يعرفها، وبيوت غير البيوت التي كانت تطل عليها شطآنه. ما أقسى اغتراب الرجل في وطنه. ما أشد الأزمة التي يعانيها. ورحلة شيخنا تمخضت عند محطة النهاية عن ضياع الحلم وخيبة الأمل. ويردنا هذا الاغتراب إلى أصل الحكاية، فيما صنعه (الورّاقون) من فنون الزيف والكذب، مما كان سببًا للاغتراب. أو أن (الورّاقين) أتقنوا فنون اللعب، فضاعت المعالم والملامح والقسمات، ويتساءل الشيخ المكدود المصدوم في حيرة:

«وقف الشيخ النيل يسائل نفسه
هل تغير سحن الناس
كما يتغير لون الزي
وهل تتراجع لغة العين
كما يتراجع مدّ البحر
وهل ينطفئ شعاع القلب
فتسقط جوهرة الإنسان
ويركلها زحف الأقدام»

للتساؤل مغزاه ومعناه، عن تغير النفوس، وانكسار العين، وانطفاء وهج القلب، مما أدى إلى سقوط (جوهرة الإنسان)، وإن كان قوله (فتسقط جوهرة الإنسان) يشي بالتقرير والمباشرة، وكان حريًا بالشاعر القدير أن ينأى بقصيدته عن هذا المزلق، ويحافظ على المستوى الراقي للنص الشعري، بما يعبر عنه من صور فنية أخاذة.

(وجوهرة الإنسان) نجدها في شفاعة المصري القديم عند دنو أجله، وهو يردد: «أنا لم أرتكب ما يغضب الإله. أنا لم أعق والدي. أنا لم ألوث ماء النيل. أنا لم أصُدَّ الماء وقت جريانه».

«دق الشيخ النيل الباب
فما اختلجت عين خلف الأبراج
ولا ارتدّ صدى في المرسى الآسن
أو طار يمام»

وتشير الأبيات إلى المعالم الغريبة المستحدثة، (مثل (الأبراج)، تلك المباني الشاهقة، بأبوابها الموصدة، والجفاء الذي يلاقيه الضيف على غير عادته، والمرسى الآسن الراكد، لا أحد يخفّ إليه، محتفيًا به، لا أحد يستقبله، لا أحد يوليه اهتمامًا، فيزداد (الاغتراب) إيغالاً في النفس. وقد عبر عنه بعض الشعراء، بصورة أو بأخرى، حتى صار هذا الاغتراب سمة بارزة من سمات عصرنا المؤّار. وبرغم الزحام وتعدد وسائل الاتصال، وسهولة المواصلات، إلا أن غربة الإنسان وعزلته زادت، وازدحم ديوان (الاغتراب) بقصائد لا تُحصى ولا تُعد. والألم الغائر في صدر النيل الشيخ، سببه أنه مغترب في داره، وشطآنه تموج بحركة غريبة لا عهد له بها، تلك الشطآن التي رعاها آلاف السنين، وأغدق عليها من خيره فحصد الحصرم في زماننا هذا، ويأتي الاستنكار الموجع.

«من يدري أن النيل أتى
أو أن له ميعادًا تصدح فيه الموسيقى
ويؤذن فيه الفجر
فتنخلع الأفئدة
ويكسو العينين غمام»
ونام النيل

وشيخنا النيل، يتمثل في خاطرنا، رجلاً صبورًا، يكابد الآلام المبرحة، لكنه يثابر ويتريث، بحنكة السنين الطويلة، هي تاريخه الحافل بالأحداث والمفاجآت، فيعاود دق الباب، كي يدخل القاهرة التي يعرفها ويحنو عليها.

«وتنحنح مزدردًا غُصتهُ
عاود دق الباب»

ثمة إصرار على الدخول. وهل يملك النهر إلا إكمال رحلته الطويلة المقدرة؟ برغم المرارة والحزن، فإنه يدق الباب من جديد، يدفعه عشقه للبلد، بتاريخها وأصالتها وتدينها وحضارتها، لعل الجفاء مجرد سحابة صيف سرعان ما تنقشع وتصفو سماء النيل، لكن.

«الناس نيام
ألقى النيل عباءته فوق البر الغربي
ونام!»

إنه استسلام للقدر بعد طول مكابدة. وقصة (النيل) التي بدأت بإغفاءة على البر الشرقي، تنتهي بإغفاءة على البر الغربي. والمعنى/الرمز تكمن دلالته في التحول من الشرق إلى الغرب، وما لا يخفى عن تحول التيارات السياسية من الضد إلى الضد، وفي كلا الحالين تكون الإغفاءة تعبًا وكدا. أما ما يبهج الشيخ حقًا، فلقاء البلد وناسها، بطبائعهم المستمدة من التراث والتاريخ والدين نفسها، دون زيف المتزلفين، أو تدخل صنّاع الكلمة الزائفة من الورّاقين. يود النيل الشيخ أن يلقى أهل البلد، بوجوههم ذات القسمات والملامح المألوفة لديه.

وما إخالني أزيد في بيان الرمز الموحي في قصيدة فاروق شوشة (النيل). وحسبنا هنا أن نعاود قراءة القصيدة/القصة، عن النيل/الشيخ، وما كابده في رحلته شرقًا وغربًا، وما عاناه في غربته في بلده. وبرغم قتامة سطور الختام، إلا أنها تستنفر القارئ وتستحثه كي يفيق الشيخ من نومه، ولن يفيق الشيخ إلا إذا رأى الوجه الأليف. هنا دلالة الرمز، وقوته، وحبكة الخط الدرامي، الذي تراوح بين وصف الحال، والزيف، والحلم، ثم الاغتراب، والتساؤل، والجحود، ثم المرارة والأسف، مع الإصرار على فتح الأبواب الموصدة.

الهوامش:

1- المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة - تقديم: د. سعيد عبدالفتاح عاشور - العدد 972 من سلسلة (كتاب الهلال) نيسان/أبريل 1990م - ص 35/34.
2- صالح جودت: بلابل من الشرق - العدد 355 من سلسلة (اقرأ) آب/أغسطس 1984 - ص 166.
3- مجلة (الهلال) - تموز/يوليو 1984 - ص 138 - 139.
4- ديوان (سيدة الماء).



رثاء ووفاء

د. محمود جبر الربداوي

قال أبو الحسن الأنباري يرثي صديقه الوزير محمد بن بقية عندما صلبه عضد الدولة:

علوٌّ في الحياة وفي الممات ... لحقٌّ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيام الصِّلات
كأنك قائمٌ فيهم خطيبًا ... وكلّهُمُ قيام للصَّلاة
مددْتَ يديْك نحوَهُمُ احتفاءً ... كمدِّهما إليهم بالهِبَات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجوّ قبرك، واستنابوا ... عن الأكفان ثوبَ السافياتِ
لعُظْمِك في النفوس تبيتُ تُرعى ... بحفّاظ وحرّاسٍ ثقاتِ
وتُشعَل عندك النيرانُ ليلاً ... كذلك كنتَ أيام الحياة
ركبتَ مطيّةً من قبلُ زيدٌ ... علاها في السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأسٍّ ... تُباعد عنك تعييرَ العداة
ولم أر قبل جذعكَ قطُّ جذعا ... تمكّن من عِناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنتَ قتيل ثأر النائباتِ
وكنتَ تجير من صَرف الليالي ... فعاد مطالبًا لكَ بالتِّراتِ
وصيّر دهرك الإحسان فيه ... إلينا من عظيم السيّئاتِ
وكنتَ لمعشرٍ سعدًا، فلمّا ... مضيتَ تفرّقوا بالمنحساتِ
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي ... يخفّف بالدموع الجارياتِ
ولو أني قدرتُ على قيام ... لفرضكَ والحقوق الواجباتِ
ملأتُ الأرض من نظم القوافي ... ونُحتُ بها خلاف النائحاتِ
ولكنّي أصبّر عنك نفسي ... مخافةَ أنْ أُعَدَّ من الجُناةَ
ومالكَ تُربةٌ فأقول: تُسقى ... لأنك نُصبُ هطل الهاطلاتِ
عليك تحية الرحمن تترى ... برحماتٍ غوادٍ رائحاتِ

يُجمع الذين اطّلعوا على هذه القصيدة على أنها من عيون شعر الرثاء، لِمَا تنبض به من عاطفة الوفاء، والعاطفة الصادقة ما دخلتْ شعرًا إلا زانته، وما خلتْ من شعر إلا شانته، والعاطفة الصادقة تتجلى في الشاعر المعجب أيام الحياة، وتستمر نحو المعجب به بعد الممات، وآية صدق العاطفة هذا التوهج الذي ينقله الشاعر من نبض مشاعره إلى أحاسيس متلقي شعره بالقوة نفسها التي يحسّ بها الشاعر كما يعتلج بها وجدانه.

وقصيدة الأنباري هذه واحدة من مشهورات قصائد الرثاء في الشعر العربي، وقطعة من سوائر القطع التي منحها الله السيرورة على الألسنة والخلود في ذواكر الناس، ويُرجع المحلِّلون لهذه القصيدة سبب سيرورتها لعاملَيْن توافرا فيها الأول: العاطفة الصادقة الجياشة التي أشرتُ إليها قبل قليل، وهي - أعني العاطفة الجياشة - التي مَنحت القصيدة مجموعة من الخصائص الفنية ساعدت على سيرورتها ورواجها في أوساط المثقفين والأدباء في ذلك الزمان وبعد ذلك الزمان، والعامل الثاني: المعاني الرصينة التي أنتجتها أفكار الشاعر، فإذا اجتمع هذان العنصران لليد الصناع الماهرة أنتجت الشعر الرائع الحافل بالعاطفة البهيجة كالغزل أو بالعاطفة الكئيبة كالرثاء. وهذا ما لمحه الناقد (لونجينوس) وهو يتحدث عما سماه بالرائع SUBLIME، فإنه «تحدث عن الهزة (EXTASIS) التي يولدها هذا الأدب في النفوس، وذهب إلى أن الروعة إنما هي روح عظيمة، وقد حاول بونجينوس أن يضع للروعة مصادر خمسة هي:

1- القدرة على تكوين فكر عظيمة. 2 - العاطفة الجياشة. 3 - استخدام ضروب المجاز. 4- استخدام الألفاظ الرفيعة. 5 - التأليف السامي الجليل.»(1) وغير خاف على قارئ تائية الأنباري أن هذه المصادر الخمسة متوافرة فيها، ومتوافرة بكثافة في المصدرين الأولين خاصة. وتوفر هذين المصدرين بكثافة في التائية هو الذي جعل عضد الدولة - وهو عدو لدود للمرثي - يطلب من جنوده أن يلاحقوا الأنباري، فلاحقوه سنة وتزيد، فلما مَثَلَ بين يديه، قال له: «ما الذي حملك على مرثية عدوي، فقال: حقوقٌ سَلَفَت، وأياد مضت، فجاش الحزن في قلبي فرثيتُ»(2). فعفا عنه

وأجازه، ويقول ابن عساكر: «إن عضد الدولة لما أُنشدت القصيدة بين يديه تمنى أن يكون هو المصلوب دونه»(3).

كما أن توفر المصادر الثلاثة الأخيرة في القصيدة هو الذي حمل الصاحب بن عباد أن يغيّر وجهة نظره بالأنباري، فقد ذكر الحافظ بن عساكر في تاريخ دمشق أن أبا الحسن الأنباري «لما صنع التائية كتبها ورماها في شوارع بغداد، فتداولتها الأدباء، إلى أن وصل الخبر إلى عضد الدولة. فقال: عليَّ بهذا الرجل، فطُلب سنة كاملة ـ كما أسلفنا ـ واتصل الخبر بالصاحب بن عباد وهو بالري، فكتب له الأمان، فلما سمع أبو الحسن الأنباري بذكر الأمان قصد حضرته، فقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: نعم، قال: أنشدنيها من فيك، فلما أنشد:

ولم أر قبل جذعك قطُّ جذعًا

تمكن من عناق المكرمات

قام إليه الصاحب وعانقه، وقبَّل فاه»(4).

كان حديثنا ـ حتى الآن ـ منصبًا على بعض الجوانب الفنية في قصة قصيدتنا، ولكن من حقّ القارئ علينا أن يتساءل عن بقية العناصر والملابسات التي دفعتْ إلى قول القصيدة، وما الحوافز التي دفعت على إطلاق هذه العواطف الجياشة؟ وربما دفع الفضول العلمي القارئ أن يتساءل عن هذا الشاعر الرائي المسمى بأبي الحسن الأنباري، وعن الوزير المرثي المسمى بابن بقية، هذه تساؤلات مشروعة، توضح الصورة، وتساعد على قراءة القصيدة من الداخل ومن الخارج كما تقول الدراسات النقدية الحديثة.

أما الشاعر أبو الحسن الأنباري فهو من شعراء العصر العباسي، شاعر مُقلٌّ كان من عدول بغداد، واعظًا، عاصر المتنبي، ولكنه لم تكن له ولا بعض شهرة المتنبي، لذا كان شاعرًا مغمورًا، على أن قصيدته هذه تدل على طول باعٍ في صناعة الشعر، وتشهد لصاحبها بالموهبة الشعرية الفياضة، وأوردت له كتب التاريخ بعض الأبيات والمقتطفات التي تنم على شاعرية حسنة، ولكنّ هذه القصيدة التائية والأخرى الميمية اللتين قالهما في رثاء ابن بقية تدلان على أن قريحته معطاء في فن الرثاء، وعلى الرغم مما لحقه من أذىً وملاحقة اضطرته للهرب والتخفي إلا أنه ظل يجاهر بمحبته لصديقه المرثي، ويلوِّح بالغلط الذي ارتكبته السلطة بحق صديقه ابن بقية فيقول:

لم يُلحقوا بك عارًا إذ صُلبتَ، بَلى

باؤوا بإثمك، ثم استرجعوا ندما

وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا

وأنهم نصبوا من سؤود عَلَما

فاسترجعوك، وواروْا منك طَوْد عُلاً

بدفنه دفنوا الإفضال والكرما

لئن بَليتَ فلاَ يَبْلى نَدَاك ولا

يُنْسَى وكم هالك يُنسَى إذا عدما

تقاسم الناس حُسن الذكر فيكَ كما

مازال مالكُ بين الناس منقسما(5)

وتظل قصيدته التائية عين قصائده التي عرفناها، ويظل الشاعر في نظر النقاد شاعرًا مُقلا في حدود ما وصل إلينا من شعره. ومع ذلك نسجل له صدق عاطفته ووفاءَهُ الذي ما فتئ يرافقه على الرغم من رحيل الوزير الذي أحبه، لأنه على ما يبدو أحسن إليه كثيرًا في حياته، مع ملاحظة أن الوفاء في الرجال قليل في تلك الأيام الحافلة بالتقلبات السياسية والاضطراب الاجتماعي وغياب الوازع الديني الذي غلب على أناس ذلك الزمان، كل هذه التقلبات والنكبات زعزعت القيم الخلقية في بَشَر القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه الأنباري.

وأما المرثي فهو أبو طاهر محمد بن بقية بن علي، نصير الدولة، وزير عز الدولة بختيار ابن معز الدولة بن بويه، وكان، كما يقول عنه المؤرخون الذين ترجموا له: من جلة الرؤساء وأكابر الوزراء، وأعيان الكرماء، وكان من أهل (أوانا) من أعمال بغداد(6). ويبدو أن الرجل كان عصاميًا، يتمتع بذكاء وطموح، فقد توصل ـ بادئ الأمر ـ إلى أن أصبح صاحب مطبخ(7) معز الدولة، ثم تنقل في عدة وظائف أخرى عنده، فلما مات معز الدولة، وأفضى الأمر إلى عز الدولة استوزر ابن بقية سنة 362هـ. والملاحظ أنه عندما أخذ يمثل على مسرح السياسة، وفي هذا الجو المضطرب بكل المقاييس، كثرت أخطاؤه، وتعدّد مبغضوه وعلى رأسهم عز الدولة نفسه، فتربصوا له، حتى إذا أخطأ خطأ لا يمكن السكوت عليه، قبضه عز الدولة، وسَمَلَ عينيه، وسَمْلُ العينين ـ على بشاعة هذا الفعل ـ كان، هو والصَّلْب، من العقوبات المألوفة في ذلك الزمان والتي بطلت في زماننا هذا. ولكن عز الدولة لم يكتف بالسَّمْل، بل سلَّمه إلى خصمه العنيد عضد الدولة، فلما ظفر به صب عليه جام غضبه، فألقاه حيًّا مسمول العينين تحت أرجل الفيَلَة، فقتلته؛ فلم يشف ذلك غليل عضد الدولة، بل أخذه وصلبه بالقرب من البيمارستان العضدي سنة 367هـ، وظل مصلوبًا طوال فترة حكم عضد الدولة.

هذه النهاية المأساوية التي انتهى إليها ابن بقية جعلت الشاعر ـ وللوزير عليه فضلٌ لم ينسه، وأيادٍ بيضٌ اعترف بها ـ يُخرج قصيدته من قلبه مغموسةً بدموعه، وخاصة أن الوزير جاء عليه يوم كان الآمر الناهي، يتربع على سدة السلطة، يتمتع ببحبوحة العيش وبُلَهْنيته، ينعم بها ويضفيها على أصدقائه والمقربين من شعرائه، فإذا هو الآن قد أطاحت به السياسة، فيموت ثلاث مرات: مرةً يوم سُملت عيناه فغدا قعيد بيته، ومرةً يوم أُطلقت عليه الفيَلَة تدوسه بأقدامها، ومرة أخيرة يوم صُلب جسدُه على جذع شجرة وتُرك تتعاوره الشمس والرياح، ويتناوب عليه الحر والقر مدة ليست بالقصيرة.

ومن غريب ما تذكره كتب الأخبار كتاريخ ابن الأثير، وتجارب الأمم، والشذرات، أن جثته ظلت معلقة على الخشبة مدة مديدة، حتى مات عضد الدولة، فقد روى أبو حيان التوحيدي أنه سامر الوزير أبا عبدالله العارض ذات ليلة، فسأله الوزير عن قصة رواها له صديقه أبو الوفاء تتعلق ببقاء ابن بقية على الخشبة مدة طويلة فقال أبو حيان: .. رأيت شيخًا من أهل خراسان نظر إلى الجذع وعليه ابن بقية، فقال: لا إله إلا الله، ما أعجب أمور الدنيا! وما أقل المفكِّر في غِيَرِها وعِبَرِها، عضد الدولة تحت الأرض، وعدوه فوق الأرض»(8).

وتلكَ الأيامُ نُدَاوِلُها بينَ النَّاس. آل عمران:140.
فاعتبروا يا أُولي الأبْصَار. الحشر:2.

الهوامش:

1 ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، للدكتور إحسان عباس. 339.
2 ـ وفيات الأعيان: ابن خلكان 116/5.
3 ـ وفيات الأعيان: ابن خلكان 121/5.
4 ـ وفيات الأعيان: ابن خلكان 122/5.
5 ـ وفيات الأعيان: ابن خلكان 121/5
6 ـ تاريخ ابن الأثير ج 8، تجارب الأمم ج 2، شذرات الذهب 63/3 والإمتاع والمؤانسة 41/1
7 ـ وكان الناس يتندرون في زمانه فيقولون (من الغضارة إلى الوزارة) والغضارة: وعاء كبير من الفخار كالخالة يستعمل للطبخ.
8 ـ الإمتاع والمؤانسة 41/1.

التعريب وقضايا المصطلح العلمي



إن المتطلع إلى واقع التعريب في جامعاتنا المنتشرة في أرجاء وطننا العربي يميز حالات ثلاثا:
هناك قسم كبير من جامعاتنا غير معرب.
هناك بلد عربي عرب التعليم العالي منذ بداياته ولا يزال مستمراً في مسيرته.
هناك بلاد عربية عربت العلوم الإنسانية والاجتماعية وشرعت في تعريب العلوم الأساسية والتطبيقية.

د. نجيب غزاوي

إن الغالبية العظمى من جامعاتنا إذن، تعتمد اللغة الأجنبية والإنجليزية حصراً في التدريس، وهذا أمر مستغرب للأسباب التالية:

ـ نحن أمام حالة فردية من نوعها، فليس هناك من أمة تسير على ما سارت عليه أمتنا في هذا المجال.

ـ إنها حالة فريدة بالنسبة لأمتنا العربية التي عرفت فترات ازدهار هامة استوعبت خلالها علوم الأرض جميعاً وزادت عليها وأضافت.

ـ تمتلك هذه الأمة لغة هي من أكثر اللغات في العالم طواعية في استيعاب المصطلح العلمي والمعرفي.

وإذا نحن رجعنا إلى بدايات عصر النهضة العربية وبخاصة عصر محمد علي في مصر، فإننا نجد أن التعليم الطبي قد بدأ فيها باللغة العربية، وحتى الأساتذة الفرنسيون الذين كانوا يحاضرون في مدرسة الطب هناك كانوا مصحوبين بمترجمين يترجمون شروحهم. غير أنه وبعد الاحتلال الإنجليزي لمصر عام 1882م تحول التعليم في هذه المدرسة إلى الإنجليزية في عملية تشكيك بمقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم.

كذلك كان الحال في بلاد الشام. فقد بدأت المدرسة الأمريكية في قرية عبيّة في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بتدريس الطب باللغة العربية واستمرت كذلك بعد انتقالها إلى بيروت، ثم تحولت إلى الإنجليزية.

أما في دمشق فقد تأسست مدرسة الطب عام 1919م، وبدأ التدريس فيها باللغة العربية واستمر كذلك حتى يومنا هذا.

لقد تحول التدريس إذن إلى اللغة الأجنبية لدوافع سياسية أهمها إضعاف اللغة العربية الركيزة الأساسية في الوعي القومي؛ ولا أدل على ذلك أكثر مما قام به الفرنسيون عام 1830م في أثناء احتلال الجزائر، إذ حاربوا اللغة العربية وشجعوا العامية، وذلك من خلال فرض تعليم اللغة الفرنسية في المدارس وتطبيق سياسة عرفت آنذاك باسم «فرنسة» الجزائر.

إن ما استعرضناه من وقائع يؤكد أن التعريب هو القاعدة، وأن ما هو قائم هو الشذوذ، وأنه، أي التعريب، قد نجح نجاحًا كبيرًا في البلدان التي طبقته.

أضف إلى ذلك أنه، وضمن ظروف الهجمة الاستعمارية والتشرذم الذي تعيشه الأمة العربية ومشاريع الاستيعاب الصهيونية، يعدّ التعريب ذا أهمية خاصة: ففيه استكمال للاستقلال ورفض للتبعية الثقافية واللغوية. وكلنا يعلم أن اللغة وسيلة تعبير وتفكير معًا، وليس من تفكير حي دون لغة حية ودقيقة، وبذلك يكون تعريب العلم والتعليم تعريبًا للفكر والتفكير. وعلينا ألا ننسى أن الوعي القومي متصل بالوعي الثقافي وأن الإبداع إنما يتم باللغة الأم فقط.

المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها

لابد في عملية وضع المصطلحات من مراعاة المبادئ التالية:

ـ المعرفة التامة للّغة التي ينقل عنها والتي ينقل منها.

ـ المعرفة والخبرة في مادة موضوع البحث، ونشير هنا إلى أن التعاون بين اللغوي والمختص ليس دومًا ناجحًا.

ـ التدقيق في تفهم مدلول المصطلح قبل محاولة ترجمته أو وضع المرادف له، فقد تميزت لغة العلم الحديث بدرجة عالية من الدقة والوضوح فلفظة REACTION تعني تفاعلاً في الكيمياء ورد فعل في الميكانيك.

ـ يفضل عند صياغة المرادف العربي لمصطلح ما عملي أو تقني أن يكون هذا المرادف من كلمة واحدة (كي نتمكن من النسبة إليه أو أن نضيف إليه).

ـ ويجب في معالجة هذا العدد الوافر من مصطلحات العلم والحضارة تطبيق القاعدة المنطقية التالية في التعريب: يعرب بالترجمة ما هو أصيل في اللغة المنقول عنها إن قَبِل الترجمة، أو يُتَحَرَّى له لفظ عربي يؤدي معناه، أو يصاغ له لفظ عربي بوسائل الاشتقاق أو المجاز أو النحت. أما الألفاظ العالمية التسمية والمستعملة في معظم لغات العالم (مثل الإلكترون، تلفون، تلفزيون...) أو الألفاظ المركبة من اختصارات متعارف عليها دوليًا والأسماء الموضوعة لتخليد ذكرى عالم (فولت، أمبير، أو الأسماءالكيماوية) فتعرب بلفظها.

ـ إحياء ألفاظ من الفصحى لتؤدي معاني جديدة شرط قرب المرادف من المعنى.

ـ الاقتباس من كلام العامة والصناعيين (قلاووظ فرشاة) شريطة أن يكون المقتبس عامًا في اللهجات العربية المختلفة.

ـ يراعى في تعريب الألفاظ الأجنبية ما يلي:

أ ـ ترجيح ما سهل نطقه من رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

ب ـ صياغته صياغة عربية وإخضاعه لقواعد اللغة من اشتقاق ونحت.

القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية

تقدم اللغة العربية إمكانات كبيرة لعملية وضع المصطلحات العلمية وذلك بسبب طبيعتها الخاصة ومميزاتها الصرفية وغناها في المفردات، ونجمل هذه الخصائص والمميزات فيما يلي:

ـ تتمتع اللغة العربية بدرجة عالية من المميزات الصرفية.

ـ غزارة الثروة اللغوية: يبلغ عدد جذور لسان العرب 9273 جذرًا مما يتيح توليد الآلاف من المصطلحات (لاتملك اللغات الهندوأوروبية سوى 500 جذر).

ـ تجانس التركيبة المفردية.

ـ وجود القوالب والموازين التي تدل على معان خاصة بها: (فِعَالة: مهنة، فُعال: مرض، فَعَلان: تموج وحركة...).

ـ مرونة النظام الاشتقاقي: أي إمكانية استخدام جميع العمليات الصرفية من إلصاق وتضعيف وتحول داخلي (تفعيل الأسماء والصفات وحتى الأدوات).

لنستعرض الآن الوسائل المستخدمة لوضع المصطلح العلمي:

ـ الاشتقاق: وهو توليد صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة. وقد اشتقت أسماءالفاعل والمفعول والزمان والمكان والآلة والأمراض والأدوات... من المصدر، مثال: مسبار، مُحوِّلة، صُدَاع، كسّارة..

ـ الترجمة: لهذه الوسيلة أهمية خاصة في نقل المصطلحات العلمية إلى العربية، ومصادر الترجمة إلى العربية هي الفرنسية والإنجليزية اللتان تعتمدان بدورهما على اللاتينية واليونانية، وتستعين هاتان اللغتان في وضع مصطلحاتهما باللواصق واللواحق وبالحشو ذات الأصل اليوناني واللاتيني، مما يستوجب معرفة معمقة بهذه العناصر.

ـ النحت: ويقصد بالنحت انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون هناك توافق بين النحت والمنحوت منه. ويظل اللجوء إلى هذه الوسيلة محدودًا، وقد اقتصر في الماضي غالبًا على الألفاظ

وقائع التاريخ تثبت أن التعريب هو القاعدة وأن ما هو قائم هو الشذوذ، وقد نجح نجاحاً كبيراً في البلدان التي طبقته

التعريب وقضايا المصطلح العلمي

الدينية، البسملة والحوقلة... وهو يحتاج إلى ذوق سليم، ومن شروطه أن يكون اللفظ المنحوت مفهومًا قدر الإمكان كما هو في اللفظ الأجنبي ومن أمثلته: برمائي، كهرطيسي، متمائر، متماكب (متماثل في التكاثر أو التركيب).

ـ الاستعانة بالمجاز: أي تحوير المعنى اللغوي الأصلي القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد، ويكفي لذلك أن نجد علاقة مجازية بين المعنى والمصطلح المختار كما في: رياضيات، هاتف، جبر...

ـ التركيب المزجي: يعرف مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه الوسيلة كالتالي: «ضم الكلمتين إحداهما إلى الأخرى وجعلهما اسمًا واحدًا، إعرابًا وبناءً سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين، ويكون ذلك في أعلام الأشخاص وفي أعلام الأجناس والظروف والأحوال والأصوات والمركبات العددية.

ويجوز صوغ المركب المزجي في المصطلحات العلمية عند الضرورة على ألا يقبل منه إلا ما يقره المجمع».

ومن الأمثلة على ذلك: ما ورد، ما زهر، نيويورك...

ـ التعريب: وهو إدخال اللفظ الأجنبي في اللغة العربية وتطويعه لوزن ما في هذه اللغة. وهو أمر معروف ومستخدم في اللغة العربية مثل: باذنجان، جوز، سلحفاة، سنجاب، زئبق...

مشكلات التعريب ومعوقاته

لقد عرضنا فيما سبق للجوانب الإيجابية التي تجعل عملية التعريب سهلة وممكنة، إلا أن تطور العلم والمعرفة (ينزل كل يوم إلى سوق المصطلحات من 50 ـ 100 مصطلح جديد) يحتم أن تكون عملية التعريب متواصلة وشاقة كي تكون منسجمة مع حركة الحياة الحضارية.

ولعل أصعب جوانب التعريب: التنفيذ وتعميم المنجزات لتجد طريقها إلى دنيا الجامعات والمؤسسات والقطاعات الإنتاجية.

أصعب جوانب التعريب: التنفيذ وتعميم المنجزات لتجد طريقها إلى الجامعات والمؤسسات والقطاعات الإنتاجية

ويمكن أن نذكر أهم معوقات التعريب ومشكلاته فيما يلي:

- ـ عدم تطوير مناهج تعليم اللغة العربية.
- ـ إهمال نشر اللغة العربية في الخارج.
- ـ التيارات الاستعمارية المعادية لتعليم اللغة العربية.
- ـ نقص المصطلحات العلمية المعربة وعدم الاتفاق عليها.
- ـ التقصير في الدراسات اللغويةوفي البحوث في مجال التعريب.
- ـ وجود اللهجات الإقليمية.
- ـ عدم توحيد المناهج في الكليات والأقسام المتماثلة في الوطن العربي.
- ـ عدم الالتزام بمقررات مؤتمرات التعريب ولجانه.
- ـ الارتجال في التعريب، بخاصة في لغة الصحافة والإعلام.

المقترحات والحلول

- ـ عقد المؤتمرات العلمية والإكثار منها.
- ـ السرعة في وضع المصطلحات العلمية ونشرها.
- ـ توحيد المصطلحات تحت إشراف الجامعة العربية.
- ـ متابعة ما ينشر في مجامع اللغة العربية.
- ـ قبول المصطلحات العلمية العالمية بألفاظها اللاتينية كما هو الحال لدى بقية اللغات الحية.
- ـ إصدار القواميس العلمية.
- ـ تطوير تدريس اللغة العربية.
- ـ تخصيص صندوق عربي موحد لأغراض التعريب.
- ـ رفع طاقات وإمكانات وأعداد الأطر العاملة في التعريب.
- ـ إنشاء أكاديمية للتعريب في كل جامعة عربية.

المراجع

ـ أبو عبده، محمد، مشاكل التعريب اللغوي، اللسان العربي، المجلد 19، الجزء الأول، ص 113.

ـ الحبيب، محمود محمد، عملية التعريب الأساليب والمشاكل والحلول، اللسان العربي، المجلد 17، الجزء الأول، ص177.

ـ الخطيب، أحمد شفيق، منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة، اللسان العربي، المجلد 19، الجزء الأول، ص37.

ـ الجواري، أحمد عبدالستار، التعريب والاصطلاح، اللسان العربي، المجلد 15، الجزء الأول، ص191.

ـ الخوري، شحادة، تعريب التعليم العالي وصلته بالترجمة، اللسان العربي، العدد 21، ص137.

ـ القيسي، كمال عبدالله، عملية التعريب ومستلزماتها، اللسان العربي، المجلد 16، الجزء الأول، ص119.

ـ القرشي، خضر بن عليان، تعريب العلوم ووضع المصطلح، اللسان العربي، العدد 22، ص 141.

ـ بنعبدالله، عبدالعزيز، مشاكل تعريب العلوم وتنسيق المصطلحات العلمية، اللسان العربي، المجلد 17، الجزء الأول، ص9 (فرنسي).

ـ بن تاديت، محمد، مظاهر التعريب، اللسان العربي، المجلد العاشر، الجزء الأول، ص 49.

ـ دمشقية، عفيف، أدوات التعريب المواكب ووسائله من منظور وحدوي، اللسان العربي، المجلد 19، الجزء الأول، ص95.

ـ عمار، أحمد، التعريب ومراعاة جمال اللغة العربية وأوزانها، اللسان العربي، المجلد 15، الجزء الأول، ص 134.

ـ عامر، عبدالوهاب محمد، التعريب ضرورة في الجامعات العربية، اللسان العربي، المجلد 15، الجزء الأول، ص199.

ـ قطار، رشدي، تعريب العلوم الإنسانية في التعليم العالي، اللسان العربي، المجلد 15، الجزء الأول، ص127.

ـ نحال، إبراهيم، نقل ألفاظ التصنيف النباتي والحيواني إلى اللغة العربية، 1980، جامعة حلب ـ سورية.

قصيدة

فلسفة الحرمان

عدنان أسعد

نهـيْتَ النفسَ لم تسـمعْ نِداها
وصُنْتَ النفسَ ثَمَّـةَ عن هـواها
رغـبْتَ زَهادةً عـمَّـا يُريبُ ال
فـتى. والنفسُ راغـبـةٌ مُناها
وفلسـفْتَ الحـيـاةَ فلم تُعِـرْها
ولم يخـدعْكَ ثَمَّـةَ مُـشـتـهـاها
ولم تبلُغْ مِن الـدنيـا جـداها
ولـم تركـبْ مِن الـدنيـا مَطاها
هو الحـرمـانُ كنتَ لهُ رفـيـقًـا
ودنيـا الزّهـدِ لم تعـرفْ سِـواها
وعـشتَ الـعـمرَ مـحرومًا مـعنّى
ودنيـا الناسِ قـد تَبَّتْ يـداها!
وعـشتَ مـهـاجـرًا دنيـا الأمـاني
وعِـفْـتَ بهـذهِ الـدنيـا رُؤاها
فـهـاتيك النفـوسُ لـهـا سِـياجٌ
من الحُـرُمـاتِ تسـتـهـدي هُداها
إذا الـنـفسُ الأبيّـةُ راودتْهُ
أبَتْ ضَعَـةً، وعـاشتْ في سـمـاها
أبَتْ وتـرفّـعَتْ عـن كلّ شَـيْنٍ
وعـاشـتْ تشـتـهي أبَدًا عُـلاها
فـدنيـا الناسِ في عـيـنَيْـهِ ليلٌ
مِن السَّـوْءاتِ لم يخـمـدْ لظاها
فـيـا بئس الحـيـاةُ إذا تَـدنَّتْ
ويـا نِـعْـمَ الـكـريمُ إذا أبـاهـا.

قراءة في التراث

ترويح الرواحل

تباين في المواقف والأحكام

د. حسين بيوض

ربما يداخلنا العجب، ونحن نقرأ في الشعر العربي القديم، مكافأة بعض الشعراء لرواحلهم بالنحر، بعد أن أدت مهامها، على أكمل وجه، بإيصال راكبها إلى ممدوحه، أو تبليغه مقصده. فالمتوقَّع، في هذه الحال، أن تُراح لتستريح، دون أن يتجاوز ذلك إلى إهمالها، بتسييبها على طريقة الجاهليين.

في هذا البحث سنرى طائفتين من الشعراء، إحداهما تمثل الاتجاه الأول، والثانية تؤثر الاتجاه الثاني. وتبعًا للشعراء، لم يكن غريبًا أن تتباين مواقف الرواة والنقاد، فينقسموا على أنفسهم، وهم يروون الأشعار وينتقدون ما قد يعاب على أصحابها، غير أن المعوَّل عليه في هذه القضية هو النصوص الدينية التي أشارت إلى الوجه الأمثل. وقولها هو الفصل؛ وتبقى للشعراء أمزجتهم ومذاهبهم.

ما من شك في أن المتصفح للنصوص الشعرية القديمة لابد له أن يتروى في قبول ما هو مشكل فيها، للوصول إلى فهم ممكن ومعقول. فبالإضافة إلى المعطيات المتضاربة في عدد منها، خصوصًا تلك التي تنسب إلى أكثر من شاعر، كثيرًا ما تواجه علامات استفهام حول فكرة أو مفهوم ما، يتناوله بعض الشعراء تناولاً لا يشي بمخالفتهم للعرف والمألوف الذي درجت عليه غالبيتهم. فإذا قبلنا ذلك عملاً بالمقولة النقدية «أعذب الشعر أكذبه» فليس لنا أن نعيب ذلك عليهم أو نُخَطِّئَهُم؛ ولكن حين يتبين أن أحدهم كان يعي تمامًا ما يقول، ويقصد إليه قصدًا، يصعب تأويله أو توجيهه الوجهة المثلى، فلن يفهم ذلك منه إلا خروجًا متعمدًا على التقليد، يعرضه للرد والنقد، ويستوجب إعادة النظر فيه.

وإنه من الطبيعي أن يكون للشعراء مثل ما لغيرهم من الناس فيما حولهم؛ ومن البدهي أنهم قد يلتقون أو يختلفون، ومرد ذلك إلى جوانب عدة في مقدمتها الجانب النفسي والجانب المعرفي. ولكي تتميز الأشياء بضدها، لابد من اعتماد مبدأ الموازنة في هذا البحث، الذي يسعى إلى تقديم إضاءة جديدة على بعض النصوص، من خلال قراءة داخلية ومتأنية لها، تستند إلى نصوص دينية، من القرآن ومن الحديث، للكشف عن تباين الشعراء في مواقفهم من رواحلهم، واختلافهم في مكافأتهم لها.

يذهب الآمدي (ت: 370هـ) في كتابه: «الموازنة بين البحتري وأبي تمام» إلى أن الشعراء كانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة، ثم يطرح التساؤل التالي: «فإن قيل: لمَ لا يكون للمطية حق على من بلّغته منازلَ أحبابه، يوجب أن يُكْرِمها ويربحها؟(1). ويجيب عنه بأن هذا أصل آخر طريقه غير طريق الوقوف على الديار.

فكيف نظر الشاعر العربي القديم إلى راحلته، التي نقل عليها أثقاله، أو بلغته قصده، وأوصلته إلى حاجته؟ أكان يفرّط بها بمحض إرادته، أو يتخلى عنها بسهولة، أو أنه يحسن إليها ويكرمها؟

تجيبنا عن هذه الأسئلة مجموعة من النصوص الشعرية القديمة، التي تباينت فيها مواقف أصحابها، إذلم يصدروا عن رأي واحد وصائب دائمًا، مع ملاحظة أن بعضهم كان تابعًا ومقلّدًا لمن سبقه، دون أن يحاول اتّخاذ موقف أكثر دقة وعمقًا.

القائلون بالنحر

فهذا الشماخ بن ضرار بن حرملة المازني الذبياني الغطفاني (ت: 22هـ)، وهو شاعر مخضرم من طبقة لبيد(2)، يخاطب ناقته واعدًا إياها، إن هي بلغته ممدوحه عَرابة بن أوس الحارثي الأنصاري (ت: نحو 60هـ)، أن يتركها تغصُّ بدمها، كناية عن ذبحها بقطع الوتين منها:(3)

7- فَسَلِّ الهمَّ عنك بذات لوث
عُذافرة كمطرقة القيون(4)

8- إذا بَلّغتني وحَطَطت رحلي
عَرابَةَ فاشرَقي بدم الوَتين

23- رأيتُ عرابةَ الأوسيَّ يسمو
إلى الخيرات، منقطع القرينِ

25- إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد
تلقاها عَرابةُ باليمين

وربما كان أبو دَهْبل الجمحي (ت 63هـ) أول من تبع الشماخ في إساءته، فقال يتبهج بنحرها إذا جاءت به إلى ممدوحه المغيرة، لأن هذا سيعوضه عنها(5):

ياناقُ سيري واشرقي
بدمٍ إذا جئتِ المغيرهْ

سيُثيبُني أخرى سوا
كِ، وتلك لي منه يَسيرهْ

ولا يكاد القرن الأول ينصرم حتى نجد الشاعر الأموي ذا الرمة (ت:117هـ) يشايع كلاً من الشماخ وأبي دهبل، وهو يروي لنا خطابه لناقته، متوعدًا إيّاها إذا هي أبلغته ممدوحَه أمير البصرة وقاضيها بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، أن يتركها بين يدي الجزار، ينحرها ويفتت أوصالها، أو كأنه يدعو عليها قائلاً: إذا بلغت ابنَ أبي موسى بلالاً فَنَحَرَكِ اللّه(6):

60- أقول لها إذ شَمّر السيرُ واستوت
بها البيدُ واستنّتْ عليها الحرائرُ(7)

61- إذا ابنَ أبي موسى بلالاً بلغته
فقام بفأس بين وُصليك جازر(8)

وفي مطلع دولة بني العباس، يَقْدم ابن أبي عاصية السلمي إلى معن بن زائدة (ت: 151هـ) عامل أبي جعفر المنصور على صنعاء، وحين يصير ببابه ينحرُ ناقته، فيبلغ ذلك معنًا، فيتطيّر، ويأمر بإدخاله، ويسأله عما حمله على ما صنع فيقول: نذرتُ، أصلحك الله، فيقول: وما هو؟ فينشده(9):

نذرٌ عليَّ لَئِنْ لقيتُكَ سالمًا

أن يَسْتَمِرَّ بها شفارُ الجازرِ

وفي القرن الثالث يدخل الشاعر محمد بن علي القنبري الهمذاني، على عبيد الله بن يحيى بن خاقان (ت: 263هـ) وزير المتوكل والمعتمد، فينشده قوله من قصيدة(10):

إلى الوزير عُبيد الله مقصدُها

أعني ابنَ يحيى، حياةَ الدين والكرمِ

إذا رميتُ برَحلي في ذراه فلا

نلتُ المُنى منه، إنْ لم تشرقي بدَمِ

وليس ذاك لجُرْمٍ منكِ أعْلَمه

ولا لجهلٍ بما أسْدَيت من نِعَمِ

لكنه فِعلُ شماخٍ بناقته

لدى عرابةَ إذ أدّته للأُطُمِ(11)

ومع الفواصل الزمنية المتباعدة بين هذه النصوص الشعرية، نجد تشابهًا في المواقف يقرِّب بينها، ويوحد قصدها، فكل شاعر من هؤلاء عازم على مكافأة راحلته بالشكل الذي يراه موافقًا لمزاجه وهواه.

فما الذي دعاهم إلى ذلك؟ إنه بالتأكيد ليس الجوع ولا قلة الزاد، لأن كلاً منهم كان مُقدمًا على عطاء، فيُروى أن عرابة أوْقر الشماخ حملَي بعير تمرًا وبُرًا، وكساه وأكرمه(12). أفكان قصدهم، إذًا، أن يريحوا رواحلهم، أم إن الدافع كان قلة الوفاء، ونكران الجميل.

القائلون بالترويح

وفي المقابل فإن بين أيدينا نصوصًا عدة اتخذ فيها أصحابها موقفًا مخالفًا حينًا، ومناقضًا حينًا آخر، من أقدمها أبيات لصناجة العرب الشاعر الأعشى (ت: 7هـ)، الذي هدته فطرته إلى الخير والحق، وشُرح صدره للإسلام، فعزم على السفر إلى المدينة، ولقاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، ليعلن إسلامه بحضرته، فرحل ناقته، وقد دبّج قصيدة صادقة، لينشده إياها. وفيها نراه يصمم على متابعة المسير، مستخفًا براحة نفسه، وكَلّل ناقته، لأنه وعدها بالراحة بعد طول الجهد، إذا هي بلغته محمدًا، وأناخت بباب داره، وذلك على الشاكلة التالية(13):

ألا أيهذا السائلي أين يَمّمتْ

فإن لها في أهل يثرب موعدا

فآليت لا أرثي لها من كلالة

ولا من حَفًى حتى تزور محمدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم

تريحي وتَلْقَيْ من فواضله يدا

والذي يؤسف له أنه خُدع عن نفسه، وصُرف عن قصده، بتضليل أبي سفيان له.

ويصعب أن نسلّم بالحكم على القصة بأنها ظاهرة الوضع، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ المرحوم د. صبري الأشتر، متابعًا في ذلك صاحب كتاب «الروائع» الذي رأى أن «أقدم نص روى القصة هو ما جاء في سيرة ابن هشام، حيث يُستفاد منه أن الرسول كان في مكة، حين قصده الأعشى، يريد الإسلام، وأنه لم يكن آنذاك قد بلغ من القوة مبلغًا يجتذب الشاعر، وأن تحريم الخمر كان في المدينة لا في مكة»(14). وعاد الأشتر، عند الكلام على وفاة الأعشى، ليقول في كتابه «المعلقات»، وكلا الكتابين صدر في عام واحد(15): «فأما موته بقاع منفوحة فيدخل في إطار القصة التي يغلب عليها الوضع». على أن المصادر لم تجمع على أنه جاء إلى مكة، وإنما تذكر مجيئه إلى الحجاز(16). ولا يهمنا بعد أن يكون بعيره هو الذي رمى به أو ناقته هي التي فعلت ذلك، ربما لإخلافه ما عزم عليه. وأما أن عمره قد طال حتى عَمِي، فلا يؤثر في تقبّل الرواية، التي صورت موقفه من ناقته بالرأفة بها، والحنو عليها.

والفرزدق (ت: 110هـ) وهو معاصر لذي الرمة، يَعد ناقته، وهو يمتطيها باتجاه الرُصافة، حيث ممدوحه الخليفة هشام بن عبدالملك، أن يكرمها، ويحسن إليها، فيدعها تسيب وتستريح، بعد أن يحل عنها ما أثقل كاهلها، وأقْرحها من الأزمّة والسيور والأقتاب، فيبرأ دَبَرُها، وجراحُ قراحها(17):

37- أقول لناقتي لما ترامت

بنا بيدٌ مسربلةُ القَتامِ

46- إلام تَلَفّتِينَ وأنت تحتي

وخير الناس كلهم أمامي

47- متى تأتي الرُّصافة تستريحي

من الأنساع والدَّبر الدوامي(18)

48- ويُلْقَى الرحْلُ عنك وتستغيثي

بماء الأرض والملك الهمام

وقد نص عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: 1093هـ) على أن الفرزدق قد سلك طريقة الأعشى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم(19).

وذهب أبو الفرج الأصفهاني (ت: 356هـ) إلى أن هذا المعنى أخذه من الفرزدق داود بن سلم المعروف بالأدْلم (ت: 132هـ) في مدحه قُثَم بن العباس أخا عبدالله بن عباس، فأحسن وقال(20):

عَتَقْت من حِلّي ومن رحلتي

ياناقُ إنْ أدْنيتني من قُثَمْ

إنك إنْ أدْنيت منه غدًا

حالفني اليُسْر وزال العَدَمْ

لكننا نراه في مَدْحه لقطَن بن مُدْركة الكلابي عامل البحرين، لا يأبه لناقته أن تصبح جزر السباع، أونهبًا للطير، إذا هي أوصلته إلى ممدوحه:(21).

7- إذا قَطَنًا بَلّغْتنيه بنَ مدْرك

فلاقَيت من طير العراقيب أخْيَلا

فموقفه هنا مغاير كلّ المغايرة لموقفه السابق، وكأننا أمام شاعر آخر، ونفسية متبدّلة على الضد من الأولى. فأين يقف الناقد من هذين الموقفين المتباينين؟ أيُسوِّغ عمل الناحر والجازر في النصوص الأولى، ملتمسًا العذر للشماخ وأبي دهبل وذي الرمة والسلمي والقنبري، دون أن يرى في ذلك مَذَمّة وملامة، لأن هؤلاء لا يريدون إلا أن يعجّلوا لرواحلهم المصير المحتوم، فيطعَموا ويُطْعموا، أم يستنكرفعلهم ويصفهم بالجحود ونكران الجميل من جهة، وبالتفريط والتضييع من جهة أخرى، متسائلاً عن إهمال الفرزدق ناقته تارة، ومثنيًا على إحسانه إليها تارة أخرى، مثل صنيع الأعشى وإحسانه، وهو ما نقل عن أبي نواس (ت: 199هـ)، إذ كان واحدًا ممن دعوا إلى الرحمة والشفقة، على حين عاب على الشماخ فعله، وراح لسوء موقفه قائلاً: «والله ما أحسن الشماخ»(22) مستلطفًا في الوقت نفسه قول الفرزدق، ورفقه براحلته ومتابعًا له، وهو ما دعاه إلى المبالغة في الإحسان إلى ناقته ومكافأتها، معترفًا

شعراء كثيرون بينهم فواصل زمنية متباعدة عازمون على مكافأة رواحلهم بالنحر، أفكان قصدهم أن يريحوا رواحلهم، أم أن الدافع كان قلة الوفاء ونكران الجميل؟

لها بالجميل، إذ بلغته حاجته، مكرمًا لها، وحالفًا ألا ينحرها ولا يُتْعبها، وذلك بتحريم ظهرها على الأقتاب والأنساع والأعلاق والأحزمة، وغير ذلك مما تُشَدّ به الرحال للركوب(23):

أقول لناقتي إذ بلغتني
لقد أصبحت عندي باليمين
فلم أجعلك للغربان نُحلا
ولا قلتُ: اشرَقي بدم الوتين
حَرُمتِ على البراذع والولايا
وأعلاقِ الرحالة والوضين(24)

ولا غرو، إذن، أن نجد حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت: 360هـ) راويَ ديوان أبي نواس، يعجب بالشاعر فيقول(25): «هذا معنى بديع، خالف فيه أبو نواس الشعراء على قديم الدهر، إذ كانوا يقولون ضد هذا المعنى، فيجعلون مكافأة ركابهم، إذا بلغتهم حاجاتهم، ونالوا عليها إرادتهم، نحرَها». وقد نقل هذا عنه ابن خلكان في ترجمته لذي الرمة قائلا: «أبو نواس هو الذي كشف هذا المعنى وأوضحه»(26).

وأبو نواس في موقفه هذا ينطلق من منطلق ثابت، على خلاف الفرزدق، ويؤكد هذا أنه في مدحه للخليفة محمد الأمين أيضًا، يرسخ ذلك ويعضده، حين يقطع على نفسه عهدًا، أن يكافئ ناقته، إذا هي بلغته الأمين، بأن يسيبها وشأنها، وذلك بتحريم ظهرها تحريمًا قطعيًا على الرحال(27):

7ـ فإذا المطي بنا بلغن محمدًا
فظهورهنّ على الرحال حرامُ
8ـ قرَّبننا من خير مَنْ وطئ الحصى
فلها علينا حرمةٌ وذمام

وموقف أبي نواس هذا هو الذي تابعه فيه أبو تمام (ت: 231هـ) على حد قول حمزة الأصفهاني، مستنكرًا عزم الشماخ ومعرضًا بسوء فعلته(28):

لستُ كشماخ المذمَّم في
سوء مكافاته ومُجْتَرمهْ
أشْرَقَهَا من دم الوتين لقد
ضل كريمُ الأخلاق عن شيَمه
ذلك حُكمٌ قضي بفيصله
أحَيْحَةُ بن الجُلاح في أُطُمه

لأن أحيحة بن الجلاح (ت: 130ق هـ) كان قال للشماخ، لما أنشده البيت(28): «بئس المجازاة جازيت ناقتك». على أنه من المستبعد جدًا أن تصح نسبة هذه المقولة إلى أحيحة بن الجلاح، إذا صحت وفاته قبل مئة وثلاثين سنة من الهجرة، لأن اجتماعهما سيكون مستبعدًا أيضًا جدًا، إذ إن الشماخ توفي، كما هو ملاحظ، بعده بأكثر من مئة وخمسين سنة. ولابد من التأكيد، ونحن لا نزال مع هذا النص، على أنه غير موجود في ديوان أبي تمام، وليس في أخباره التي جمعها أبو بكر الصولي. ومع ذلك فإنني أرى أن الأبيات لأبي تمام، وليست لغيره فهي توافق روحه وشعره شكلاً ومضمونًا، وفي ديوانه نظائر عدة لقافيتها، ومن ثم أدعو إلى إلحاقها بديوان الشاعر. ومهما يكن قائلها، فإن أهميتها تأتي من مشابعتها لأبيات أبي نواس، ومخالفتها لمقولة الشماخ.

وقد نقلوا نقد بعضهم للشماخ، وهو قولهم: «كان ينبغي أن ينظر إليها مع استغنائه عنها»(30). وأول من عاب الشماخ عرابَةُ ممدوحُه: «بئسما كافأتها به»(31).

كذلك رووا عن عبدالله بن محمد بن وكيع شبيهًا بذلك في نقده لذي الرمة، ولفت نظره إلى الأخذ بقول الفرزدق وتقليده(32).

والوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، حين سمع شاعره القنبري، خَطّأ أيضًا الشماخ(33). ومعنُ بن زائدة أو المهلب، كما في رواية ثانية، وصف ناقة ابن أبي عاصية، التي نُحرت، «بالمظلومة»(34).

على أن بعض الرواة والنقاد كان لهم توجيه مغاير، وفَهْمٌ مختلف لبيت الشماخ في ناقته. فأبو العباس المبرد (ت: 286هـ) ينتصر له، حين يذهب إلى أنه أحسن كل الإحسان، لأنه بنحرها أراد أنه لم يعد يحتاج إلى أن يرحل إلى غير ممدوحه، وأن صنيعه هذا ليس كالذي نُقل عن المرأة الأنصارية(35)، التي كانت قد أسرت بمكة، وحين نَجَتْ على ناقة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، قالت: يا رسول الله: إنني نذرت إن نجوتُ أن أنحرها، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لبئس ما جزيتها»، وقال: «لا نذرَ في معصية، ولا نذر للإنسان في غير ملكه»(36).

وقد تبنى من بعده هذا الموقف الآمدي (370هـ) لأنه رأى أيضًا أن كلام الشماخ ليس بدعاء على الناقة، فهو إنما أراد أنك إذا بلغتنيه، فقد بلغتُ الغنى وأدركت العوض منك، ومن ثم لم يجد تضادًا وتعارضًا بينه وبين أبي نواس، وإنما التعارض بين الشماخ والأنصارية(37).

ومن يسلّم بهذا التوجيه الذي نجم عن ليِّ للنصوص المتقدمة، فإنه، من دون شك، سيحكم على كل الذين عابوا الشماخ بضيق الأفق وقصر النظر، علمًا أنهم نظروا إلى نية الشاعر وغايته من خلال ألفاظه، بينما أوّل هؤلاء كلامه تأويلاً يدفع التهمة عنه، مثلما يدفعها عمن تابعوه وقلدوه.

ويهمنا بعد ذلك كله أن نتساءل: أكانت غايةُ أبي نواس مجرد مخالفة من سبقه، وفي مقدمتهم الشماخ وذو الرمة(38)، شغفًا بالمخالفة(39) أو ابتداعًا لرأي جديد يطلع به على الرواة والنقاد، فينال ثناء الأصفهاني وغير الأصفهاني، ويسنّ ذلك لمن بعده، كما رأينا، أم كان جادًا في ذاك التحريم، ويقصد ما يقول، وهو يعرف معنى التسييب وحكمه، لأنه في هذه الحال، سيصطدم بالنص القرآني الذي نهى عن هذا النوع من التحريم وذمّه: *مَا جَعَلَ اللَّه مِن بَحِيرَةٍ ولا سائبة ولا وَصِيلَة ولا حَامٍ ولكنّ الذينَ كَفَرُوا يَفْتَرون عَلَى اللهِ الكَذبَ وأكثرهم لا يعقلون*. **المائدة:** 103(40).

مفهوم السائبة

إنني لا أشك في أن أبا نواس كان مدركًا لمعنى السائبة والتسييب، وأن من معانيها أن الرجل كان يقول: ناقتي سائبة، إذا برئ من علته، أو قدم من سفر بعيد، أو نذر نذرًا، أو شكر نعمة، أو نجّته دابةٌ من مشقة أو حرب، ومن ثم فلا ينتفع بظهرها، ولا تركب، حتى ضربوا بذلك المثل، فقالوا يَركب الحرامَ من لا حلال له، وذلك أن رجلاً من العرب أُغير عليه، فلم يجد دابة يركبها، فركب سائبة، فقيل: أتركب حرامًا؟ فقال: يركب الحرام من لا حلال له(41).

إنه لمن العبث أن يعزم أبو نواس على إعتاق راحلته وتسييبها، وهو على تلك المعرفة، لأنه بذلك سيكون مجاوزًا للحد، ومخطئًا للقصد، ولن يختلف بفعله عن عقلية الأعرابي الجاهلي.

ولئن كان من الأولى بالمرتحل أن يريح راحلته إكرامًا لها، وعرفانًا بفضلها، كالمعنى الذي اشتمل عليه قول عبدالله بن رواحة الأنصاري (ت: 8هـ)، ولم يعبه عليه أحد، حين أمَّرهُ رسول الله ـ صلى

لئن كان من الأولى أن يريح المرتحل راحلته إكرامًا لها وعرفانًا بفضلها، فيبقيها على قيد الحياة، لينتفع بها، فلا يسوغ له ذلك إهمالها، وعدم الانتفاع بها على الطريقة المعهودة في الجاهلية

تباين في المواقف والأحكام

الله عليه وسلم ـ، بعد زيد وجعفر على جيش مؤته(42).

إذا بلّغتني وحملت رحلي
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذمّ
ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي

فيبقيها على قيد الحياة، لينتفع بها، ولا يريحها بإزهاق روحها نحراً مقصوداً لذاته، أي بمجرد أن أسدت إليه معروفاً، وكأنه لا يريد لها مزيداً من السفر والترحل، فلا يسوغ له ذلك إهمالها وعدم الانتفاع بها، على الطريقة المعهودة في الجاهلية.

فالسائبة من شرع غير الله ، لأن الأنعام خلقت رفقاً بالعباد، ونعمة تعد عليهم، ومنفعة بالغة. وأهل الجاهلية قطعوا طريق الانتفاع بها(43).

وقد أبطل الدين الحنيف تلك العادة فيما أبطل، ووصف هذا العمل بأنه بعيد كل البعد عن شرع الله، ومخالف للفطرة، وأنه من اصطلاح الناس وعرفهم، ووصفت الآية من يفعله، كما رأينا، بضعف العقل؛ بل بانعدامه.

وتحريمُ العرب الجاهليين هذا لظهور السوائب وغيرها، أشار إليه القرآن في آية أخرى من سورة الأنعام، وشنّع عليهم قولهم إنها: «أنعام حرمت ظهورها»(44)، ووصف ذلك مرة أخرى بأنه زعم؛ فهو الذي خلقها لتكون لهم فيما تكون حَمولة يحملون عليها، ويركبونها، ناهياً إياهم عن اتباع خطوات الشيطان بالتحريم والتحليل، وواصفاً تحريمهم ذلك بالخسران والضلال والبعد عن الهداية وأنه افتراء منهم..

وقد بينت آية المائدة 103/5 في سياق الرد على أصحاب التقليد أن الرؤساء يفترون على الله هذه الأكاذيب والأباطيل، في تحريمهم هذه الأنعام، وأما الأتباع والعوام فأكثرهم لا يعقلون، فلا جرم أنهم يفترون على الله الأكاذيب من أولئك الرؤساء.

ومن هنا جاء التنديد الشديد، على لسان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بمن سنّ تلك السنة: رأيت عمرو بن لُحَيّ يَجُرّ قُصْبَه(45) في النار». وكان أول من سيّب السوائب، وهي التي نهى الله عنها(46). ومن أجل ذلك ذم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عزم المرأة على نحر الناقة، لأن ذلك كان منها نية مبيّتة، بصفتها جزاء ومكافأة، لأن النحر ليس بحرام، بل هو حلال؛ ولكن المؤاخذة على النية بوصفها نذراً، ومن ثم نهاها، ولكنه ـ عليه السلام ـ لم يأمرها بتسييبها وإهمالها.

وما أصدق ما أثر عن ابن عباس، رضي الله عنهما، من قوله: «إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين والمئة من سورة الأنعام»(47).

ولأن من معاني السائبة أيضاً العبد الذي يعتق على أن لايكون له ولاء ولا عقل ولا ميراث، يَرُدّ الرازي ردّاً حكيماً ودقيقاً على قول القائل: إن جاز إعتاق العبيد والإماء فلا يجوز إعتاق هذه البهائم من الذبح والإتعاب والإيلام؟ مبيناً الفرق بأن الإنسان مخلوق لخدمة الله تعالى وعبوديته، فإذا تمرد عن طاعة الله عوقب بضرب الرق عليه، فإذا أزيل الرق عنه تفرغ لعبادة الله تعالى، فكان ذلك عبادة مستحسنة.

وأما هذه الحيوانات فإنها مخلوقة لمنافع المكلفين، فتركها وإهمالها يقتضي فوات منفعة على مالكها من غير أن يحصل في مقابلها فائدة، وأيضاً الإنسان إذا كان عبداً فأعتق، قدر على تحصيل مصالح نفسه، وأما البهيمة فإذا أعتقت تركت لم تقدر على رعاية مصالح نفسها، فوقعت في أنواع من المحنة، أشد وأشق مما كانت فيها حال ما كانت مملوكة.

الهوامش:

1ـ الموازنة، ص 413.
2ـ يذكر المبرد أن الشماخ خرج يريد المدينة، فجمعه الطريق بعرابة الأوسي، فتحادثا، فقال له عرابة: ما الذي أقدمك المدينة؟ قال: قدمت لأمتار منها، فملأ له عرابةُ رواحلَه بُرّاً وتمراً، وأتحفه بغير ذلك، فمدحه الشمّاخ. وعرابة هذا من سادات المدينة الأجواد المشهورين، أدرك حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأسلم صغيراً، وحين أتى النبي في غزوة أحد ليغزو معه رده في غلمة استصغرهم. وأبوه أوس من المنافقين الذين شهدوا مع النبي أحداً، وهو الذي قال الله تعالى على لسانه: «إن بيوتنا عورة وما هي بعورة» الأحزاب:13. قدم عرابة الشام أيام معاوية، وله أخبار معه؛ توفي في المدينة. وقد انقرض عقبه، ولم يبق منهم أحد. الكامل، 128/1؛ الأغاني، 166/9؛ خزانة الأدب، 43/3؛ وانظر الأعلام.
3ـ ديوان الشماخ، ص 322؛ والقصيدة 78 بيتاً.
4ـ البيت السابع أخذه من المثقب العبدي الشاعر الجاهلي (ت 35 ق هـ) مستبدلاً الفعل (فَسُر) بـ (فَسَلْ).
5ـ الموشح، ص 98، الخزانة، ص 39/3.
6ـ ديوان ذي الرمة، ص 340، الخزانة، ص 39/3.
7ـ شمّر: قلّص، والتقليص: الخفّة، واستنت عليها الحرائر: هبت عليها الرياح. والوصل: المفصل بما عليه من اللحم.
8ـ وروي: ابن أبي موسى بلالٌ بالضم.
9ـ الموشح، ص 98؛ وصاحب القصة في الأغاني، ص 169/8 هو المهلب.
10ـ الموشح، ص 97؛ خزانة الأدب، ص41/3؛ ولم أجد للقنبري ترجمة تذكر.
11ـ الأُطم: حصن مبني بالحجارة أو كل بيت مربع مسطح، أو بناء مرتفع؛ والكثير أطوم، وهي حصون لأهل المدينة، والأطوم: القصور أيضاً.
12ـ الإصابة، ترجمة 5500؛ بلوغ الأرب، ص 187/2.
13ـ الأغاني، ص 23/9.
14ـ الأعشى، ص 14 و62.
15ـ المعلقات، ص 27 و252.
16ـ الوسيط في الأدب العربي، ص 81؛ تاريخ الأدب العربي للزيات، ص 55.
17ـ ديوان الفرزدق، ص 837/2. والرهام جمع رهمة، وهي المطر الخفيف الدائم.
18ـ الدبر: جمع دَبَرة، وهي القرحة.
19ـ خزانة الأدب، ص 38/3.
20ـ خزانة الأدب، ص 37/3 عن الأغاني، ص 10/6.
21ـ ديوان الفرزدق، ص 701/2. والأخيَل طائر لا ينفر دَبَرة بعير إلا خَذَل ظهره.
22ـ الموشح، ص 96.
23ـ ديوان أبي نواس، ص 304/3.
24ـ نُحلا: عطاء وهبة. الولايا: البراذع. الأعلاق: ما علق على الرحل من العهون وغيرها. الوضين: حزام الرحل.
25ـ ديوان أبي نواس، ص 304/3.
26ـ خزانة الأدب، ص 40/3.
27ـ ديوان أبي نواس، ص 122/1. ويروى الرجال بالجيم، ورواية الرحال بالحاء المهملة أبلغ في التعبير، وأشد في التحريم، لأنه لم يرد جنس الرجال، وإنما أراد تحريم ركبها بتحريم رحلها على الرجال والنساء، وحملها للهوادج والنساء في داخلها أجْهَدُ لها.
28ـ الكامل، ص 128/1؛ ديوان أبي نواس، ص 125/1.
29ـ الموشح، ص 97؛ خزانة الأدب، ص 39/3.
30ـ الموازنة، ص 405؛ الموشح، ص 96.
31ـ خزانة الأدب، ص 39/3.
32ـ خزانة الأدب، ص 37/3.
33ـ الموشح، ص 98.
34ـ الموشح، ص 99، خزانة الأدب، ص 39/3.
35ـ ينقل البغدادي عن بعض أهل العلم فيما كتبه على الكامل أن هذه المرأة غفارية لا أنصارية. خزانة الأدب، ص 39/3.
36ـ الكامل، 128/1.
37ـ الموازنة 414/1.
38ـ حين قرأ أبو نواس شعر ذي الرمة على محمد بن حبيب الناشئ، أقبل على أبيه هانئ، وقال له: «إن عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولنه بلسان مشقوق». أخبار أبي نواس: ابن منظور، 7/1.
39ـ كان مولعاً بالمخالفة حيث تمكن المخالفة، ولذلك رد قول النابغة «بادرامية بالعلياء فالسند» قائلاً: «صفْياً لغير العلياء والسند»، ديوان أبي نواس، ص 103/3.
40ـ انظر: الحيوان، 60/5.
41ـ اللسان (بحر).
42ـ الكامل، 128/1.
43ـ النهر الماد، تفسير آية سورة المائدة 103/5.
44ـ سورة الأنعام 138/6 و140 و142.
45ـ القُصْب اسم للأمعاء كلها، أو هو ما كان أسفل البطن منها.
46ـ اللسان (سيب).
47ـ صفوة التفاسير، 292/1. ويتعلق مفهوم الآيات بوعيد الله للظلمة والمخالفين والمحرّمين لما أحلّ الله أو المحلين لما حرّم الله. الأنعام: الآيات: 131-147.

المصادر:

الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، مصر 1939م.
الأعشى: د. محمد صبري الأشتر، مطبوعات جامعة حلب 1970م.
الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة 1975م.
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألوسي، مصر 1924م.
تفسير الرازي: محمد فخر الدين الرازي، مصر 1324هـ.
تفسير القرآن (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، مصر 1346هـ.
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة 1387هـ/1968م.
ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ: الأجزاء 1 و2 و3 تحقيق إيفالد فاغنر في الأعوام 1958م القاهرة، 1972م فيسبادن 1988م، والجزء الرابع غريغور شولر 1982م فيسبادن.
ديوان ذي الرمة: تحقيق مطيع ببيلي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط2، بيروت 1384هـ/1964م.
ديوان الشماخ: تحقيق صلاح الدين الهادي، القاهرة 1968م.
ديوان الفرزدق: عني بجمعه وطبعه والتعليق عليه عبدالله إسماعيل الصاوي، مصر 1936م.
ديوان المثقب العبدي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مصر 1970م.
صفوة التفاسير بعد تجريده من البيان: محمد علي الصابوني، مكة 1399هـ.
الكامل: محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
المعلقات: د. محمد صبري الأشتر، مطبوعات جامعة حلب 1970م.
الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر 1380هـ/1961م.
الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر: محمد بن عمران المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، مصر 1965م.
النهر الماد من البحر المحيط: أثير الدين أبوحيان النحوي محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت:745) تقديم وضبط بوران الضناوي وهديان الضناوي، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت 1407هـ/1987م.

الفرح والسرور والسعادة.. فروق وقيم جمالية




الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

أحسن تعريف للفرح ـ وهو تجربة متكررة دائمة في حياة كل البشر ـ رَصْدُ آثاره في النفس، فنجدها خفة وسهولة في ملكات النفس، وانشراحًا في الصدر.

ولا ضدية في الفرح وضعًا، وإنما جُعِل المَدِينُ مُفْرَحًا على سنة العرب في التفاؤل.

والفرح لا يعني موضوعية في الجمال، وإنما هو من آثار الجمال في النفس.

ذكر ابن فارس لهذه المادة أصلين أحدهما خلاف الحزن والثاني بمعنى الإثقال، ومثَّل له بالمفرَح ـ على صيغة المفعول ـ وهو المدين(1).

وعرف الحزن بخشونة الشيء وشدة فيه(2).

وذكر الراغب أن الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأن أكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية.

وقال عن المثْقَلِ بالدَّين: فكأن الإفراح يستعمل في جلب الفرح، وإزالة الفرح(3).

وذكر عن الحزن ما يوافق ما ذكره ابن فارس، فقال: الحزن خشونة في الأرض، وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم.

ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشنت بصدره، إذا حزنته(4).

وقال السَّمين: الحزن خشونة في النفس لما يلحقها من الغم(5)، والغم تغطية وإطباق(6).

وقال الجرجاني: الفرح لذة في القلب لنيل المشتهَى(7).

قال أبو عبدالرحمن: بهذا الاستقراء يتضح أن الفرح ينتج خفة وسهولة، لأنه ضد الخشونة الذي هو معنى الحزن، ويأتي عن لذائذ سارة، لأنه ضد الحزن بسبب الغم، ولا يغم إلا الآلام.

ويكون الفرح بغياب الحزن والغم وإن لم يوجد لذائذ، فيكون الصدر منشرحًا لاستقبال اللذائذ.

وإطلاق المادة على المثقل بالديون من باب التفاؤل، فالتعبير مجاز أدبي أصبح عرفًا لغويًا.

وذكر الكفوي فروقًا نفيسة، فقال: «السرور هو لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه، أو اندفاع ضرر.

وهو والفرح والحبور أمور متقاربة، لكن السرور هو الخالص المنكتم، والحبور هو ما يرى حبره (أي أثره) في ظاهر البشرة، وهما مستعملان في المحمود.

أما الفرح فهو ما يورث أَشَرًا أو بطرًا؛ ولذلك كثيرًا ما يذم كقوله تعالى: *إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِين*. **سورة القصص**:76. فالأولان ما يكونان عن القوة الفكرية، والفرح ما يكون عن القوةالشهوية»(8).

قال أبو عبدالرحمن: يحدث أشرًا وبطرًا لأنه عن خفة وسهولة، وارتباطه بالقوة الشهوية أكثر، وليس ذلك لأن هذا هو معناه، بل لأن ذا الفكر عادة لا يأشر عن قوة فكرية، وإلا فالفكر والعلم داعية فرح، ولهذا قال الإمام ابن حزم: لذة العالم بعلمه(9).

وقال الأستاذ مجاهد عبدالمنعم مجاهد: «الفن فرح، بل هو أكبر فرح»(10).

قال أبو عبدالرحمن: هذا الإحساس الجمالي ليس عامًا في كل جميل، بل من الجميل ما يحدث سرورًا خاصًا بمعنى الفرح بحيث تخف النفس وتجنح.

وأما السرور فالأصل في مادته إخفاء الشيء في الصدر وكتمانه، والسرور شعور جواني لا تظهر آثاره بخلاف الفرح، فاشتق لهذا المعنى من هذه المادة.

وقال الدكتور جميل صليبا: «السرور الفرح والحبور، وهو حالة ملائمة للنفس تنتشر في جوانبها كلها.

والفرق بين السرور واللذة أن السرور لذة نفسانية أو حالة شعورية شاملة تعم النفس عند حصول نفع أو دفع ضرر، على حين أن اللذة حالة مفردة محددة.

والدليل على ذلك قول برغسون في كتاب معطيات الشعور المباشرة: إن السرور ليس حالة نفسية منفصلة عن غيرها من الحالات، لأنه يبدأ فيشمل زاوية محددة من النفس، ثم يشتد فينتشر في جوانب الشعور كلها.

وقد تبلغ به الشدة أن يُكسب إدراكات المرء وذكرياته صفةً جديدة لا تُشبَّه إلا بانتشار الحرارة أو الضوء حتى إذا رجع المرء إلى نفسه وشاهد ما يتلألأ فيها من حبور وقع في حيرة عظيمة.

ومن قبيل ذلك أيضًا قول دوماس في كتاب الحزن والسرور: إن هناك لذة مفتقرة إلى التصورات والأفكار يكون فيها النشاط العقلي محدودًا، ولذة طامية غنية بالصور تمتاز بشدة النشاط العقلي وتكون مصحوبة بالارتياح.

وهذه اللذة الثانية هي الفرح والسرور.

ومعنى ذلك كله أن السرور أو الفرح أغنى من اللذة.

وقد يكون مؤقتًا كالفرح الذي يتولد في النفس من جراء دفع ضرر عنها، أو حصول نفع لها، أو يكون دائمًا.

وكثيرًا ما تكون اللذات الجسمانية غير مصحوبة بالفرح، أو يكون الفرح مصحوبًا بالآلام الجسمانية كفرح الحكيم الذي لا يبالي بما يعتري بدنه من آلام، لاعتقاده أن السعادة الحقيقية هي السعادة الروحية»(11).

السعد نتيجة أمور معينة من كسب أو مدد أو حظ يحصل بها غبطة وبعدٌ عن الشقاوة والنحس، وقد ذكر ابن فارس: أن الأصل في المادة الخير والسرور خلاف النحس(12).

وقال الراغب: « السعد والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويضاده الشقاوة.

وقال الدكتور جميل صليبا: « السعادة ضد الشقاوة، وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير.

والفرق بين السعادة واللذة أن السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأن رضى النفس بها تام، على حين أن اللذة حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وأن رضى النفس بها مؤقت.

ومن شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية مرضية، وأن يكون رضاها بما حصلت عليه من الخير تامًا ودائمًا.

ومتى سمت السعادة إلى مستوى الرضا الروحي ونعيم التأمل والنظر أصبحت غبطة وإن كانت هذه أسمى وأدوم.

وللفلاسفة في حقيقة السعادة آراء مختلفة، فمنهم من يقول: إن السعادة هي الاستمتاع بالأهواء (السفسطائيون)، ومنهم من يقول: إنها في اتباع الفضيلة (أفلاطون)، ومنهم من يقول: إنها في الاستمتاع باللذات الحسية (المدرسة القورينائية)، ومنهم من يقول: إنها في العمل والجهد(13).

أما أرسطو فإنه يوحّد الخير الأعلى والسعادة، ويجعل اللذة شرطًا ضروريًا للسعادة، لا شرطًا كافيًا.

ومع أن أبيقروس يقول: إن اللذة غاية الحياة، فإنه يفرق بين اللذة الثابتة واللذة المتغيرة، ويجعل السعادة في الأولى لا في الثانية؛ لأن اللذة المتغيرة تورث الألم والاضطراب، على حين أن اللذة الثابتة أو الساكنة توصل إلى الطمأنينة، وهي وحدها مصدر الخير.

أما الرواقيون فإنهم يرجعون السعادة إلى الفعل الموافق للعقل، وهي في نظرهم غير ممتنعة عن الحكيم وإن كان طريقها محفوفًا بالألم والعذاب، والمهم في نظرهم أن يكون في الوجود نظام، وهذا النظام يستوجب وجود الخير، والشر، واللذة، والألم على السواء.

وأما المحدثون فإنهم يوحدون سعادة الفرد وسعادة الكل (بنتام، وميل وسبنسر) أو يرجعون السعادة إلى الواجب (كانت)، أو يفرقون بين اللذة والسعادة، فيجعلون اللذة حالة آنية تابعة للزمان المتغير، والسعادة حالة مثالية يتقرب الإنسان منها بالتدريج دون بلوغها بالفعل. والسعيد هو المتصف بالسعادة.

ومذهب السعادة هو القول: إن السعادة العقلية هي الخير الأعلى، وهي غاية العمل الإنساني سواء أكانت خاصة بالفرد أم بالمجتمع، ومذهب السعادة بهذا المعنى مقابل لمذهب اللذة، وهو القول: إن اللذة هي الخير الأعلى»(14).

الحواشي:

1- مقاييس اللغة ص 835..

2- مقاييس اللغة ص 261.

3- المفردات ص 628 و629.

4- المفردات ص 231.

5- عمدة الحفاظ 1/461.

6- انظر مقاييس اللغة ص 808.

7- التعريفات ص 166.

8- الكليات ص 500.

9- مداواة النفوس/ضمن رسائل ابن حزم ١/335.

10- دراسات في علم الجمال ص 35.

11- المعجم الفلسفي 1/654-655.

12- مقاييس اللغة ص 480.

13- يفصل في هذا الخلاف أن السعادة ليست شعورًا وجدانيًا كالفرح والسرور، فيقال: السعادة نسبية عند من وجدها، وإنما السعادة نتيجة كسب أو حظ، فإذا حققت الأمور المعاونة من الكسب أو الحظ نتائجها حصلت السعادة حسب تحقق المراد، وسعادة الآخرة فوق سعادة الدنيا، وهي تجلب سعادة الدنيا.

14- المعجم الفلسفي 1/656 - 657.





أبي هو الجاني



سعد البواردي

المسافة بين الدارين قريبة، والمسافة بين القلبين أقرب، جمعت بينهما المجاورة على صغر، وجمعت بينهما المحبة على كبر، كان يرى فيها حلم حياته، وكانت هي ترى فيه فارس أحلامها.

لا شيء يحول بين حبيبين في تحقيق الحلم، وهكذا تحقق وقد أينعت الزهرة. وشب الشاب عن الطوق، زُفّت إليه على طبق من التواصل والوصل، لم يعكر حياتهما شيء أكثر من انتظار مولود يملأ عليهما سماء الدار فرحًا ومرحًا واستقرارًا.

أعوام خمسة أو تزيد كانا في الانتظار دون قادم، إنه يحبها وتحبه، لا يرضى عنها بديلاً، ومن أجل هذا كان انتظاره موحشًا مقلقًا، يرصد دقائقه وثوانيه بعدد دقات قلبه، وجاء الفرج، زَفّت إليه البشرى بمولود قادم.

لم تسع الدنيا خطاه، إنه أب لوليد سيأتي بعد أشهر، ياللفرحة، وعلى صرخة الطفل وهو يستقبل الحياة، كانت صرخته بالفرحة تتجاوز أبعاد الدار بمسافات.

«حسن».. هكذا سماه.. فقد كان حسنًا في صورته وفي فأله، أما أم حسَن، فقد جاءت فرحتها فرحتين، فرحة بميلاد أول مولود، وفرحة بموت القلق في نفسها خشية أن يبحث من تحب عن زوجة أخرى.

وتمر الأيام والشهور مَرَّ السحاب، ينمو الطفل ويترعرع في أحضان أم ترضعه الحنان، وفي رعاية أب يُغدق عليه الحب إلى درجة الإسراف، كان يخشى على وحيده نسمة الهواء من أن تجرح خديه، كان يغار عليه حتى من قبلات أمه، ومع هذا الإسراف في الحب، كانت تصرفاته نحوه مشوبة بالعصبية والتوتر، والنزق.

كان أشبه بفقير وجد كنزًا ثمينًا من المال طال انتظاره له، وخاف ضياعه في جنون المُعدم، كان احتضانه لحسن قلقًا لا يعرف له معنى، يحصي عليه حركاته وسكناته لا أدري أكان ذلك خوفًا منه أم خوفًا عليه، أو خوفًا منه عليه.

أعوام أربعة مرت من عُمر الطفل المدلل، كان يعبث ويلهو، كما يعبث ويلهو أقرانه من الأطفال. وذات يوم عاد الأب إلى داره ليجد صغيره وقد حطم منضدة زجاجية تناثرت شظاياها داخل الغرفة، جُنَّ جنون الأب، كما لم ينفعل من قبل، أوثق صغيره بالحبال من قدميه، شدّهما في عنف إلى أحد الكراسي، وأوصد الباب عليه كي لا تدخل أمه وتفك وثاقه، ثلاث ساعات أو تزيد، كان الطفل يصرخ، يتوجع، ولا من مجيب، ويهدأ الصوت على صخب المأساة، وينفتح الباب، وتُفَكّ حبال الأسر، ولكن بعد أن تجمدّت الدماء وتوقف مجراها عن قدمه، لقد أُصيبتا بالغرغرينة، وكان لابد من بترهما حفاظًا على حياة الطفل، كانت، وهكذا كان..! تحول الطفل الوحيد إلى مأساة مروعة تهزُّ من في الدار وتقض مضجعه، كانت شفتا الصغير المرتعشة تُرَجِّع في صمت طفولي عاتب.

هذا جناه أبي عليَّ
وما جنيتُ على أحد



د. حسن فتح الباب:



الحداثة تمثل واستيعاب للعصر

أجراه: طارق عبد الفتاح شديد

يعد الدكتور حسن فتح الباب من شعراء الواقعية في أدبنا المعاصر، وقد صدر لشاعرنا - بالقاهرة - منذ وقت ليس بالبعيد ثلاثة دواوين، هي: «أحداق الجياد» و «كل غيم شجر وكل جرح هلال» و «سلة من محار»، وهي الدواوين: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر في ترتيب مجموعاته الشعرية.

في البدء سألته «الفيصل» عن رؤيته للمشهد الشعري العربي المعاصر، وأهم ظواهره السائدة التي يرصدها، وخاصة شعر الحداثة.. فقال:

• المشهد الشعري العربي، وخاصة في مصر، أشبه بلوحة من الفسيفساء التي تختلط وتتزاحم فيها كل الألوان، جانب منها (هارموني) ومنسّق والجانب الآخر فوضوي؛ فالشعراء الكبار لهم مكانهم ومكانتهم، ولكن الفوضى في الجانب أو الوجه الآخر من الصورة تتمثل في بعض ماينشر بوسائل الإعلام المختلفة من شعر الشباب الذي لا يحمل معظمه من الشعر إلا اسمه.. هناك مواهب جديدة ربما يثبت أصحابها أقدامهم على الطريق إذا لم يأخذهم اللهاث وراء الشهرة ومايسمى بالنجومية، ويغريهم بعض النقاد بقولهم أنتم تنسخون ماقبلكم، أو قول بعض هؤلاء الشعراء من موهوبين وأنصاف أو أرباع الموهوبين إن أمل دنقل هو آخر الجاهليين، أو قولهم نحن جيل بلا آباء.

وظاهرة الفوضى هذه إفراز لطبيعة المرحلة التي نمر بها، وهي مرحلة الضياع العربي الذي يغرق الحاضر وقد يمتد إلى المستقبل القريب مالم يدركنا الله برحمته؛ فالأوراق قد اختلطت وغلب الزائف على الأصيل، وانعكس المناخ العام على الشعر، فمن آثار هذه الفوضى أن انكفأ كثير من الشعراء الناشئين على ذواتهم ولاذوا بفرديتهم، فاقتصرت رؤيتهم على الهامشي دون الجوهري والسطح دون الأعماق.

لقد شحبت الآمال، وذبلت الأحلام، ولم يعد يتألق في الأفق مشروع عربي كبير، وغاب كل ماهو جميل وجليل ومؤثر في الوجدان والفكر، فأصبح قصارى المشروع الشعري لدى الشباب التعبير عن آمال معيشية ضئيلة بدعوى التقاط الجزئيات الصغيرة من الواقع، ولكن أي واقع؟ هذا هو السؤال الذي لا يجيبون عنه.

إن الواقع يتسع ويمتد ليشمل المجتمع والعالم كله، ولاشك أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تؤدي دوراً مدمراً للرؤية الصحيحة، وتسبب ظاهرة التقوقع أو الانكفاء على الذات الفردية كما أشرنا.. ولكن الشاعر الحق هو الذي يتخطى الواقع الرديء المفروض، ولا يستسلم للإحباط أو يهرب إلى الأمام.. والخبرة التاريخية تعلمنا أن الفن الحقيقي وإن كان يصدر عن الذات إلا أنه يصب في نهر الجموع ويعبر عنها لا عن الأوهام والنزوات الفردية.

إن الأعداء المحيطين بنا يتربصون بالشباب ويدفعونهم إلى اليأس من التغيير إلى الأفضل.. والشاعر الذي يملك وعياً اجتماعياً وتاريخياً هو الذي يؤمن بدوره في هذا التغيير عن طريق مواجهة الحقيقة الظاهرة والخفية، وتصوير آلام الإنسان في هذا العصر وأحلامه، والتبشير بفجر جديد، وعالم ترفرف عليه رايات العدل والحرية، وهو الذي يؤمن بأن طاقات المقاومة في الفرد والجماعة لا حدَّ لها. ولكن بشرط ألا يكون شعره تقريرياً أو مباشراً بل تتوافر فيه عناصر الخيال المبدع.

الحياة الثقافية بالمملكة

ـ تنوعت مشاركاتكم في الحركة الثقافية العربية بتنوع مجالاتها وحقولها.. والدراسات النقدية التي قمتم بها تؤكد متابعتكم ورصدكم للحركة الإبداعية على مستوى الوطن العربي.. في هذا الإطار، كيف تنظر إلى الحياة الثقافية في المملكة العربية السعودية؟

• منذ نشأتي الأدبية الأولى تعمق وعيي بوحدة العالم العربي، وتجلى هذا الوعي فيما كتبت ونشرت من شعر ونثر، كما عبرت عنه في مسرحيتي الشعرية (محاكمة الزائر الغريب) إذ يدور محورها حول مقاومة الدعاوى والشعارات التي يروج لها أعداء الأمة العربية مثل «الشرق أوسطية» التي يقصد بها إدماج إسرائيل في الوطن العربي وهيمنتها على اقتصادياته، واستنزافها مصادر قوته، حيث تزودها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية بأحدث أنواع التقانة (التكنولوجيا) والأسلحة التي لا يملكها العرب، فضلاً عن كونها وكيلة للشركات المتعددة الجنسيات، مما يمكنها من السيطرة على التجارة في المنطقة، ولاسيما بعد اتفاقيات الجات التي ستزيد الغرب ثراء وتلحق أبلغ الأضرار بالعالم الثالث.

من الظواهر المضيئة في المملكة ارتفاع مستوى المجلات الثقافية والأدبية وبزوغ جيل جديد من المبدعين لهم أصواتهم المتميزة.

ونظرًا لأن الثقافة هي حجر الأساس في بناء الحضارة، فقد اتجهتُ منذ بداياتي إلى المشاركة في الحركة الثقافية العربية، وخاصة في مجال الأدب، لإشباع احتياجاتي الروحية والعقلية، والمشاركة في الدور الذي تقوم به الثقافة لتوحيد الأمة العربية، أو على الأقل تضامن أقطارها في سبيل تحقيق الحرية والعدل والتقدم حتى لا تتخلف عن ركب الحضارة الحديثة، ولكي نحتفظ بقيمنا العربية الإسلامية في مواجهة محاولات طمس هويتنا.

وتمثلت مشاركتي فيما أبدعه من قصائد، وما أكتبه من دراسات نقدية ومن بحوث في مجال تخصصي، وهو القانون الدولي والعلوم السياسية، كما تمثلت هذه المشاركة في حرصي على متابعة الإنتاج الأدبي في البلدان العربية بقدرما يسعفني الوقت والجهد، والكتابة عن بعض هذا الإنتاج، ولي مخطوطة كتاب لم يطبع بعد بعنوان (سمات الحداثة في شعرنا المعاصر)، تناولت فيه بالبحث النقدي ثمانية وعشرين شاعرًا يمثلون معظم الدول العربية؛ فمن الكويت الشعراء: أحمد مشاري العدواني، وعبد الله العتيبي، ود. خليفة الوقيان، والشاعرة جنة القريني، ومن البحرين علوي الهاشمي، ومن السعودية د. غازي القصيبي، وحسن عبد الله القرشي.. وقد كتبت منذ سنوات، دراسة عن ديوان (على ربى اليمامة) للشاعر عبد الله بن خميس، كما نشرت في مجلة «الفيصل» تحليلاً لقصيدة خالد الحليبي عن أطفال البوسنة ضمن دراستي (أصداء ملحمة البوسنة في الشعر المعاصر).

ومن الظواهر المضيئة في المملكة العربية السعودية ارتفاع مستوى المجلات الثقافية والأدبية التي تصدرها، وفي مقدمتها «الفيصل» و «القافلة» و «الحرس الوطني» و «الخفجي».. وبزوغ جيل جديد من المبدعين في الشعر لهم أصواتهم المتميزة بين الشعراء الشباب في الوطن العربي الكبير، وإني لآمل أن أتلقى دواوينهم الشعرية للاطلاع عليها والكتابة عن خصائصهم الفنية.. أما الإبداع القصصي والروائي في السعودية فلم تُتح لي قراءته باستثناء بعض ماينشر من قصص على صفحات المجلات والملاحق الثقافية في الصحف.

ومن مظاهر النهضة الفنية أيضًا، مايقام من معارض الفنون التشكيلية التي تستوحي البيئة والتراث والخط العربي وتوظيف التقنيات الحديثة، وتصلنا في القاهرة عبر الصحف والمجلات السعودية أصداء الندوات الثقافية والأدبية التي تنظم في الرياض وغيرها من المدن، وتزايد عدد الأندية الثقافية، ومما يدل على النهضة الثقافية بالسعودية تلك الحركة النقدية التي قدمت أسماء جديدة أصبحت راسخة في عالم النقد، مثل الدكتور عبد الله الغذامي، والدكتور منصور الحازمي.

نزعة إنسانية

ـ يذهب النقاد مذاهب شتى في تقويم أو تصنيف شعرك؛ فيقول الدكتور رشاد رشدي: (بهرني شعر حسن فتح الباب بطابعه الفني والإنساني، إنه شاعر عالمي بكل المقاييس).. ويقول الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي إنك شاعر مناضل تتجرد في شعرك من المباشرة والتقريرية وتكتب قصائدك نفسها بنفسها.. ويرى الناقد إبراهيم فتحي إنك شاعر واقعي.. فأين تجد نفسك بين هذه الآراء؟

• كل ناقد له رؤيته الخاصة من خلال المذهب الأدبي الذي ينتمي إليه، وأنا أقبل النقد بصدر رحب مادام غير مغرض ولا يلوي عنق النص ليخضعه لأدواته، بمعنى أن له رأيًا مسبقًا يطبقه على العمل الأدبي الذي يعرض له بالبحث.. فالناقد الحق في رأيي هو من يمنح نفسه للعمل دون أفكار سابقة، فقد يهديه هذا العمل إلى رؤية نقدية جديدة، أو يعدل من النظرية التي يعتنقها، أو يضيف إليها.. إن أساس النقد الصحيح هو الموضوعية والتجرد والبحث عن خصائص النص من داخله.

ومع ذلك فإنني لا أرى اختلافًا كبيرًا بين الآراء التي أشرت إليها، فخلاصتها أن شعري يصدر عن نزعة إنسانية، ولكن هذه النزعة فيما أرى تصدر بدورها عن هموم اجتماعية وسياسية محلية أو عالمية أصورها من خلال ذاتي، أي يمتزج في قصائدي العنصر الذاتي بالعنصر الموضوعي، والجزئي بالكلي، فلست شاعرًا رومانسيًا لا يرى من هذا الكون الواسع والوجود المتعدد الأبعاد والغائر الأعماق إلا وجه الحبيبة وتجليات الطبيعة، فأنا أرى كل أطفال العالم في أبنائي، وكل النساء المكافحات في حبيبتي. والطبيعة عندي خلفية، أما البؤرة فهي الإنسان، وأعتقد أنني شاعر مقاومة في المقام الأول، ولكنها المقاومة بالمعنى الواسع العميق، أي مقاومة كل مايصادر حق الإنسان في الحرية والعدل، وفي تقرير مصيره، وفي ازدهار ملكاته.

خيوط مجدولة

ـ هناك قصائد منتشرة في بعض مجموعاتك الشعرية، تتكون كل منها من بضعة سطور، إذا قرأناها وجدناها تمزج بين الواقعية وما فوق الواقعية (السريالية) وربما غيرهما من الاتجاهات التعبيرية، فكيف نفسر هذا المزج وأنت شاعر يؤمن بوظيفة الفن الاجتماعية وبرسالته في مناصرة المضيء على المظلم والواقعي على الوهمي؟

• لا تناقض بين هذا الإيمان والجمع بين مذاهب تعبيرية مختلفة؛ فرؤية الشاعر تعني موقفه من الحياة والمجتمع، وهو يصوغها لغة وتشكيلاً وموسيقى بما يملكه من أدوات وتقنيات فنية يوظفها لتحقيق هدفه وهو التأثير في المتلقي لتغييره، والإسهام بذلك في تغيير المجتمع والعالم، ومن ثم يلجأ إلى الواقعي والتخييلي، ويستعين بالأسلوب (السيريالي) والأسلوب الرمزي وغيرهما، وهو يعبر عن الواقع في صراعه وتناقضاته، فالفن رحيق يجمع بين عبير كل الزهور، وقدرة الشاعر تبدو فيما يحدثه من تناغم بينها للتعبير عن فكره وعاطفته: الرصاصة والقرنفلة، الحجارة والغمام، البحر والكهف، العصافير والمذبحة.

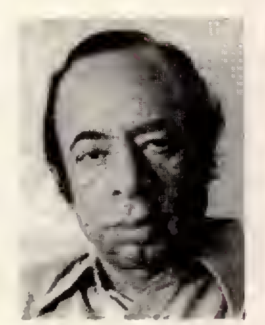
لقد مضى ذلك الزمن الذي كان فيه الشاعر يصور الواقع تصويرًا آليًا مستنسخًا (فوتوغرافيًا) مسقطًا فنه بذلك في شرك السطحية؛ لأن الواقع

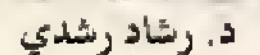
تمثل واستيعاب للعصر

عميق ومعقد، ويمكن التعبير عن هذا الواقع نفسه بالأسطورة والرمز بشرط عدم التعمية والإغراب أو التغريب.. والشعر، مثله في ذلك مثل سائر الفنون، عمل مركب من عديد من العناصر.

وقد كان أملي دائمًا أن أكتب قصيدة ذات بناء هندسي محكم، ونسيج لغوي ذي خيوط مجدولة من المفردات والتراكيب المشتقة من التراث الحي ومن الحداثة معًا، وذات تصوير يجمع باتساق بين الحلم والواقع، بين الحسي المادي والمتخيل، بين الواقع والتجريد، دون الوقوع في آفات الضبابية أو استنساخ القديم البالي، ومازلت أطمح إلى الاستمرار في كتابة قصيدة عربية حديثة تدخل في دائرة الشعر الإنساني العالمي، ليست شبيهة بالقصيدة المترجمة أو المستنسخة، ولا تفقد روحها المشعة ومحتواها الإنساني إذا ترجمت إلى لغة أجنبية، قصيدة تجمع بين خصائص (السيمفونية) واللوحة التشكيلية من حيث المعمار الهندسي واتساق الألوان، كما تشبه

د. غازي عبد الرحمن القصيبي





د. رشاد رشدي

حسن عبدالله القرشي

الأسطورة في عنصرها التخييلي تستند في جذورها إلى عناصر واقعية وتعانق الهواء والسحاب.

الحداثة الشعرية

- مفهومك للحداثة الشعرية، كيف يتحدد؟ هل من داخل العمل أم من خارجه؟ من التراث الذي تتكيء عليه وتتمثله أم من الغرب الذي تنبثق منه الحداثة ويؤسس لها؟

* مفهوم الحداثة في نظري هو تمثل واستيعاب روح العصر دون بتر صلتنا بالعناصر المضيئة من التراث، فأنا مع التجديد أيًا كان الشكل التعبيري للعمل الفني، ولست مع الصرعة أو البدعة فهي اصطناع يصل إلى حد التزييف، وتقليد للأجنبي الدخيل سرعان مايذهب جُفَاء كالزبد، وما من شاعر أصيل إلا ارتوى من الينابيع الفائرة في تاريخ أمته.

وشرط التطور الأصيل للشعر هو النمو من الداخل والانبثاق من التجربة الذاتية ذات المكونات الموضوعية، أعني المستمدة من واقع الحياة بعناصره المختلفة.. أما الشعر المجتلب من الخارج فأصحابه أدعياء لا يخلصون لذواتهم وتاريخهم الحضاري، ووقف الشاعر إنتاجه على تصوير الواقع (فوتوغرافيًا) يخرج به عن جوهر العمل الإبداعي، فلا بد أن تلتقي أعماق الشاعر بأعماق الحياة ويحدث تفاعل بينهما وإخصاب كلٍّ منهما للأخرى، وتكتمل بذلك الرؤية ويتكون العالم الشعري الذي يشبه في بعض جوانبه الحياة، ولكنه يمثل عالمًا قائمًا بذاته لأنه يتجاوز الواقع اليومي، والحدث العارض المتغير، إلى حقائق إنسانية وكونية ثابتة.

الشكل والمضمون

- من وجهة نظركم، هل يخلق سمو المضمون شاعرًا كبيرًا؟

* قد يخلق سمو المضمون كاتبًا أو مفكرًا ذا شأن ولكنه لا يخلق شاعرًا كبيرًا؛ لأن التعبير الجمالي الموفي بخصائص الإبداع شرط أساسيّ في الشعر؛ فالمتنبي وأبو تمام وابن الرومي والبارودي وشوقي وغيرهم ممن بقيت أشعارهم على الزمن وتحدَّت النسيان وأغْنَتْ الذاكرة العربية لم يكونوا عباقرة إلا بفضل مواهبهم وخبراتهم التي ارتفعوا بها على غيرهم من الشعراء.

وقد يدرج النقاد شاعرًا في مصاف العباقرة بفضل تفرده في الأسلوب الفني وإن كانت موضوعاته ومضامينه لا ترقى إلى مستوى الغاية الأخلاقية أو الاجتماعية.. والنموذج لذلك أبو نواس في الشعر العربي وبودلير في الشعر الفرنسي؛ فالأول لا نظير له في الخمريات، وهي القصائد التي صور فيها مشاهد الشراب وأدواته ومغامراته في الحانات والديارات وهي الأماكن المرتفعة في أرباض بغداد، والتي كانت اليهوديات العجائز يبعن فيها الخمر للراغبين بعيدًا عن عيون الشرطة، وكذلك شارل بودلير، وهو مؤسس الشعر الرمزي، فديوانه (أزهار الشر) الذي استوحى فيه غانية زنجية من بنات الهوى هام بها عشقًا وهي جان ديفال من بدائع الشعر الفرنسي بل والشعر الأوربي عامة.. والأمثلة كثيرة على الأهمية القصوى للتعبير الجمالي بغض النظر عن مثالية المضمون، لأن الفن لا يخضع للمقاييس الأخلاقية، وإن كنت أرى أن الشاعر الكبير حقًا هو الذي يحمل رسالة إنسانية يجمع بينها وبين الإبداع الجمالي، والدليل على ذلك أن أكبر شعراء العالم توافر في إنتاجهم هذان العنصران، والشواهد أكثر من أن تحصى، ولنذكر على سبيل المثال إلى جانب من سبق محمد إقبال شاعر باكستان وأحد مؤسسي دولتها، وحمزاتوف شاعر داغستان الإسلامية.

يدل على ذلك أيضًا أن الشعراء المتميزين في المستوى الفني والذين كتبوا شعرًا ينم عن البذاءة والخلاعة قد سقط شعرهم هذا؛ فلا تذكر قصائد جرير والفرزدق والأخطل في الهجاء المقذع والتي تسمى بالنقائض، ولا قصائد النواسي العابثة وعبد الحميد الديب في العصر الحديث إلا على سبيل التسجيل التاريخي أو المسامرة اللاهية، وكذلك أشعار المتنبي وابن الرومي الماجنة أو الفاحشة الهجاء، ولا يبقى منهم في التاريخ إلا ما ارتفع مستواه شكلاً وموضوعًا.

المشهد الشعري العربي أشبه بلوحة من الفسيفساء جانب منها متناغم (هارموني) منسق، والجانب الآخر فوضوي

وما يسري على الشعر يسري أيضًا على الفن القصصي والروائي مثل قصص ألف ليلة وليلة ومسرحيات الكاتب الايطالي بوكاشيو.. وليس معنى ذلك أنني أرفض تناول الجنس في الإبداع، فليس هناك قيود أو محظورات في الأدب والفن، والجنس في مشروعية توظيفه مثله مثل السياسة، ولكنّ هناك خيطًا رفيعًا يفصل بين القيمة الجمالية والابتذال، والقرآن الكريم أومأ إلى الجنس بصورة شفيفة وتعبير راق في موضعين من قصة يوسف عليه السلام، دون أن يثير شهوة جامحة، أو ميولاً مريضة، فالفن أسمى من أن تكون غايته دغدغة الأحاسيس الجنسية البهيمية والعزف على وترها، وقد خلق الله الجسد والغريزة فلا بأس أن نستوحيهما في الأعمال الأدبية بشرط ألا نحط من قيمة الروح التي أودعها الخالق العظيم هذا الجسد.

الإبداع

مُصادَفةٌ أمْ ذكاءٌ.. أمْ ماذا؟!

د. صلاح يحياوي

كيف تتولد الأفكار؟
يتلخص سر الأفكار الجيدة في أنها تقوّي مقدرتنا العقلية.
عندما يعمل الفكر التباعدي Divergent Thought - وهو الأكثر حرية ولا عقلانية - تنتقل التعاليل المنطقية إلى مستوى ثان.
لقد مررنا جميعًا باللحظة الحرجة نفسها: تُعَذِّبنا مشكلةٌ ما حتى تمر اللحظة غير المتوقعة فتحضرنا الإجابة واضحة جليَّةً سهلة، فنتساءل صائحين:
- كيف لم يخطر ذلك على بالنا؟
تُعَدُّ «مَسَّاحة الأرض» اليوم أداة مألوفة جدًا توحي بأن باستطاعة أي إنسان ابتكارها، لكن ذلك لم يخطر على بال أحد من قبل، حتى جاء الإسباني مانويل خالون كورميناس M.J. Corominas عام 1956م، فجمع معًا العصا وخرقة المسح وذلك لتجنب قعود القرفصاء غير المريح الذي يتطلبه تنظيف المنزل.

لقد تداعت لدى كورميناس مفاهيم متباعدة بطبيعتها، فعقد زواجًا ضد الطبيعة ما دارت حوله أية شبهة. يبدو أنّ هذا هو روح الإبداع وماهيته.

يصف المفكر أرثور كوستلر A. KOSTLER على وجه الدقة تاريخ العلوم كتتابع أفكار كانت تُعد في السابق شاذة غريبة. فعلى سبيل المثال كان القمر من جهة، والمدُّ والجزر من جهة أخرى على اختلاف كبير جدًا، إلا أن الروماني بلينيو PLINIO وصل بينهما فاتحدا إلى الأبد.

تقول مانويلا رومو M. ROMO الأستاذة في جامعة مدريد، ومؤلفة كتاب «سيكولوجية الإبداع»:

ليس الأمر أمر مجموعة من المهارات الخاصة، بل هو طريقة عادية في التفكير كثيرًا ما يستخدمها بعض الناس.

وضع العالم النفساني الأمريكي جي بول غيلفور J.P. GUILFORD منذ أربعين عامًا مصطلح الفكر التباعدي Divergent Thought الذي أفاد في تفسير عمليات الذهن المثمرة هذه. إن الفكر التباعدي هو شكل من التفكير الأصيل والرخص أي اللدن والمرن. إنه تمامًا ضد المنطق أو الفكر التقاربي Convergent Thought الذي هو آلية لذكاء جَسيء (صلب) ومحافظ يشغف بالبحث عن إجابات واضحة جلية لا لبس فيها وذلك بطرائق تم اختبارها سابقًا، وفيه يقاوم الدماغُ - متشبثًا بمعاييره - التصدي للمشكلة من منظور غير معروف، أي من مفتاح الإبداع.

ومثال ذلك ما أورده دانييل غولمان D. GOLELMAN، وبول كوفمان P. KUFMAN، ومايكل ري M.RAY في كتابهم الروح المبدعة CREATIVE SPIRIT:

«ذهب موظف متبرم برئيسه ليرسل سيرته الذاتية إلى أحد مُتَصَيِّدي المواهب فيتخلص بذلك من وطأة رئيسه...، ولكنه فكر فجأة:

- لِمَ لا أرسل ملف رئيسي الألمعي نفسه؟

وهكذا كان إذ أدرجت شركة أخرى رئيسه في قوائمها فاختفى هذا الرئيس عن عيني الموظف الذي حل محله. إنها تباعدية، بحتة».

يُعَدُّ المفكرون الأصغر سنًا النموذجَ الذي ينبغي اتّباعه؛ ففي الوقت الذي يبدو فيه قلم الرصاص للراشدين شيئًا يكتب به يمكن أن يكون بالنسبة لهؤلاء الصغار صاروخًا، أو

سلاحًا يقذف كالنبل والسهم، أو مَرْكبًا يطفو، وكلما تقدم بنا العمر يزداد ثقل التجربة والمحاكمة الناقدة، ويغدو الخيال الحر تحت المراقبة فيتوقف عن النمو.

يفسر ذلك إدوارد دوبونو E. DE BONO الذي وضع المصطلح المعروف الفكر الجانبي LATERAL THOUGHT تفسيرًا بيانيًا عندما يقول:

ـ «يدخل الفكر الشاقولي ـ المنطقي ـ متعمقًا دائمًا في الثقب نفسه بحثًا عن الكنز المنشود، في حين قد يكون من المناسب القيام بذلك في ثقب جديد».

ويقول أينشتاين شيئًا مماثلاً:

ـ «ليس الأمر أمر البحث عن حلول، بل أمر طرح أسئلة جديدة على أنفسنا».

يبدو أننا عندما نزيل العائق عن أنفسنا نتيح للوضوح والجلاء اقتحام رؤيتنا: إنه ما يدعى نظرية الهَشّ(1) AHA THEORY. إن أحد أعظم المدافعين عن هذه النظرية هو الرياضي هنري بونكاريه H. POINCARE الذي يروي تجربة خاصة عاشها في ليلة من القلق، إذ يقول:

«جاشت الأفكار متزاحمة، وأحسستُ بها يصطدم بعضها ببعض حتى ـ إن صح التعبير ـ أخذت تتراكب مشكّلةً أزواجًا مستقرة».

يحقق اللاوعي، وهو الأكثر انطلاقًا وحرية، لدى بوانكاريه جميع التراكيب الممكنة، في حين يكون الفكر الواعي مشغولاً بأمور أخرى. ومع ذلك يعتقد معظم الباحثين أن المبدع لا يتوقف عن العمل في المشكلة. فخلال ما يدعى الحضانة يستمر الذهن في رسم الخطط حتى ونحن نشاهد فيلمًا سينمائيًا أو مسرحية، أو ننصت إلى متكلم.

دور المصادفة البحته في تقدم البشرية

رأى غوتنبرغ GOTENBERG خلال عيد النبيذ في ألمانيا معصرة لاستخراج العنب، فاستوحى منها فجأة آلة تمكنه من طباعة نماذج متعددة متحركة.

لقد قادت المصادفة إلى تقنيات حاسمة:

فقد اكتشف فلمينغ FLEMING الصادّة أو المضاد الحيوي «البنيسلين» عندما تبين أن الهواء يرسّب أبواغًا(2) من العفن المدعو «بنيسيليوم» في مستنبت للجراثيم.

واعتقد كريستوف كولومب بأنه يبحر نحو الهند.

من الواضح أن لدى جميع هؤلاء المحظوظين المقدرة والمعارف الضرورية للإفادة من هذه المساعدة الصغيرة المناسبة جداً التي قدمتها المصادفة.

الإبداع تصميم وإصرار

إن على أعظم القرائح أن تتمتع بعزيمة مدرعة ضد الانتقادات والإحباط. فبالتصميم الكامل على العمل يمكن جني الثمار.

إن خلف كل اكتشاف إبداعي عظيم قصة ـ بطولية أحيانًا ـ من العناد والتشبث والاستقلالية.

لقد فشلت جميع المحاولات التي تمت لاستنتاج وجود أسباب وراثية وراء الإبداع، إذ لم يستطع أحد البرهنة على أن المبدعين العظام يولدون ليكونوا كذلك؛ علمًا بأن فضائل أخرى لابد منها للانتصار في عالم معادٍ للتجديد تواكب القريحة الفطرية.

تأخذ هذه الرغبة بالتصلب منذ السنين الأولى من العمر، وهذا لا يعني أن المبدعين يتألقون على نحو خاص في المدرسة، لقد كانت العلامات (الدرجات) التي حصل عليها كل من داروين وتشرشل وأينشتاين في المدرسة علامات رديئة.

يقول توماس غ. ويست T.G. WEST في كتابه في عين الذهن IN THE MIND'S EYE:

إن الأشخاص المتمازين هم أحيانًا أجود في إبداع معارف جديدة مما هم في تمثل المعارف القديمة وحفظها.

غير أن بالإمكان القول أيضًا:

مهما بدا ذلك غير معقول، فإنه لا صلة مباشرة بين الذكاء والإبداع.

يمكن ـ حسب ما يدعى بـ «فرضية العتبة» ـ أن تبدأ كلا المقدرتين من قيمة متوسطة حتى تبلغ أسًا فكريًا قدره 120، ولكن يمكن للذكاء بدءاً من هنا الانعتاق متحللاً من القوى المبدعة، أو يمكن حتى أن يعطلها.

ليس اكتشافٌ مبدعٌ أصيل ـ بمجرد النظر إليه ـ مهمةً يسيرة. ولقد مر زمن على تجربة قام بها العالم النفساني دونالد و. ماكينون D.W. MAKINON باختبار فريق من المعماريين المشهورين في الولايات المتحدة، وتوصل إلى استنتاج أن أكثر الرجال إبداعًا يأتي فيما يدعى «صنف الأنثويات»، أي يتّصف بانفتاح الإحساسات والحدس والخاصيات الأخرى، وهي صفات جرت العادة أن تنسب إلى النساء.

تعمل البواعث على تعمل الألم الجسدي أو النفساني

لقد خصصت دراسات أخرى لمواقف المبدعين التالية: الحرية والاستقلال الذاتي، وخاصة قبول الغموض والإبهام، أي عدم استبعاد ما لا يراعي المقاييس المعيارية كاللوحة التجريدية.

إلا أن هناك مأثرة تلخص جميع ما سبق. يعتقد جورج برنارد شو G.B. SHAW:

«أن الفنان قد يترك زوجته تموت جوعًا، وأن يبقى أولاده حفاة، وأن تجبر أمه على العمل وهي في سن السبعين لتبقى على قيد الحياة قبل أن يعمل بأي شيء غير فنه».

إن التسليم بهذا له خاصيات غرامية. لقد تمكنت المختصة بعلم النفس الاجتماعي تيريز أمابيل T. AMABILE من التحقق بالاختبارات

إن على أعظم القرائح أن تتمتع بعزيمة مدرعة ضد الانتقادات والإحباط. فبالتصميم الكامل على العمل يمكن جني الثمار

العملية من أن المبدعين الذين يعملون لمجرد المتعة يحصلون على نتائج أكثر إبداعية من أولئك الذين يعملون مقابل مكافأة مادية.

قد يكون لهذا الاستمتاع أحيانًا صبغة التلذذ بالألم. يقول فلوبر FLAUBERT الذي يمكن لمستوى تركيزه أن يجعله يلقب بحق «العالم الشارد الفكر»:

«أحب عملي كما يحب الناسك المسْحَ(3) الذي يخدش بطنه».

ولتوضيح هذه المقدرة جرت عادة مختصي علم النفس رواية حالة الكيميائي تيبل J. TEEPLE الذي استحم مرتين متتابعتين في صباح أحد الأيام وهو يقلب في ذهنه عمله على جوانبه.

وقد كتب مارك توين MARK TWAIN يقول:

يغدو الإنسان مجنونًا بفكرة جديدة حتى تنتصر الفكرة». تقع علة المشكلة في معرفة: كم يمكن للمبدع تحمل ضغط اعتباره حيوانًا غريبًا؟ ولا يتجاوز ذلك إلا أولئك الأكثر عظمة.

الإبداع متعة وهو معجز

إن أهمية الإبداع في تزايد، إذ يلجأ عالَمُ العمل وأصحابه تحت ضغط عدم استقرار السوق إلى طرائق من أمثال عاصفة الأفكار أو السينكْتية SYNECTICS لتجديد منتجاتهم على نحو ثابت.

لم يتمتع الإبداع ـ على مجرى التاريخ ـ بما يستحق من إعلام. ففي العصور الوسطى، كان الإبداع إرثًا مقصورًا على الآلهة، وكان لا يُنظرُ إلى أصحاب المواهب الأصيلة بعين الرضا.

كان هؤلاء يلاحَقون، بل ويُحرقون، يحرقهم محققو محاكم التفتيش. وما إن بدأ عصر النهضة حتى ثار عباقرة من أمثال ليوناردو، وميكل أنجل، وفرضوا شخصيتهم الإبداعية. إلا أن الناس استمروا على عدّهم أشخاصًا شاذين معتوهين بتأييد إلهي. وكان الإبداع مفهومًا لا يواكب إلا الميادين الفنية.

لقد تبدل هذا الأمر اليوم، فغدا أصحابُ أعمال وأصحابُ دور إعلان ومهندسون، وحتى لاعبو كرة قدم مقدَّرين حق التقدير على إبداعهم، وغدت هذه الفضيلة تهدد باكتساح الذكاء.

يقول ديفيد دو برادو D. DE PRADO مدير التمكن الدولي للإبداع التطبيقي الكلي:

MASTER INTERNATIONAL DE CREATIVIDAD APLICADA TOTAL

من جامعة سانتياغو دو كوپو ستلا داعيًا إلى القيام بالتجربة التالية:

ـ لننظر فيما حولنا في غرفتنا، ونتساءل: ما هو الشيء الذي لا يُعَدّ منتَج الخيال أو مُنتَج عبقري مُبْدِع؟

الجرس والنقد التخريبي

إن مجتمعنا الاستهلاكي المجنون، حيث تشيخ المنتجات خلال أسابيع قد أطلق تَسْعير الأفكار من عقاله. ففي الولايات المتحدة تقدِّمُ أربع من كل عشر مؤسسات من تلك التي تضم أكثر من مئة عامل لموظفيها مُحَضِّرًا خاصًا لتزيد من حدة قريحتهم. ويُعْتَقَدُ اليوم في عالم الأعمال أن أي إنسان يمكن أن تكون لديه خواطر جيدة إذا ما وضع في الأوساط المناسبة.

وفي الخمسينيات من هذا القرن أدرك ألكس غوردن A. F. GORDON مدير وكالة إعلان في الولايات المتحدة أن قلة من الموظفين تقدم أفكارًا، وأن الآخرين ـ إضافة إلى ذلك ـ ينسفون بانتقاداتهم أولئك الذين يقدمونها... فقرر لجم هذا الموقف المدمِّر عندما جلب معه إلى الاجتماعات جرسًا كان يدقه كلما سمع نقدًا لإيحاء مقدم. وهكذا ولدت «عاصفة الأفكار» BRAIN STORMING التقنية الأكثر انتشارًا لتحفيز الإبداع، وهي تفترض ـ كما يدل عليها اسمها ـ تحرير الخيال الجماعي كي يتراكم أكبر عدد من الاقتراحات حول مسألة محددة، وذلك باعتماد القاعدة الذهبية: يمنع ذم أي اقتراح مهما بدا غير معقول أو محالاً.

وعند المناقشة حول مكافأة الكم قبل الكيف بلغت عاصفة الأفكار حد الكمال بتقنيات أخرى كالسينكْتية SYNECTICS التي تجبر على أن يحقق الفريق تداعيات أفكار بعيدة أو قياسات تُحَوِّلُ الغريب إلى مألوف. وعلى سبيل المثال فإن عالمًا من شركة أمريكية شمالية قد توصل إلى البنية الكيماوية لصباغ ليف صناعي متخيلاً نفسه داخلاً في النسيج كما لو كان يمشي في نفق.

وفي إحدى جلسات «التمكُّن الدولي للإبداع» في سانتياغو دو كومبوستيلا، حيث يعمل مديرو المؤسسات وهيئاتها الإدارية إلى جانب الفنانين، كان المشاركون يتحولون بالخيال إلى أسماك ليتفرجوا على تأثيرات التلوث. وكانوا ـ بعد أن عاشوا التلوث النهري في الحراشف ـ أكثر تأهلاً للبحث فيما بعد عن الحلول.

البرامج المعلوماتية والاقتراحات الغريبة

تطرح بعض البرامج المعلوماتية، على هامش المحاكمات العقلانية المعتادة ـ اقتراحات غريبة، وتساعد على تنمية الفكر القياسي المجازي. هذا ولا يعمل أيٌ من عشرات التقنيات المتوافرة، إذا لم يتم التخلص من التسلسل والرتابة والأعداء الآخرين المميتين للإبداع.

ويعتقد روبرتو هرِّروس R. HERREROS الأستاذ في مدرسة المنظمة المؤسساتية في مدريد:

يجب توفير جو مناسب للأفكار ونظام تواصل جيد يغنيها.

إن مجتمعنا الاستهلاكي المجنون، حيث تشيخ المنتجات خلال أسابيع، قد أطلق سعير الأفكار من عقاله

مصادفة أم ذكاء.. أم ماذا ؟



العمال أذهان مفكرة وليسوا يدًا عاملة

مر في اليابان على الثقافة التي يدعوها بعضهم، «علم إحداث الإبداع» CREATIVOGENICS عدة سنوات مجزية. فمبادرات من مثل صندوق الاقتراحات قدمت لتويوتا TOYOTA ثلاثمئة فكرة/سنة، وهو رقم أكبر بثلاثين مرة من الأفكار التي تستقبلها مؤسسة أوربية من الأبعاد نفسها.

ومن المكتشفات اليابانية: جلسات الوايْغايا WAIGAYA، حيث يغلق فريق من الموظفين الأبواب على أنفسهم خلال أيام لممارسة عواصف الأفكار، ثم يتفرغُ الفريق بعد للطواف على أقسام الشركة لإعلام المعنيين بما توصل إليه الفريق، ولا مثيل لهذه الاستراتيجية في أي مؤسسة غربية.

زد على ذلك أن تعميم ثقافة «علم إحداث الإبداع» يمكن أن يجعل حياتنا جميعًا أكثر لطفًا. وكما يقول العلمي النفساني أبراهام ماسلو A. MASLOU:

ـ الأجدر بنا أن نصنع حساءً من الدرجة الأولى من أن نرسم لوحة من الدرجة الثانية.

إن الحياة اليومية ـ إذا ما أمعنا النظر فيها ـ مملوءة بالأوضاع التي تدعو أصالتنا.

لـِمَ لا ننظم نحن أفكارًا على مختلف المستويات لنقرر أي قرار علينا اتخاذه؟

قد ينقذنا عصر الإبداع من الرقابة المميتة أو الكآبة. وقد قدم دافيد دو برادو تقنيات استرخاء إبداعية تمكن المرء من الإفلات من زحام السير أو تَوَقُّفه، وذلك باستخدام خياله فقط.

ويكتب الباحث روبرت ويسبرغ WEISBERG قائلاً:

ـ قد لا يكون هناك فكر غير الفكر المبدع، ذلك أن سلوكنا العادي ما هو إلا التكيف بنجاح مع أوضاع جديدة.

ففي عصر السرعة والتغيير يمكن أن يغدو الإبداع ضروريًا جدًا كالمشي أو التنفس.

صورة المبدع المثالي

توصل المربي الأمريكي هاورد غاردنر HAWARD GARDNER في كتابه «العقول المبدعة» بعد أن نقب في ترجمات حياة مبدعين متغايرين جدًا من أمثال غاندي وبيكاسو ومارتاغراهام وأينشتاين وفرويد وإيليوت واسترافنسكي، إلى استخلاص بعض الملامح المشتركة.

ـ تتدفق القرائح في أوساط بورجوازية، حيث تتجلى الاستقامة الأخلاقية والعمل الشاق.

ـ يعيش المبدعون على هامش أوساط مهنتهم. وهكذا فإن فرويد شكك في أفكاره عندما قُبلَت هذه الأفكار على نحو سريع.

ـ علاقات المبدعين بغيرهم صعبة جدًا. فقد بلغ بيكاسو منتهى السادية.

ـ يتمتعون بشكل أو بآخر بذهنية صبيانية؛ وأدل مثال على ذلك أينشتاين الذي كان يسلك أمام الجمهور سلوك طفل خبيث (شقي).

الإبداع وأعمار المبدعين

يبدو أن لجميع المبدعين عصرهم الذهبي، أي الزمن الذي تبلغ فيه جودة إنتاجهم أعلى المراتب.

لقد جمعت الباحثة الإنجليزية جيليان كوهن G. COHEN المعطيات وربطت بين الإبداع والعمر، فكان استنتاجها الأول:

حتى العشرين من العمر ـ مع بعض الاستثناءات ـ لا ينتج شيء تقريبًا يستحق الجهد، وأن الفروق تبدأ بالظهور بدءًا من هذا العمر.

وهكذا فإن الفنانين التشكيليين يتأخرون قليلاً عن الآخرين في بلوغ ذروتهم الإبداعية، فهم يبلغونها في الخامسة والثلاثين.

والمعطى الآخر الوثيق الصلة بالموضوع هو أن الموسيقيين يعيشون عصرًا ذهبيًا ثانيًا بعد الثلاثين عندما يبلغون الخمسين.

أما النوابغ العمليون فهم أخيرًا الأكثر نُضجًا قبل الأوان، لكنهم أيضًا الأسرع ذبولاً.

ومع ذلك فإن هناك أعاجيبَ مثل موزارت، وكتَّابًا متأخرين مثل سرفانتس CEVANTES الذي نشر أول جزء من كتابه «الكيخونة» EL QUIJOTE في الستينيات من عمره.

وتدل أغلب الأبحاث على أنه ما لم يمض عقد من التفرغ الكامل في أي فرع من المعرفة، فإن التمكن وبالتالي المقدرة على التجديد في حقل ما لا تتجلى وتظهر.

تصنيف الأنشطة

يؤكد الفيلسوف خوسيه أنطونيو مارينا في كتابه «نظرية الذكاء المبدع» مستميحًا العذر من المعجبين بكبار الشعراء وأبطال الكرة المبرزين قائلاً:

ـ يعد نظم قصيدة ما ولعب كرة السلة نشاطين متماثلين. وما الإبداع إلا مجرد إيجاد حل جديد ومقبول لمشكلة ليس لها حل ثابت، وفي هذا الصنف تدخل السيمفونية، كما يدخل أي عمل منزلي ذكي وغير متقن.

وهذا يعني أن الإبداع عادة يمكن أن يبلغ حد الكمال.

إن الآلهة لا تنفح الأفكار بنفسها، أي إنها لا توحي للمبدع كما كان أفلاطون يعتقد. إن بإمكانك أنت أيضًا أن تغدو مبدعًا.

الهوامش:

1ـ الهش: هَشٌ هشاشة وهشاشًا ارتاح ونشط.
2ـ البَرْغ: الكمأة الرخوة، والبوغاء: التربة الرخوة كأنها ذريرة.
3ـ المِسْح: هو الكساء الغليظ من الشعر، ومنه المسوح التي يلبسها الزهّاد والنسّاك.



الشاطبي وآراء تربوية متجددة

الزبير مهداد

عاش أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي في مدينة غرناطة في القرن الثامن الهجري، ولم يحدّد أحد سنة ولادته، وأخذ عن جماعة من علماء الأندلس والمغرب، ذوي اليد الطولى والإتقان الكامل للعلوم العقلية والشرعية واللغوية، حتى تفقه ونبغ وكان له فضل تجديد علم أصول الفقه، وحين توفي عام 790هـ، كان قد خلف وراءه عدداً من التلاميذ والمصنفات الثمينة في الفقه واللغة والأدب.
أهم مؤلفاته على الإطلاق كتاب «الموافقات»، وهو مصنف ثمين في أصول الفقه، نشره الشيخ عبد الله دراز مذيلاً بتعليقاته وشروحه القيمة. كما نشر له الشيخ محمد رشيد رضا كتاب «الاعتصام» الذي صنفه الشاطبي في البدع والمحدثات. أما الأستاذ محمد أبو الأجفان فقد حقق كتاب «الإفادات والإنشادات» وهو عبارة عن طرف وملح أدبية.

عاش الشاطبي حياة علمية حافلة، وحمل لواء الإصلاح الديني والعلمي والاجتماعي، فحارب البدع وكل مظاهر الانحراف في العقيدة والسلوك والفكر، وعانى في سبيل ذلك مشقة كبيرة، وتعرض لمحن كثيرة، ورماه خصومه بتهم مختلفة. ورغم ذلك فقد تحمل بصبر واحتسب أجره على الله عز وجل. وقد شهد كثير من الفقهاء والعلماء الذين ترجموا له بعبقريته الفذة ونبوغه، وذكروا مناقبه وجهوده الإصلاحية حتى لقبوه بناصر السنة(1).

يُعدّ الشاطبي من أئمة أصول الفقه وصاحب منهج تجديدي في العقلية الإسلامية، وله يعود الفضل في الكشف عن أهمية مقاصد الشريعة في أحكام العبادات والمعاملات. وجهده التجديدي في ميدان الأصول لم يتجه إلى المحتوى، وإنما انصب على المنهج، أي الطريقة التي اعتمدها الأصوليون منذ الشافعي. فقد كان المنهج الأصولي عند السابقين يقوم على الاستنباط والقياس اللذين يعتمدان على التأويل والظن، واجتهد الشاطبي في استبدال منهج يقوم على الاستنتاج والاستقراء المستندين إلى أسس عقلية به، تماماً كما هو الشأن في الرياضيات الحديثة(2).

فالشاطبي أصّل الأصول، بإعادة بناء هذا العلم على القطع بدل الظن. وبعدما كان الأصوليون يعتمدون في بناء الأحكام على استنباط المعاني من النصوص، وقياس ما ليس فيه نص، وكانوا يرددون بأن الشريعة في مجملها تقوم على الظن. برهن الشاطبي، وبطريقة ذكية، أن الأصول تقوم على القطع، والدليل على قطعيتها أنها راجعة إلى كليات الشريعة، وما كان كذلك فهو قطعي(3).

الشاطبي مفكراً تربوياً

تطرق الشاطبي في كتابه «الموافقات» لمباحث تتعلق بالعلم وأقسامه، وغاياته، وحدود المعرفة البشرية، وطرق ووسائل نشر هذه المعرفة واكتسابها. وهي مباحث تصنف اليوم ضمن علوم التربية. تناول هذه القضايا في إطار أصولي يتميز بالشمول والتكامل والتناسق. وبناها على قواعد أصولية ثابتة شرحها وبسطها بإسهاب في فصول من كتابه المذكور. وتدل هذه الآراء على فكر ثاقب وتمسك قوي بالكتاب والسنة، وعلى إدراك واعٍ لحقيقة التعليم والتربية ووظيفتهما الاجتماعية وغاياتهما الدينية.

وتستعرض هذه المقالة المتواضعة الآراء التربوية للشاطبي، للتعريف بحظ هذا العالم وإسهامه في بناء نظرية تربوية إسلامية مؤسسة على القواعد الشرعية، مما قد يفيد في تأصيل الثقافة التربوية العربية في ساحة الفكر والممارسة.

النظر المصلحي إلى التعليم

حض الإسلام على طلب العلم بالتعلم، وعلى نشره بتعليم الناس. وحث على ذلك بالترغيب حيناً وبالترهيب أحياناً أخرى. وبحث الفقهاء في التعلم أواجب هو أو مندوب أو فرض. ويكاد يجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، أما الإمام مالك رضي الله عنه فإنه ينفرد بقوله بوجوب العلم ليس بفرضه(4).

إلا أن النظر المصلحي اقتضى أن تعليم الناس قد يكون فرض عين وقد يكون فرض كفاية. وكما يكون مندوباً قد يكون واجباً. وذلك حسب نوع العلم ودرجته وحسب المتعلم وحاجته. فإذا كان من المصلحة نشر العلم فإن مصالح أخرى تقتضي كتمان بعض العلم على بعض الناس، في ظروف معينة. دفعاً للمفاسد

التي قد تترتب على نشر ذلك العلم، لأنه ليس كل الناس قادرين على الفهم والاستيعاب. وقد ورد في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراعي قدرات الصحابة على الاستيعاب والفهم فلا يكثر عليهم بالتعليم. كما أن الصحابة، رضوان الله عليهم، امتنعوا عن إملاء ونشر بعض الأحاديث النبوية الشريفة بين عامة الناس، واكتفوا بأن أخبروا بها خاصتهم ساعة احتضارهم خشية ضياع الحديث(5)، على الرغم من ورود الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واضحًا بتبليغ الحديث الشريف. وما فعله الصحابة ليس من باب عدم الامتثال للسنة أو تنقيصًا من قيمة الحديث أو تشكيكًا فيه. وإنما أمسكوا عن نشر أحاديث معينة بين أناس محددين وفي ظروف خاصة، لأن النظر المصلحي اقتضى ذلك ودفعًا للمفسدة التي قد تنتج بسبب سوء تصرف العوام في الحديث لقصورهم عن فهمه وعدم إدراك مراميه(6). يقول الشاطبي معلقًا على ذلك «ليس كل علم مما هو حق يطلب نشره... بل ذلك ينقسم، فمنه ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة. ومنه مالا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال وقت أو شخص»(7) وهذا الأمر يزيد من قوة المسوغ الداعي إلى التعلم على شيخ معلم مرب، قادر على تمييز العلم المفيد للمتعلم، المناسب له. بخلاف الاكتفاء بأخذ العلم من الصحيفة، الذي قد يؤدي إلى نتائج سيئة.

وقد وضع الشاطبي رحمه الله للمعلم المربي ضابطًا يميز به ما يجب تعليمه ونشره، أو يجب الإمساك عنه. فقال: «وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها، فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم. وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وجه المصلحة الشرعية والعقلية»(8).

وجوب التعلم على معلم

إن الإنسان يولد لا يعلم شيئًا من مصالحه وضروراته والله يعلّم، وتعليم الله للإنسان على ضربين:

علم غريزي ضروري لاستمرار الحياة كالرضاعة.

علم يتم بوساطة التعليم، ومنه الكلام وسائر العلوم النظرية والمحسوسة والمعقولة(9).

والعلم الذي يتم عن طريق التعليم على نوعين أيضًا:

علم في أحكام الله، يحتاج إلى التعلم البشري ولا بد فيه من الحفظ وترسيخ المسائل والأخذ من أفواه الرجال ومطالعة الكتب الصحاح.

علم عن الله، وذلك موهبة ونور يقذفه الله في قلب من تفضل عليه فلا يحتاج إلى شيخ ولا إلى غيره.

وهذا النوع الثاني مترتب عن الأول، بمعنى أنه بعدما يتعلم المكلف ويعمل بعلمه ويقف عند حدوده متقيًا الله حينئذ يتفضل عليه الله ويقذف في قلبه نورًا، وهذا من قبيل الموهبة والذي ترشد إليه كثير من الآيات الكريمة(10).

فلا بد إذن من معلّم يكون وسيلة لإكساب المكلف المعرفة في أحكام الله ويربيه على التقوى.

يقول الشاطبي: إن إمكانية التعلم بدون معلم مسلم بها، لكن يتفق الناس جملة على أنه لا بد من معلم يفتح عقل المتعلم ويساعده على اكتساب المعرفة.

ومن شروط أهلية هذا المعلم، التحلي بالصفات المحمودة التي كان يتصف بها أئمة السلف الصالح في العلوم الشرعية والاقتداء بها وهي:

التحقق: أن يكون متحققًا عالمًا مقتديًا بآداب شيوخه(11).

الإحاطة والتمكن: أن يكون عارفًا بأصول علمه وما ينبني عليه وما يلزم عنه.

التعبير: أن يكون قادرًا على التعبير بوضوح عن مقصوده.

البحث: أن يكون قائمًا على دفع الشبه الواردة فيه.

ولا تشترط السلامة والعصمة من الخطأ البتة لأن فروع كل علم، كما يقول الشاطبي، إذا انتشرت وانبنى بعضها على بعض اشتبهت. روى الشاطبي هذه الشروط عن شيخه أبي علي الزواوي(ت:743هـ)، وأضاف أنه رآها منصوصة للفيلسوف أبي نصر الفارابي(ت:339هـ) في بعض كتبه(12).

طرق التعليم والتعلم

يتم اكتساب العلم عن طريقين: المشافهة والكتب.

الطريق الأول المشافهة والرواية والتلقي. وهي أنفع الطريقين وأسلمهما، وخاصية جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم، يشهدها كل من زاول العلم، فكم مسألة يقرؤها المتعلم ولا يفهمها إلا إذا ألقاها عليه المعلم. وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من قرائن الأحوال وإيضاح موضع إشكال لم يخطر ببال المتعلم، وقد يحصل بأمر غير عادي يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم، وهذا ليس يُنكر، فقد نبه عليه الحديث الشريف، وشرحه الفقهاء والشيوخ(13).

ففي الجلسة التربوية تكون للنفوس قوة خاصة واستعداد لاستقبال مفاهيم النصوص الشرعية استقبالاً جيدًا. وحضور المربي وعلاقته بالمتعلم يضمن توفير الظروف والشروط التي تساعد المتعلم على استقبال مفاهيم النصوص الشرعية استقبالاً جيدًا واستيعابها(14).

الطريق الثاني مطالعة كتب المصنفين، وحتى تكون هذه المطالعة مفيدة، موصلة إلى العلم، محققة الغاية، يجب أن تكون بشروط منها:

1- حصول فهم مقاصد العلم المطلوب.

2- معرفة اصطلاحات أهله. وهذان الشرطان مرتبطان بطريقة المشافهة، لأن الكتب لا تفيد دون فتح العلماء لها.

3- تحري كتب المتقدمين من أهل العلم لأنها أقرب إلى السنة وأوثق علمًا(15) فالمتأخر لا يمكن أن يبلغ من الرسوخ الذي بلغه المتقدم، فأعمال المتقدمين في إصلاح دنياهم ودينهم على خلاف أعمال المتأخرين وعلومهم في التحقيق. وتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين.

نستنتج من كلام الشاطبي أن طلب العلم له مرحلتان:

مرحلة البداية: وتوجب أن تكون قراءة الطالب على الشيخ دون الكتب، تمتد هذه المرحلة طوال سنوات التحصيل. وتبدأ من يوم دخول المدرسة أو الجلوس في حلقة العلم، حيث يتم الاتصال بالشيخ والاستماع منه والأخذ عنه مشافهة.

وهذه القراءة تحقق أغراضًا تربوية عديدة وتضمن في تعليم الصبي الأمور التالية:

أ) تحقق إسناد العلم. وللإسناد أهمية كبيرة في الثقافة الإسلامية عمومًا، وفي طرق التعليم على الخصوص. ويرى بعض الفقهاء أن الإسناد خاصية خص الله بها الأمة الإسلامية، وفيه قال عبد الله بن المبارك (ت:181هـ): «الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء»(16).

ب) معرفة مصطلحات العلوم والوقاية من الأخطاء وخاصة التصحيف، وهو قراءة الشيء على خلاف ما أراد كاتبه أو على ما اصطلحوا عليه. ومن أهم أسباب الوقوع فيه أخذ العلم من الكتاب والصحيفة وعدم تصحيح قراءتها بالسماع. بينما أخذ العلم من شيخ حافظ ضابط يقي المتعلم من الوقوع في هذا الخطأ الشنيع.

ج) متابعة المتعلم وترقيه العلمي. فالمشافهة تضمن للمتعلم الفهم الجيد وتمنحه فرصة السؤال والمناقشة، لأن المعلم يلقي العلم على قدر استيعاب المتعلم، والمتعلم يستوعبه على قدر طاقته. ويستطيع المعلم والمتعلم معًا التحكم في سير الدرس وحجم المعلومات وطرق عرضها وبسطها عن طريق السؤال والمناقشة.

والشاطبي فصّل الحديث في السؤال وآدابه في فصل خاص من الموافقات. فبالسؤال يقوّم المعلم فهم التلميذ ويسبر قريحته ويختبر فهمه. وبالسؤال يحصّل المتعلم المعرفة ويستنطق الشيخ ويرقى مدارج العلم. وهذا ليس له من طريق آخر غير المشافهة.

د) تحقيق الألفة بين المعلم والمتعلم، وضمان التربية والتوجيه إلى جانب التعليم. لأن الاتصال المباشر بين المعلم والمتعلم يحقق الاقتداء والتأثر بالأخلاق وتقويم المعوجّ منها وتدعيم الحسن الملحوظ في المتعلم. ولذلك يشترط الفقهاء على المعلمين التحلي بالأخلاق الحميدة حتى يقتدي ويتأثر بهم المتعلمون وينشؤوا خيّرين على خلق حسن. وفي هذا قال الإمام الشافعي(ت:204هـ) رضي الله عنه: «ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نفع، لهذا عظمت زلّة العالم لما يترتب عنها من المفاسد لاقتداء الناس به»، وأوصى حبيب بن شهيد ابنه قائلاً: «يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم. فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث» وفي المقدمة السابعة يورد الشاطبي عددًا من الشواهد والمأثورات في هذا الباب(17).

مرحلة البحث والتعمق: وتدعو إلى قراءة الكتب التي صنفها الأئمة، وذلك بعد نهاية مرحلة المشافهة وأخذ العلم عن الشيخ الذي فتح ما كان مغلقًا من العلم في الكتب بتعريف المتعلم بمقاصد ذلك العلم ومصطلحاته.

يوصي الشاطبي المتعلم بالاعتماد في الدرجة الأولى على أمهات الكتب والمصادر الأصلية لأنها أكثر مصداقية وأغزر علمًا ممن ينقل عنها. وتفادي قراءة المختصرات لأنها لا تنقل بأمانة الأفكار والآراء التي تضمنتها المؤلفات الأصلية. كما أن المختصرات ينسب ما فيها إلى الأصل مع أن الواضع ليس واحدًا وهذا ما يتنافى مع الصدق العلمي.

فضلاً عن ذلك فإن إهمال أمهات الكتب واللجوء إلى المختصرات يضعف الحركة العلمية ويقف حجر عثرة في طريق الاجتهاد والتطور العلمي، ويؤدي إلى جمود العلوم العقلية والنقلية على السواء. ومن أهم آثاره السيئة في التربية قصور همم المتعلمين وانصرافهم إلى قراءة المتون والمختصرات التي تدفع بغموضها إلى قراءة الشروح، فالحواشي، فيزداد الأمر تعقيدًا وبلبلة.

يراعي النهج التربوي الذي يقترحه الشاطبي مرتكزات متعددة تتفق مع المرتكزات التي تعتمدها التربية الهادفة في وقتنا الحاضر، منها مراعاة مستوى المتعلمين العمري والعقلي باختيار اللغة والمضمون المناسبين لكل فئة مبتدئة كانت أو متقدمة. وإقامة الحوار المباشر الذي يعتمد على الاتصال كوسيلة، والتواصل من خلال الأسئلة والمباحث المعروضة للنقاش والداعية لبذل الجهد العقلي المثمر المنشط للقدرات العقلية المختلفة(18).

ترتيب الدروس

في كتاب «الموافقات» تمييز واضح وحدود بارزة بين تصنيف العلوم وترتيب الدروس. وعلى الرغم من أن تصنيف العلوم يخدم أغراضًا تربوية، ويهيمن على الحياة التعليمية وبرامج الدراسة بها، فإن الشاطبي عرض ترتيبًا خاصًا للدروس يساعد على بلوغ الأغراض من العلوم المدروسة، ويضمن للمتعلم النجاح في تحصيل المعرفة.

فترتيب الدروس من الأسباب المنهجية الخاصة المؤثرة في مسيرة الحركة العلمية بتأثيرها في تكوين المثقفين والعلماء. وترتيب الدروس بشكل ما قد يكون من عوامل نجاح المتعلمين وتكوينهم تكوينًا جيدًا، كما قد يكون موضوعًا على نمط يتسبب في خلق صعوبات معينة في تحصيل العلوم المدروسة وبلوغ غاياتها. ومن ذلك كان السؤال الذي واجه المربين المغاربة هو ترتيب درسي القرآن والعربية بأيهما نبدأ؟ وهذا السؤال فرض نفسه بإلحاح على كثير منهم.

يرى الشاطبي أن درس العربية أولى بالتقديم من غيره. بعد التمكن من اللغة العربية، أساليبها وقواعدها، معاني ألفاظها وآدابها، يتقدم المتعلم لدراسة القرآن الكريم، ويتيسر له ذلك بفضل دراسته السابقة للعربية، ثم الحديث وعلومه، ثم التفقه في الدين إلى سائر ما يتعلق بالشريعة من العلوم(19).

وهذا الترتيب الأندلسي للدروس يختلف عما كان سائدًا في بلاد الغرب الإسلامي، حيث كان يقدم حفظ القرآن الكريم على غيره، نظرًا لقداسة هذا الكتاب وضرورته لمعرفة الدين وأحكامه وإقامة الصلاة وغيرها من العبادات. و«إيثاراً للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن»(20) لهذا كان نظام التعليم في المغرب يبدأ مع المتعلم بحفظ القرآن، وبعد حفظ القرآن يشرع المتعلم في دراسة اللغة بحفظ المتون، ثم بعد ذلك الحديث فالفقه وغيره من العلوم.

بينما الفقهاء المجتهدون من أهل الأندلس كأبي بكر بن العربي(ت:543هـ) والشاطبي، يرون أن تعلم العربية يجب أن يسبق تعلم القرآن. لأن معرفة اللغة العربية ضرورية لفهم القرآن ومعرفته. والبدء بتعلم اللغة العربية ينمي في المتعلم اهتمامات فكرية فعالة، لأن النص القرآني معجز من أوجه متعددة، ومنها اللغة. وعلوم اللغة يسميها المغاربة علوم الآلة لأنها وسيلة أو آلة لدراسة القرآن. والبدء بتعلمها ينمي في المتعلم تركيزًا يساعده على تمثل داخلي للمعرفة الدينية التي أصلها القرآن الكريم، فيتقبل معلوماته تقبلاً مدركًا واعيًا. ويشبّه ابن العربي حفظ المتعلم للقرآن وهو لا يعقل منه حرفًا، كحفظ العربي للتوراة بالعبرية. فالغاية من التعلم هو تحصيل العلم ومعرفة الحدود وليس حفظ الحروف. وهذا هو الذي يحدد الفرق بين المجتهد العالم بالحدود والمقلد الحافظ للحروف. يقول الشاطبي: «وهكذا الترتيب فيمن ظهر عليه وصف الإقدام والشجاعة وتدبير الأمور»(21) فيتبين لنا أن الغاية من هذا الترتيب للدروس ليس حفظ القرآن وحده، بل بث الروح الإسلامية بثًا قويًا ثابتًا في ذات الناشئ المتعلم.

المشافهة تضمن للمتعلم الفهم الجيّد وتمنحه فرصة السؤال والمناقشة، لأن المعلم يلقي العلم على قدر استيعاب المتعلم، والمتعلم يستوعبه على قدر طاقته

التكوين والتوجيه

ويقدم الشاطبي في كتابه المذكور توجيهات تربوية تُعَدُّ تجديداً في النظام التربوي، تجمع هذه التوجيهات بين خصائص التعليم الجماعي والتعليم الفردي، وبين التكوين العام والتكوين التخصصي المعمق.

والبحث والتجريب يؤكدان كل يوم وجود اختلافات قائمة بين الأفراد من حيث تكوينهم الجسدي وبنيتهم العقلية والعاطفية وغيرها. فمن الخطأ معاملة المتعلمين كافة معاملة واحدة، فذلك من أسباب الهدر التي تؤدي إلى ضياع سنوات من عمر المتعلم فيما لا يواتيه. وهذا الأمر التفت إليه كثير من المربين المسلمين ونبهوا عليه.

إهمال أمهات الكتب واللجوء إلى المختصرات يضعف الحركة العلمية ويقف حجر عثرة في طريق الاجتهاد والتطور العلمي، ويؤدي إلى جمود العلوم العقلية والنقلية على السواء

والخطوات التي يعرضها الشاطبي هي التالية:

- يدرس المتعلمون الآداب المشتركة بجميع العلوم. فالمنهاج التعليمي يجب أن يحتوي على جذع مشترك بين جميع العلوم يدرسه التلاميذ كافة، بهذا نغرس في نفوسهم نواة المعرفة الأساسية، وبشكل متساو وعادل. ونترك كل واحد منهم يأخذ منها القسط الذي يقدر عليه بما يناسب قدراته وميوله.
- بعد ذلك يوجه المتعلمون إلى علوم محددة حسب ميولهم الحقيقية، وهذه الميول، كما يقول الشاطبي، قد تكون بادية للعيان وقد لا تكون بادية، حين يظهر المتعلم اهتماماً عاماً بسائر العلوم وقدرة أولية على استيعابها كلها، فيجب على المعلم المربي تحري ميول المتعلم الحقيقية الكامنة، ليوجهه الوجهة المناسبة له ويزيد من تعميق تكوينه.
- في الطور الثالث يكون تخصصهم العلمي أكثر دقةً وعمقاً.
- ثم طور رابع، وهكذا حتى يصلوا إلى مرتبة الاجتهاد والإتقان.

والعمل التربوي في جميع مراحل التعليم يجب أن يكون مراعياً لمستويات المتعلم العقلية والمعرفية. ولا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يربى بصغار العلم قبل كباره(22) وعلى الترتيب الذي سبق ذكره، أي بتقديم تعليم العربية، ثم القرآن، ثم الحديث فالفقه. وهذا ما نص عليه ربانيو العلماء. وهو كفيل بالوصول بالمتعلم إلى بلوغ الرتب العلمية العليا.

وبذلك يتربى لكل فعل ما هو فرض كفاية قوم، لأنه سير أولاً في طريق مشترك، فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة محتاج إليها في الجملة، وإن كان به قوة زاد إلى السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية(23).

إن نقطة الانطلاق واحدة للجميع، تحقق تعميم المعرفة الأساسية وضمان الحق في التعلم. بعد ذلك يكون التوجيه نحو ضمان التثقيف المتلائم مع خصائص الأفراد وميولهم وإمكاناتهم. ومهمة التوجيه كما يحددها الشاطبي دقيقة وفي غاية الأهمية بالنسبة للفرد والمجتمع. إذ ينبغي أن يتم التوفيق بين متطلبات تربية فردية كاملة، ومتطلبات وظيفية ملائمة للقيم الفردية في المجتمع.

يقول الشاطبي: فأنت ترى أن الترقي في طلب الكفاية ليس على ترتيب واحد، ولا هو على الكافة بإطلاق، ولا على البعض بإطلاق، ولا هو مطلوب من حيث المقاصد دون الوسائل، ولا بالعكس، بل لا يصح أن ينظر فيه بنظر واحد حتى يفصل بنحو من هذا التفصيل، ويوزع في أهل الإسلام بمثل هذا التوزيع(24).

في هذا يتحقق التكيف الذاتي والاجتماعي الضامن لبلوغ السعادة الفردية في اختيار النشاط الذي يستجيب لرغبات الفرد وكفاءته ويلبي حاجات المجتمع المسلم.

خاتمة

هذه الأفكار التربوية تحاول بناء منظومة تربوية على أسس أصولية تنسجم مع التصور الإسلامي للشخصية المسلمة؛ فالإسلام يتميز في تنميته لعناصر الشخصية الإنسانية ومقوماتها بنظرة شمولية متكاملة في جميع أبعادها العقلية والنفسية والبدنية والاجتماعية. وهذه النظرة هي السائدة حالياً في علم النفس والتربية. وتجد سندها القوي في نتائج أبحاث العلماء المعاصرين.

ونصوص كتاب «الموافقات» تدل على أن قضية التربية والتعليم كانت موضع اهتمام العلامة أبي إسحاق الشاطبي، الذي حرص على وضع أسس وقواعد للعملية التربوية التعليمية مستنبطة من الشريعة الإسلامية، مبيناً حدود العلم وغايات التربية وشروط العملية التعليمية التي تخدم مقاصد الشريعة السمحاء. كما أن آراء الشاطبي التربوية ليست مجرد مواعظ دينية تسير في الاتجاه العام لكثير من الأدبيات التربوية الإسلامية، بل هي عمل أصيل يتميز بشمولية النظرة وعمق الفكرة وتكامل المباحث وتناسق الأفكار. مبنية على قواعد أصولية ترمي إلى بناء نظرية تربوية إسلامية مؤسسة على القواعد الشرعية ومهتدية بهديها. وهذه التربية تستجيب لحاجات المجتمع المسلم، وتتوافق مع هويته الدينية واللغوية والثقافية. وتقيه من مخاطر الاستلاب الحضاري.

الهوامش:

1- لمزيد من التوسع انظر: عبد القادر العافية. مقالة الفقيه الأصولي إبراهيم أبو إسحاق الشاطبي. مجلة دعوة الحق. الرباط. عدد 297ة1413ة ص43 . أحمد الريسوني. كتاب نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. الدار البيضاء. المعهد العالمي للفكر الإسلامي:1990م.
2- عبد الجليل بادو. مقالة منهج التربية والتعليم عند الإمام الشاطبي. مجلة المربي. تطوان. عدد 46ة1994ة ص8.
3- محمد عابد الجابري. كتاب التراث والحداثة. الدار البيضاء. المركز الثقافي العربي 1991م. ص210.
4- ابن عبد البر. كتاب جامع بيان العلم وفضله. بيروت. دار الكتب العلمية ج1 ص10.
5- أحمد الريسوني. كتاب نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. الدار البيضاء. المعهد العالمي للفكر الإسلامي:1990م - ص262.
6- أحمد الريسوني. المرجع نفسه. ص263.
7- الشاطبي. الموافقات. نشرة عبد الله دراز. بيروت. دار المعرفة. دون تاريخ. ج4 ص189.
8- الشاطبي. الموافقات. ج4 ص191.
9- الشاطبي. الموافقات. ج1 ص91.
10- الشاطبي. الموافقات. ج4 ص98.
11- الشاطبي. الموافقات. ج1 ص93،65.
12- أحمد الريسوني. المرجع نفسه. ص98.
13- الشاطبي. الموافقات. ج1 ص56.
14- فريد الأنصاري. كتاب التوحيد والوساطة في التربية الدعوية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1995م «كتاب الأمة:47ة ج1 ص54.
15- الشاطبي. الموافقات. ج1 ص93.
16- عبد الكريم السمعاني. كتاب أدب الإملاء والاستملاء. بيروت. دار الكتب العلمية «دون تاريخ» نشرة ماكس فايسفايلر. ص6ر7.
17- حسن إبراهيم عبد العال. كتاب فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة. الرياض. مكتب التربية العربي لدول الخليج. 1405 ص124.
18- وزارة التربية الوطنية. «الأيام التربوية لفائدة الأساتذة..» وثائق تربوية خاصة بمادة التربية الإسلامية. الرباط. نشر سوماكرام 1992م ص7
19- الشاطبي. الموافقات ج1 ص180.
20- ابن خلدون. عبد الرحمن. المقدمة. بيروت. دار الفكر1988م ص742.
21- الشاطبي. الموافقات ج1 ص180.
22- الشاطبي. الموافقات ج4 ص102و190.
23- الشاطبي. الموافقات ج1 ص181.
24- الشاطبي. الموافقات ج1 ص181.

ومضات مشرقة من أدب الحجاز

918 هـ




د. عبدالله أبو داهش

يتجافى الباحثون كثيرًا عن الدراسات الميدانية ذات الندرة العلمية والتميز الفكري، فلقد مضى زمن غير قليل والناس يجهلون تاريخ الأدب الحجازي عبر القرون الوسيطة الإسلامية الماضية، وكأنه لم يكن شيئًا مذكورًا، ويحسبون مادته الأدبية إنما يجب أن تكون في دواوين شعرية، أو مظان نثرية منشورة أو مخطوطة، ولكن الأمر ليس كذلك، إذ توجد تلك المادة الأدبية مبثوثة في بطون كتب التاريخ، وما ماثلها من المؤلفات الأخرى، وليس هذا الواقع بغريب على الدارسين، إنما هو موجود في كتب المؤرخين والكتّاب بعامة، وبخاصة في مراكز الفكر الشهيرة، أمثال: مصر، والشام، والمغرب.

وليس أدل على هذا القول مما هو موجود في مؤلفات الحجازيين التاريخية، مثل «إتحاف الورى بأخبار أم القرى» للنجم عمر بن فهد (812-885هـ) و: «غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» لعزالدين عبدالعزيز بن عمر الشهير بابن فهد الهاشمي (850-920هـ) وغيرهما، ففيهما من المادة الأدبية ما يكفي لسد حاجة الدارسين عند قيامهم بالتأريخ الأدبي لهذه البقعة المباركة، بل يعدّ ذاك النتاج شاهدًا على حياة أدبية معتبرة.

أقول: إن تلك الآثار المخطوطة أو المنشورة بعامة تعدّ مصادر أولية مهمّة للتاريخ الأدبي لهذه المراكز الفكرية المهمة بجزيرة العرب، ولعل ما يلفت الانتباه في تلك النصوص، أنها تصدر عن ملامح محلية لذلك الإقليم الحجازي، وتصطبغ بصبغة أدبية متميزة، وبخاصة في تنوع الأغراض الشعرية، وترف المادة الأدبية، إذ تعكس حياة اجتماعية متقدمة، ناهيك عن تشعّب مشارب أدباء الحجاز عندئذ وكثرتهم، إذ هم في الغالب من الوافدين ذوي الميول الأدبية الظاهرة.

ومهما يكن من أمر فلقد لفت انتباهي عبر درسي لكتاب: «غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» لابن فهد السابق ذكره مقدمة قصيدة الشريف بركات بن محمد بركات(1) (858-931هـ) العينية التي امتدح بها الملك الأشرف قانصوه الغوري (850-922هـ)، وبسط فيها جانبًا من المعاني الإنسانية المناسبة، إذ يقول:

لي مِنْ زَمَانِيَ ما يُعْطِي وما يَدَعُ
وَقَدْ شكرتُ فلا يأس ولا طَمَعُ

أَلْبَسْهُ كُرْهًا على العلات مُحْتَسِبًا
فَالعَيْشُ شَطْرَانِ ذا أَمْنٌ وذا فَزَعُ

أُغْضِي وإنْ خَدَشَتْ نابُ الصُّرُوفِ يَدِي
واسكُن إلى الصَّبْرِ لا طَيْشٌ ولا جَزَعُ

إنَّ الزَّمان جديرٌ إن طَعِمْتَ بـه
حلاوةٌ يقتفيها الصَّابُ والسَّلَعُ

إن أنكرَ المَرْءُ بالأيامِ معرفةً
بَعْدَ التجارب فهو العاجِزُ الضَّرِعُ

تَجْرِي المقاديرُ والآمالُ وَاقِفَةٌ
والمرءُ بينَ الرَّجا والخوفِ مضطجعُ

إذا قَضَى اللّهُ أمرًا في خَلِيقَتِه
لا الحَزْمُ يَدْفَعُ ما يُقْضَى ولا يَزَعُ

أو دَبَّرَ اللفظَ أمر دَقَّ مسلكُهُ
فالحظُّ يأخُذُ مِنْهُ فَوْقَ ما يَدَعُ

ما عَزَّ مَنْ كان غيرَ اللّهِ ناصرُهُ
وَذَلَّ من بسوى مولاه يمتنعُ

لا تَحْمِلُ الضَّيْمَ في أمر تُحاوِلُه
نَفْسٌ إلى غاية العلياء تطَّلِعُ

تَسَنَّمَتْ غاربَ الجوزاء واقتعدت
في ذِروةِ العِزِّ لا فخرٌ ولا سُمَعُ

تَرْقَى إلى هَضْبَةٍ في المجد سَامية
لكنّها بارْتفاع القدرِ تتَّضعُ

ذُلٌّ يُعزُّ ولا عِزٌّ تُقيمُ بـه
نفسُ الكريمِ على ذُلٍّ وتجتدَعُ

لا كامرئٍ هَمُّهُ الراحاتُ في دَعَة
وغاية الحال مِنْهُ الرِّيُّ والشِّبَعُ

تَنهَاهُ آراؤُهُ طوراً وتأمُرُهُ
وأبدع الوصف فيه البخل والجَشَعُ

إني على ثِقَةٍ فيما أؤمِّلُهُ
لم أخْشَ ضيمًا فإن الحِلْمَ مُتَّسَعُ

إن الكِرَامَ إذا أمْضَتْ عَزَائمُها
عَهْدًا مَضَى القولُ فيه لَيْسَ يُرتَجَعُ(2)

لقد سحب الشاعر على أبياته هذه شيْئًا من المعاني الحكمية المناسبة،وأخذ يبسط رؤاه الفكرية بوحيٍ من تجاربه وحكمته، حتى إذا اطمـأن المقام انصرف إلى ممدوحه. لقد خضع الأدب الحجازي عبر هذه الفترة إلى شيءٍ من التكلف والمعاودة، ولكنه هنا لم يكن مثل ذلك العطاء المعروف، حاول الشاعر أن يتخلص من الأصباغ البديعية، ويهمل دواعي التكلّف المعهودة مما وصف هذه المقدمة الشعرية بالحسن، والجودة المعنوية.

إنّ العودة إلى مثل هذه المظان التاريخية يزيد في رصيد التاريخ الأدبي المأمول، ويكشف عن إسهامات هؤلاء الشعراء الذين نهضوا في زمانهم بدورهم الاجتماعي، وأعطوا مجتمعهم خلاصة فكرهم، بل دلّوا على العديد من الجوانب الإنسانية في مجتمعهم بما يسهم بالفعل في بناء حياة الأدب الحجازي عبر القرون الإسلامية الوسيطة.

الهوامش:

1- انظر ترجمته في: «غاية المرام» لابن فهد الهاشمي 35/3.

2- ابن فهد، «غاية المرام» 3/262-264.

قصيدة

عام من الدماء والدموع

عبد العزيز بن محمد النقيدان

من لي بعـام كـالسنا يتـألق
من لي بعـام هام فيـه الزنبق

من لي بعـام كـالطفولة بسمة
أمل يشع على القلوب ويشرق

ما لي أرى الأوتار أخرسها الجوى
فتمزقت ألحانها لا تنطق؟

ما لي أرى سحب الحياة كثيفة
سودًا يعذبها الأسى ويمزّق

في كل عام رايتي خفاقة
والزهر من حولي زكيًّا يعبق

واليوم قد وَجَمَ الوجودُ كأنما
لطمته عادية تُبيد وتخنق

أين السواعد وهي قبل طرية
تحنو عليَّ وسحرها يتدفق

أين الشفاه وفي لماها بسمة
والقلب من فرط الصبابة يخفق

أين الشراع فلم تعد أعلامه
مرفوعةً (ياليلُ) أين الزورق؟

خذني إلى البحر العميق فإنني
صَبٌّ إليه وماؤه يترقرق

يا عامُ ما حولي صراخٌ أم صدى
أم أنه أُفُقُ المآتم مطبق؟

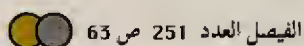
تتلفت الأيام وهي مواكب
حيرى يُدنِّسها الجبان الأخرق

أين الكرامة وهي غاية مأملٍ
ذُبِحَت فلم تكن الضمائر تشفق

يا عامُ والقلق المرير مخيِّمُ
بين الربوع فلا صديق يصدق

أتراك ترجع والحياة جديدة
يأسو مدامعها الضمير المشفق؟

أتراك ترجع والبشائر طَوَّقَتْ
غربَ الوجود وتاه فيها المشرق؟



د. جورج صقر:

تساؤلاته قادته إلى الإسلام

كان وُلد جورج صقر في بيت نصراني يعتنق مذهب الروم الأرثوذكي، في بلدة صغيرة تقع في قضاء الكورة في لبنان، وكان والداه متدينين إلى حد ما، لذا حرصا على أن يبذرا في نفس الصغير جورج عادة زيارة الكنيسة كل أحد، وفي المناسبات الدينيةالمختلفة، ما أمكن.

وحين بدأت مدارك جورج تتفتح، كان هناك أكثر من سؤال يؤرقه، ويدعوه إلى التأمل في حقيقة ديانته، ومدى صحتها، فالفطرة السليمة في داخله لم تتقبل ما تحتوي عليه عقيدة النصرانية من ألغاز وطلاسم لا معنى لها، ولا أجوبة. وزادت التساؤلات حين بلغ سن الخامسة عشرة من عمره، إذ أحس أن شيئًا في داخله يرفض النصرانية، ولا يقبل بها عقيدةً، وتجرأ يومًا وسأل والده: لماذا يقرأ القس التراتيل بالعبرية والسيريانية، ولا يقرؤها باللغة العربية التي نتكلمها! لحظتها حذّره والده من الخوض في مثل هذه الأمور التي هي أكبر من فكره، فهناك مسلمات لا تناقش، ومجرد مناقشتها تخرج المرء عن دائرة الإيمان كما يقول القسس والرهبان.

وقتها سكت جورج، أو لعله وجد السكوت هو الأسلوب الوحيد الذي يمكن أن يتعامل به مع إجابة والده الغامضة، لعلمه بأنه لن يحظى بإجابة حقيقية لتساؤله، بل ربما غضب منه والده، وهو حريص على عدم إغضابه.

إلا أنه لم ينس سؤاله، وكذا التساؤلات الأخرى التي كانت تعصف بوجدانه، وأهمها أسرار الكنيسة السبعة، إذ لم يستطع تقبل فكرة افتداء المسيح عيسى ابن مريم لخطيئة آدم عليهما السلام، فالمنطق العادل يرفض أن يكفّر أحد عن ذنب غيره. فكيف والخطيئة وقعت قبل آلاف لا تحصى من السنين، فما جدوى التكفير عنها الآن، ثم ألم يكفر آدم ذاته عن خطيئته، حين اضطر لترك الجنة والهبوط إلى الأرض، مع ما يعنيه هذا من عقاب سماوي على الخطيئة المرتكبة، فضلاً عن ذلك فإن القس يزعم أن المسيح عليه السلام هو الله - تعالى الله عما يزعمون - فلماذا لا يكتفي بالعفو عن خطيئة آدم، بدلاً من أن يدع عبدًا يهوديًا من عباده يصلبه كما تزعم النصارى، وأي إله هذا الذي يقبل لنفسه أن يصلبه أحد عباده؟! وتذكّر قصة قرأها في كتب التراث عن عشيرة حنيفة التي صنعت إلها من العجوة، فأصابها قحط يومًا، فلم تجد ما تأكله سوى إلهها المزعوم، فباتت حكايتها موضع تندر، حتى قيل: أكلت حنيفة ربها.

أشياء وأمور كثيرة جعلت من تقبل جورج للعقيدة النصرانية أمرًا صعبًا، لكنه في سنه الصغيرة هذه لم يملك من أمره شيئًا، فضلاً عن أنه لا يعرف معلومات ذات وزن في أمور العقائد، حقيقة أنه سمع بالإسلام، واختلط بزملاء له مسلمين، لكنه لم يعرف شيئًا يستحق الذكر عن الإسلام، فظل نصرانيًا، ولو من دون اقتناع.

وكانت بداية النقلة الحقيقية في مسار حياته حين انتقلت أسرته إلى بيروت، وشاءت عناية الله أن يتزامل مع شاب في مثل سنه، من أسرة بيروتية مسلمة محافظة، مشهورة بالتقى والصلاح والعلم، ونمت جذور الصداقة بين الشابين، المتماثلين في السن والوضع الاجتماعي، إذ جمعهما معًا حب العلم والانتماء إلى عائلتين محافظتين، فتولدت الألفة بينهما، وأصبحا لا يفترقان إلا نادرًا.

وكان «محمد يموت» وهذا اسم الصديق، مسلمًا محافظًا على واجبات دينه، لهذا لم تشغله صداقته لنصراني عن

أداء فروضه الدينية، فكان كلما حان موعد الصلاة، وتصادف وجود صاحبه النصراني جورج، يستأذنه في القيام لأداء الفريضة، مما كان يثير في نفس جورج مشاعر الضيق والدهشة، الضيق من رؤية صاحبه المسلم يؤدي فروض عقيدة علّمه القسس أنها باطلة، والدهشة من حرص صديقه على ألا يفوته الفرض، مع أن شباب النصارى الذين يعرفهم ويماثلون صديقه عمرًا لا يذهبون إلى الكنيسة إلا بإلحاح من الأهل، وحتى إذا ذهبوا، فإنهم - وهو منهم - يحسون بالملل فكيف لا يشعر صديقه محمد بذلك، خاصة وأنه لم يجد أحدًا يراقبه أو يلح عليه في أداء الصلاة.

تشجع جورج ذات يوم، وسأل صديقه في استحياء، عن العقيدة الإسلامية، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، نقول تشجع لأنه حين نوى ذلك كان يخشى أن يغضب منه صديقه، وأن يظن في سؤاله استهزاء أو تطفلاً، لكنه فوجئ بمحمد يجيب عن أسئلته بسماحة وسعة صدر مقدمًا إجابات صريحة وواضحة.

وتكررت الأسئلة واتسع نطاقها، فكان الصديق المسلم يجيب عنها بقدر ما يمكنه، وما لم يعرف إجابته منها يحيله إلى والده فيتفضل بالإجابة عنه، واكتشف جورج من خلال تلك الإجابات أن الإسلام، على عكس ما كان يتصور، دين بسيط، خال من الألغاز، يحقق العدالة للبشرية، ويحترم العقائد كافة، بل يؤمن بالسماوية منها في أصولها الصحيحة، عندئذ أدرك جورج لماذا يلح القسس على شباب النصارى ألاّ يعرفوا عن الإسلام سوى ما يسمعونه في الكنائس، ذلك أن غشاوة الباطل تحجب نور الحق عن بصيرة الإنسان، فلا يرى المرء إلا ما يزينه له الباطل من ضلال.

حين كثرت التساؤلات. قام والد محمد بإهداء جورج نسخة من القرآن الكريم، مشيرًا إلى أنه يتضمن كل ما يود معرفته عن الدين الإسلامي، مادام يرغب في التعرف إلى الإسلام، فقبل جورج الهدية بإعزاز واعتزاز، وأخذ المصحف الشريف، ووضعه في سيارته، وحدث ذات يوم أن كان عائدًا من البلدة، بالسيارة، وواجهته عاصفة ساحلية عنيفة، فما شعر بنفسه، والخوف يتملكه، إلا وهو يبتهل إلى الله أن يعود إلى منزله سالمًا من العاصفة، وأخرج المصحف الشريف من الصندوق في السيارة وقبّله، ووضعه أمامه وانطلق عائدًا إلى بيته، وهو ما يزال يدعو، حتى وصل سالمًا، وشعر عند وصوله بأنه إنسان آخر غير الذي كان. دخل جورج المنزل، وسلّم على أهله، وجلس وتناول الطعام معهم، وما كاد يفرغ حتى دخل حجرته، وأمسك بالمصحف الشريف قارئًا، فمر على قوله تعالى: «*ما كان إبراهيمُ يهوديًا ولا نصرانيًا ولكنْ كانَ حنيفًا مُسلمًا ومَا كانَ منَ المشرِكين*» **آل عمران:67.** وأحس برعدة تسرى في أوصاله، وهو يجد في كتاب الله ما يؤكد أنه يعتنق العقيدة الخطأ، ولأيام وشهور أخرى ظل مواظبًا على قراءة القرآن الكريم، حتى شك أهله في سبب انفراده بنفسه في حجرته كل يوم، فلم يجد بدًا من مصارحتهم بأنه يدرس القرآن الكريم، وأحس وهو يصارحهم بذلك أن حملاً ثقيلاً قد أزيح عن صدره، ذلك أن تأخر إعلان إسلامه كان يعود بدرجة كبيرة إلى خوفه من مصارحة الأهل.

عاد جورج إلى بيروت بعد هذه الحادثة بيوم، وكان يوم عودته بالمصادفة بداية شهر رمضان 1408هـ، هرع من فوره إلى صديقه محمد، وطلب منه أن يصطحبه إلى الجامع لإيفاء نذر، وما إن وصلا الجامع، وكان شيخه من أقارب صديقه، حتى صارح الشيخ برغبته في اعتناق الإسلام، وتحققت أمنيته وصار مسلمًا.

حين بلغ أهل جورج خبر إشهار إسلامه، غضب والداه غضبًا شديدًا، فسعى جورج إلى إرضائهما تمثلاً بقيم الإسلام التي تدعو إلى بر الوالدين حتى ولو كانا مشركين، واستجابت والدته لمحاولاته. فتقبلت الأمر على مضض، أما والده فرفض مقابلته كليًا، ولم يقبل أن يتصالح معه إلا بعد أن تخرج جورج من الجامعة بتفوق ليصير أستاذًا للتاريخ والإدارة في الجامعة الأمريكية ببيروت.

والآن وقد مرّ على إسلام د. جورج صقر قرابة تسع سنوات، نجده قد صار أنموذجًا للمسلم الحق، ولم يتقوقع داخل نفسه، لكنه شأن العلماء المسلمين سخرّ ما حباه الله به من علم لخدمة دينه، وإعلاء كلمته من خلال تعريف الآخرين، بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يطهّر العالم من رجس الماديات الذي تردى البشر فيه، وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي يروّج لها البعض بسوء نية للطعن في شريعة الله.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. عبدالله الجبرين

هل تُعدّ المرأة محرمًا للمرأة

هل تُعدّ المرأة محرمًا للمرأة الأجنبية في السفر ونحوه؟

فاطمة محمد الأمين

عطبرة، السودان.

لا تُعدّ المرأة مَحْرَمًا للمرأة، فإن المحرم هو الرجل الذي يصحب محرمه من النساء ليحفظهن من الاعتداء ومد الأنظار إليهن، وقد ورد النهي عن سفر المرأة من دون محرم، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يَحلُّ لامرأةٍ تُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر أن تسافرَ مسيرةَ يومٍ وليلةٍ إلاَّ مَعَ ذي مَحْرَمٍ»، وقد رَخّصَ مالكُ بن أنس - رحمه الله - في حج المرأة مع نسوة ثقات، حيث إن الحج ركن من أركان الإسلام فلا يسقط بعدم المحرم متى وجد نسوة تأمنُ معهن على نفسها، فإن النهي إنما كان خوفًا عليها من المعتدين والفَسَقة لضعفها عن المقاومة.

وقد يكون الأمر في هذه الأزمنة أيسر والخطر أخف لقرب المسافات وعدم الخلوة، فيمكن أن يُتَسَامح في ذلك عند الحاجة إذا كانت مع مجموعة من النساء ومعهن محارمهن والطريق أقلّ من يوم وليلة، ومع ذلك فالاحتياط التوقف وألا تُسافر إلا مع محرم، إلا عند الضرورة القصوى كسفر زَينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وغيرها من المهاجرات، والله أعلم.

حكم اقتناء الدُّمَى

من أكثر لعب الأطفال انتشارًا: الدُّمَى التي تتخذ هيئة الإنسان والحيوان، هل في شرائها واقتنائها ما يضير؟

فايز القناص

الرياض.

ننصح بترك شرائها واقتنائها ولو كانت من لعب الأطفال، وماذاك إلا لأنها صورة إنسان كامل مجسم على هيكل الإنسان بيديه ورجليه ورأسه، والوجه كامل بحواسه حتى الأسنان والأهداب والشعر، ولاشك أن هذا يدخل في التصوير المحرّم في حديث: «من صَوّر صُورةً كُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فيها الروح وليس بنافخ»، وحديث: «إنّ المصورين يُعَذَّبونَ يومَ القيامة يُقال لهم أحْيُوا ما خَلَقْتُمْ»، وتدخل في حديث الأمر بإتلافها بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تَدَعْ صورةً إلا طَمَسْتَهَا»، وحديث: «لا تَدْخُلُ الملائكةُ بيتًا فيه صورة». فهذه الدُّمية لاشك في أنّها صورة؛ وأما اللعب التي كانت تعملها عائشة فإنها لا تُسمّى صوراً حقيقية، فإنها عبارة عن أعواد من الخشب الرقيق تربطها بعضها ببعض بخيوط ثم تلف عليها خرقة وتجعلُ العود كهيئة الرأس والعود المعترض كهيئة اليدين، وليس هناك وجه ولا تفاصيل الحواس ولا الأصابع ولا مفاصل اليدين أو الرجلين، فهي التي تعملها بيديها لتتسلى بها في حال صغرها وطفولتها، فنقول لا بأس أن يعملَ الطفلُ له هيكلاً من الأعواد ونحوها ليتخذها لعبة ويتلهى بها، وليست هذه الدُّمَى كذلك فإنها تُصنع بالماكينات وتُصوَّر فيها الصورة بكمالها فلا تدخل في مسمّى اللعب القديمة، والله أعلم.

إطالة الثوب من غير خيلاء

ما حكم إطالة الثوب أو السراويل تحت الكعبين من غير خيلاء مثل أن تجري على هذا العادة؟

نايف عبدالرحمن المؤيد

الطائف.

لا يجوز ذلك إذا تعمَّده، ولا يُتّخذ عادةً فإنه محرَّم، وقد روى أحمد بإسناد صحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإزار إلى نصف الساق أو إلى الكعبين لا خير في أسفل من ذلك»، وله عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تحت الكعب من الإزار ففي النار». وعن جابر مرفوعًا: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار». وروى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي وهو مُسبل، فأمره أن يتوضأ مرتين، ثم قال: «إنه مسبل، وإن الله لا يقبل صلاة مسبل». وعن ابن مسعود أنّه رأى رجلاً يصلي قد أسبل إزاره فقال: «المسبلُ إزاره في الصلاة ليس من الله في حلّ ولا حرام» رواه الطبراني ورجاله ثقات. وورد الوعيد الشديد للمسبل في عدة أحاديث، ويعم ذلك الإسبال في الثوب أو السراويل والإزار أو العباءة، ويعم كل مسبل ولو لم يكن من أهل الخيلاء. وأما قصة أبي بكر فقد ذكر أنه يسترخي أحد طرفي إزاره إلا أن يتعاهده فدل على أنه إذا تعاهده رفعه، وأن استرخاءه كان إذا غفل وهو يشتغل، فإنه كان يعمل في التجارة وقد يحتاج إلى حمل شيء أو وضعه فيسترخي إزاره في أثناء العمل، ومتى تعاهده رَفَعه مع بُعده من الخيلاء بتزكية النبي صلى اللّه عليه وسلم، والله أعلم.

لعن المسلم لأخيه

يكثر في مجتمعاتنا لعن الإنسان لأخيه لأسباب بسيطة، وقد لا يسمع الشخص المقصود ما يوجه إليه من لعنات، ويرى من يتخذون ذلك السلوك أنه نوع من التنفيس، فما الحكم الشرعي؟

رؤوف محمد سليمان

طنطا، مصر.

لا يجوز ذلك، فإنه من الفعل المحرّم والكلام السيّئ؛ فإنّ اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، ولا يجوز إطلاقه على المسلمين، وقد ورد الوعيد الشديد في ذلك، فقد روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطَّعّان ولا باللّعّان ولا الفاحش ولا البذيء» صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ اللّعانين لا يكونونَ شُهداءَ ولا شُفَعاء يومَ القيامة» رواه مسلم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكون المؤمن لَعّانًا» رواه الترمذي وحسّنه. وعن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تلعَنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار» رواه أبو داود والترمذي وصحّحه. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا لعن العبدُ شيئًا صَعدت اللعنةُ إلى السماء فتُغلق أبوابُ السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتُغلق أبوابُها دونها فتأخذ يمينًا وشمالاً فإذا لم تجد مَسَاغا رجعت إلى الذي لُعِنَ فإن كان لذلك أهلاً وإلاّ رجعت إلى قائلها» رواه أبو داود وسكت عنه، وروى أحمد نحوه عن ابن مسعود. فعلى هذا يجب حفظ النفس عن التعرض للعنة الله وغضبه والبعد من أسباب ذلك، والله أعلم.

قراءة نقدية للتراث

القصص الشعبي

كنز تنهبه الأحقاب بقدر ما كانت تجود

خليفة الخياري

يشبه الحديث عن القصص الشعبي اليوم عملية تشريح لجثّة ماتت في ظروف غامضة. لذلك لا مناص من الإلمام بمختلف الملابسات التي حاقت بهذا الفنّ فأدّت إلى اندثاره، قبل أن نعمل على تحليل بعض نماذجه التي ما زالت راسخة في دهاليز الذاكرة الجماعية. وحتى لا يكون الكلام في هذا الموضوع من قبيل الوقوف على الأطلال، ينبغي تحديد مجال البحث.

وفي هذا السيّاق حصرنا مسألة «القصص الشعبي بين الأمس واليوم» في حدود تونس لنرصد المراحل الكبرى التي تشكل تاريخ هذا الفن، وهي أربع مراحل : ما قبل الإسلام، ثم من الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد الحسيني، وتلك حدود التاريخ، ثم فترة الاستعمار، ومن الاستقلال إلى اليوم، وتمثل التاريخ الحديث. ولّما كانت طبيعة الموضوع تقتضي منهجًا تاريخيًا، وأمام غياب مدوّنة جامعة للمادة المدروسة، أصبح من الضروري اتباع سمت المؤرخين في ترصّد التطور الحضاري لهذه البلاد، لأن أي منجز في أي حضارة قامت لا ينفصل من حيث قيمته الفنيّة عن المنجز الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. فمثلما يفصح الجسر الصامد منذ آلاف السنين عن عظمة الحضارة التي شيّد فيها، ينطوي القصص الشعبي أيضًا على مميزات المجتمع الذي أنتجه، ويعرب شكله عن البنية الفكرية التي ولّدته بقطع النظر عن تأريخه للأحداث الكبرى التي نسج من سداها، كالحروب والفتن والجوائح الطبيعية وما إليها ممّا يتخلّد في الذاكرة الجماعية ويسم صيغها التواصلية بسماته.

حركات التّعمير ومتغيّرات التّعبير

أ. القصص الشعبي قبل الإسلام:

تجمع كتب التاريخ العربية وغير العربية على أن السكان الأصليين لشمال إفريقيا لم يشهدوا قبل إبحار الفينيقيين من صور حضارة تجمع شتاتهم وتوحد قبائلهم، بل إن بعض المؤرخين يرون أن تسميتهم بالبربر ابتكرها الرومانيون من غربة لسانهم عن اللاتينية، ثم اتسعت دلالة الكلمة لتعني الشعب الهمجي الذي لا ينضبط بأي ضوابط. ومهما يكن أصل التسمية، فإنّ طبيعة الحياة القبلية كانت تقتضي التصادم وتنازع مواطن العيش، وهو ما يخلف في ذاكرة أفراد القبيلة أسماء الأبطال وتواريخ الانتصارات والمغانم والانكسارات، وهذه المأثورات تتحول إلى نواة تنسج حولها الحكايات الحقيقية والأسطورية، وتتداول في المجامع، وتتوارث لتكوّن تراكمًا هو بمثابة السجل الحافظ الذي يوطد الصلّة الدموية بين أفراد القبلية الواحدة.

ولم يبدأ التاريخ لشمال إفريقيا إلاّ مع استقرار الفينيقيين وتأسيسهم حاضرة قرطاج. وقد اتّبعوا سياسة إقصائية ضد البربر بتبديل رموز عباداتهم، وتبديد اجتماعاتهم، وتسخيرهم لأشقى المهن، حتى إنهم لم يتركوا لهم من حق سوى الانضمام للجيش للدفاع عن الحضارة الناشئة(1). ولعل ذلك كان وراء تحالف قبائلهم النائية عن سلطة القرطاجنيين مع الرومان أثناء الحروب البونية. ولم يكن تشجيع الروم لهم على التمرّد إلا من باب التحيّل للسيطرة على هذه الربوع الخصبة، لأنه حالما دان لهم شمال إفريقيا تعاملوا مع البربر بالطرق نفسها التي اعتمدها سابقوهم بطرائق أكثر ذكاء ودهاء. فكانت سياستهم مزدوجة عمادها القضاء على الأصول القبلية للبربر بما أنهم كانوا عماد القوة القرطاجنية بطريقتين: بمحاصرة المتمرّدين وسحق رموز قوتهم، ثم بالتحالف الصّوري مع المساندين لهم وذلك بتمكينهم من بعض الاستقلالية متمثلة في ترك الجنوب التونسي والجزء الغربي من البلاد خارج سيطرتهم المباشرة، بحيث قامت نوميديا في المناطق الغربية النائية عن سلطة الرّومان وتداول الحكم فيها بعض الأقوياء من البربر. في حين سمّي الجزء الشمالي بإفريقية وألحق بالسلطة المركزية في روما. وتكرّرت السياسة نفسها مع الونداليين الإسبان ومع البيزنطيين الذين لم يستطيعوا إحكام السيطرة على البلاد طويلاً وإن كانوا قد ساهموا في تمسيح أهل الشمال لتمتين صلتهم الروحية بروما. وحاول جرجير الاستقلال بالجنوب متحصنًا بسبيطلة سنة 646م ولكن سلطته ظلت متزعزعة حتى بلغه الفتح الإسلامي وهو على وهن عظيم.

هذه التحولات والحروب المتعاقبة ترمي كلّها إلى تعمير شمال إفريقيا، لكنها لم تبق من مقوّمات الإنسان البربري أي ملمح ولا من ثقافته أي شكل، بل أصبح نسخة مشوّهة لأصل روماني هيمنت حضارته وطبعت الحياة بتقاليدها وعاداتها وطراز عمارتها وطقوس عبادتها، مع رطانة في اللسان ناتجة عن تأثر باللاتينية التي أصبحت

في تونس

لغة التواصل الأولى(2) . كانت الحضارة الرومانية مكتوبة لذلك نجحت في تحييد الثقافة الشفوية للشعوب الأصلية، وطمس هويتهم، وحفظت مدونات الروم التاريخية أخبار وقائعهم وأمجاد أبطالهم التي كان المؤرخ يسجّلها على الميدان أحيانًا. فنعرف اليوم من آثار «شيشرون»(3) على سبيل المثال أسماء القادة الرومانيين ومواقع حروبهم ووجهات حملاتهم، ولا نعرف عن البربر سوى أسماء بعض قادتهم الذين تحالفوا مع الرّوم، ولا نجد في مدوّنة هذا المؤرخ من وصف لحياة أهالي شمال إفريقيا سوى صور مستخفة لا تظهر إلاّ توحّش البربري وشدة فزعه وسرعة انكسار شوكته وخضوعه. لذلك تظل مثل هذه المصادر أحادية لا يمكن الاعتداد بما فيها ممّا يتعلق بموضوع هذا البحث. وإن كان لا مجال لنفي توافر النمط القصصي المواكب لحركات التعمير هذه والمتغيّر بتغيّرها، لأن القول لا ينفصل عن الفعل، إذا تعلّق الأمر بحوادث تتوقف على نتائجها حياة أجناس بشرية. ولو كانت لغة البربر مكتوبة لتركوا ما يمكن به القياس والموازنة لرسم الصورة الواضحة لشخصية البربري وتبيّن مستوى تفكيره وأشكال تعبيره وما توافر لديه من فنون.

ب ـ نشأة الوظيفة القصصية: (من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الحسينية):

لم تستطع كل تلك الحملات ولا تلك التغيّرات الاجتماعية اجتثاث الأصول القبلية للبربر. فقد ذكر المؤرخون أن حملة المسلمين على إفريقية لم تجابه فقط من طرف البيزنطيين، بل كذلك من طرف بعض القبائل القوية التي ظلت محافظة على تماسكها مثل هوّارة ولواته ونفوسة، ويفرن ونفزاوة، ولقد ظلت سلطة العرب مهتزّة من تاريخ دخول إفريقية حتى موفى القرن السابع الميلادي لمحافظة الروم على السواحل واعتصام البربر بالجبال. فلم تتم السيطرة على البلاد إلا بعد حملة حسّان بن النعمان (79هـ/698م)(4)، ومن ذلك التاريخ أمكن للمسلمين الاستقرار، وبدء نشر ديانتهم، وتبعًا لها طراز عيشهم ومعارفهم بتمهّل كبير، نظرًا لما عاينوه من تأصّل المعتقدات الرومانية وتجذر لغتهم، حيث يجب عدم التسرّع في التغيير، حتى لا يحصل الارتداد. وإنما لابدّ من خطّ المدن وإنشاء الجوامع أولاً لتيسير جمع الناس وتسهيل حملهم على اعتناق الدين الجديد(5).

ولقد جاء الفاتحون بنظرة جديدة لفنّ القص نابعة من صميم مصدر الرسالة الأول الذي وردت فيه قصص السالفين للاعتبار والاتعاظ، ليرسخوا الوظيفة الدينية، على نقيض الوظيفة التواصلية التي كان يفترض أن ينهض بها القصص الشعبي، فأصبح القصص الديني المدوّن والثابت سنده النمط القصصي الوحيد الأحق بالتداول بين الناس، بشرط أن يتمثل فيه المفهوم الإسلامي، وفي راويه جملة من الشروط الأخلاقية والمعرفية خصّصها أبو الفرج بن الجوزي (510-597هـ) بكتاب سمّاه «كتاب القصّاص والمذكّرين» للتعريف بهذا الفن وتبيان حدوده وموجباته ومفسداته وأهم أعلامه في المشرق والمغرب الإسلاميين. ويقول في مفهوم القص في الإسلام: «إن لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص، وتذكير، ووعظ. ويقال قاصّ ومذكّر وواعظ. فالقاصّ عبارة عمن يروي أخبار الماضين. وهذا لا يُذَم لنفسه إلا في إيراد أخبار السالفين عبرةً لمعتبر وعظةً لمزدجر واقتداءً بصواب لمتّبع. وقد قال الله عز وجل: *نحن نقص عليك أحسن القصص*. **يوسف**:3(6). وفي هذا التعريف حصر لوظيفة القاص في الشروح والإبانة في سياق تعاليم الدين، ونفي تام للخلق والتخيّل الذي يعدّه ابن الجوزي من مفسدات القص. وهذا ما يجعل وظيفة القاص مشروطة بجملة من المقوّمات هي نفسها التي يفترض توافرها في الأئمّة والفقهاء والمؤرخين، ومن هذه الشروط:

- **كمال العلم (لأنه يُسأل عن كلّ فن).**
- **أن يكون حافظًا للحديث النبوي.**
- **عالمًا بالتواريخ وسير السّلف.**
- **حافظًا لأخبار الزهاد.**
- **عالمًا باللغة العربية.**
- **فصيح اللسان.**
- **لابسًا لمتوسّط الثياب ليكون قدوة للناس.**
- **متزهّدًا في دنياه متورعًا في سلوكه «مشتغلاً عن البدن بفضائل النفس».**
- **معتزلاً للعوام ليكون لكلامه وقع وهيبة.**
- **أن لا يجتمع بالناس إلا بإذن الأمير أو الوالي(7).**

ولئن كان المسلمون يبتغون من هذه الشروط القضاء على ما شاع في المشرق من قصص مزوّر لحقائق المغازي ومحرّف لأخبار الأنبياء والرّسل مثل شيوع الإسرائيليات وإقبال العامة عليها، ومنع نشوء قصص خيالي يخالط القصص الديني، فإنهم بهذه الشروط قد ألحقوا هذا الفن بقية المعارف الدينية التي هي حكْر على المتفقّهين في الدين، وترفعوا بها عن عقول العامّة التي ظلت مشحونة بالخرافات والأساطير والبطولات من موروث ما قبل الإسلام في الشرق والغرب على حدّ سواء. ولا تتداول إلا في الأطر الضيّقة خوفًا من تهمة الارتداد المسلطة على الرّقاب والمنذرة بأشد العقاب، فكان حظ القصّ الشعبي أن استمرّ رغم النقلة الحضارية الجوهرية خبرًا مستترًا متناقصًا كلما ازدادت الثقافة العربية الإسلامية تجذّرًا وتعمّقًا.

ويحدثنا ابن الجوزي عن قاصّيْن من أهل المغرب هما عبدالله بن إسماعيل المغربي، وقاصّ لم يورد اسمه وإنما اكتفى بنسبته إلى القسطنطينية، لكنه لم يحدّد لنا أين نشأ ولا أين مارسا هذه الوظيفة، ولا كيف اختصّا فيها(8).

وفصل المقال في ارتباط القصّ بالدين أن كانت وظيفته هذه من بين أسباب القضاء على وظيفته التواصلية التي كانت تؤدّيها بلهجة معيّنة وفي إطار قبلي محدود، والذي استبدل الإسلام به الهوية الدينية الموحّدة كسرًا للتفرقة القبلية، فتحولّت مصادر الإعجاز من الأرض إلى السماء، ولم تعد الوقائع ولا الأصول العرقية هي التي تفرز الأبطال والشخصيات القصصية الخارقة للمعتاد، بل أصبح الله هو واهب المعجزات ينعم بها على من ينتقيه نبيّاً أو رسولاً أو ذا كرامة اختص بها لشدة ورعه وتقواه.

ولقد عجّل الشرطان الخامس والسادس بتبديد منجزات اللسان القديم التي خلّفها البربر والروم، فلم يبق من ألفاظه إلا العدد القليل انبث في اللغة معرّبًا (أي خاضعًا

تاريخ القصص الشعبي في تونس كان عرضة للتزوير في مجمل مراحله ، فالقدامى نفوه ، والعرب وظفوه ، دينيا وسياسيًا ، والاستعمار حارب به الهوية العربية

لأقيسة كلام العرب) ودخيلاً (أي محافظًا على بعض مقوّمات عجمته)، لكنه محدود الفاعلية على مستوى التعبير.

لكن إذا عدنا إلى اتباع المراحل التاريخية للحضارة العربية الإسلامية بإفريقية نلاحظ أن تلك الشروط لم يتوافر لها المدى الزمني الكفيل بتطبيقها تامة. فالتغيّرات السياسية والفتن وانشغال أولي الأمر بأخبار التوسع والمعارك جعلهم يدرجون مسألة القصّ والقصّاص في سياق سياستهم للرعيّة، فمنذ قيام الدولة الأغلبية(184هـ) مرورًا بتمكن الفاطميين الشيعة من الحكم (296هـ)، فحملة القبائل الهلالية على إفريقية، واستقرار الوضع نوعًا ما مع الحفصيين (982/372م)، حتى وصول العائلة الحسينية (1705م) التي يمكن أن نعدّها قد فقدت سلطتها بدخول الاستعمار، تعامل الحكام مع القصّاص حسب ما يمليه الوضع الداخلي للبلاد. فإذا أنس الحاكم في نفسه القدرة على الإمساك بكل أزمّة البلاد، حاول تطبيق أحكام الشريعة على القصّاص بتحديد أماكن قصّهم وردع المخالفين منهم، وإذا دبّ التململ في الرعية وظّف القصّ لإلهاء الناس وامتصاص أسباب الفتنة. فمع الأغالبة انتشرت أخبار المغازي والفتوح. ومع الفاطميين شاع القصص الممجّد «للسيد علي» أي علي بن أبي طالب ناسبًا إليه من الخوارق والمعجزات ما لم يتمتّع به حتى الرسول نفسه (من ذلك قصّة صعوده للسماء التي حاول بها الشيعة طمس حقيقة اغتياله)، ومعاركه مع الجن والغيلان والتي ما زالت تخلّدها بعض الصور الحائطية المروجة في الأسواق الشعبية، وقصة عفوه عن (الكفرة) «الكافرين» بعد أن عزم على سحقهم وإبادتهم، فكان الفاطميون بذلك أول حكام إفريقية الذين تفطّنوا إلى ما يمكن أن يؤديه القاصّ من أهمية في تحويل أنظار الرعية عن السياسة من خلال شغلهم بالخرافات العجيبة، «فاتخذوه مؤسسة حكومية شعبية وبنوا له ميخانات الحشاشين بعدما نشروا الحشيش بتونس»(9). فظلّ القصّ يتخلّى عن قداسته ويقترب من الرعية فيزداد رواجًا. كالمخدّر يمنعه ذوو النفوذ ويشونه من جديد حسب مقتضى الحال. وقد مكنته شتى التوظيفات التي حققته، من استعادة جذوره الأسطورية والإيغال أكثر في الخيال وامتزاج الحديث منه بالقديم(10).

وفي العصر الحفصي استفاد القُصّاص، الذين استعادوا تقريبًا مهمّاتهم القديمة في المجتمع، من استقرار الوضع نوعًا ما وتسامح الأمراء للانطلاق في القرى مروّجين لآلاف القصص ذات المراجع المختلفة يهودية، وعربية مهاجرة، وأندلسية وافدة، وبربرية متوارثة وشعبية، وظل محافظًا على نسق سريانه ذلك في العصر الحسيني، بل وزادت مصادره العجيبة، خاصة وأن بعض الحكام الحسينيين كانوا متسامحين جدًا مع الأقليات غير العربية، فسكتوا عن انتشار اللهجات المختلفة، ولم يوقفوا موجة القصص الإباحي والمبتذل التي بدأت تستشري خاصة في الحواضر. وهذه الظاهرة شاعت في كل البلاد العربية، ولعل جذورها تعود إلى القرن الرابع الهجري في المشرق، حيث كان الصراع الفكري بين القوميات التي شملها الإسلام قائمًا «وكان المحدّث يحظى بشعبية عالية خاصة إذا غلب على قصصه طابع النكتة والاستجراء على القيم السائدة»(11).

والقصص الشعبي في هذه الفترة الثانية من تاريخه القديم ظل ينزع نحو استجلاء أحوال المجتمع كلّما تمكن من الإفلات من تشاريع الحكام. فما وصلنا من منجزات شفوية حاملة لعلامات تلك الحقب يمكن من خلاله تفحّص البنية الفكرية العامة التي كانت سائدة. فإذا كان الوضع مضطربًا ينتشر القصص العجيب بأساطيره وخوارقه وأحداثه الرهيبة المرعبة. أمّا إذا هدأت الأوضاع واستتب الأمن فيظهر نوع مخالف من القصص يغلب على مضامينه الفحش والتصوير الساخر المستهزئ. وهذا النمط الثاني هو في الحقيقة امتداد للأوضاع التي أفرزت النوع الأول، لأن العدو والنقيض والمخالف في الرأي والمعتقد والمندحر في السّجال الحربي هو الذي يكون عرضة للاستخفاف والاحتقار في القصص الشعبي. إلا أن وصول مدوّنة هذا الجنس الأدبي إلى أيدي الباحثين في وقت متأخر واهتمامهم بها بعد عشرات القرون من أزمنة تكوّنها جعلها تفقد الكثير من نضارتها وتشهد تحوّلاً عميقًا على مستوى عبارتها؛ لأن العودة الحقيقية لدراسة المأثور الشفوي لم تبدأ إلا في القرن التاسع عشر الميلادي في إطار ثورة معرفية شاملة غيرت مفهوم الثقافة في العالم لا في البلاد العربية فقط.

كان للقصص الشعبي فضل الريادة في إلحاق الآداب بمختلف الفنون التي أصبحت تستفيد من العلوم استفادة مباشرة، وكان جزاؤه بعد اكتمال نمو المنهج، الإهمال والإبادة خاصة في البلاد العربية

الثورة المعرفية المعاصرة وعودة الوعي بالثقافة الشفوية

أ- القصص الشعبي خلال فترة الاستعمار الفرنسي:

يعد مصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات التي أثارت جدلاً عاليًا في القرن التاسع عشر. وفي الوقت الذي كانت فيه النخب الغربية تنظّر لرؤية ثقافية جديدة وشاملة، كانت البلدان العربية تسقط تباعًا تحت الهيمنة الاستعمارية. فإذا كانت أكثر التعريفات الحديثة للثقافة إثارة للنقاش تلك التي ذكرها «إدوارد تيلور»(12) عالم (الأنتروبولوجيا) الإنجليزي في العقد الأخير من ذلك القرن، حيث عرّف الثقافة بأنها: «جملة معقّدة تشتمل على مفاهيم ومعلومات وعقائد، اشتمالها على الفنون والقوانين والأخلاق والأعراف وعلى جميع بقية القدرات والعادات التي اكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع»(13). فإن تلك الفترة تتوازى تاريخيًا مع بداية إحكام السيطرة الاستعمارية الفرنسية على الإيالة التونسية لتحويلها، ككل بلدان المغرب العربي، إلى مخبر تجارب ومصدر ثروات.

وفي إطار حملة الاكتشاف والبحث التي أصبحت تمثل سلوكًا متوارثًا عند الأوروبيين منذ اكتشاف كريستوف كولومب لأمريكا، اهتم بعض الفرنسيين بالتراث الشفوي التونسي لغرضين: غرض ظاهر يتمثّل في تحقيق ما لا يعرف الأهالي قيمته، لأنهم في نظر المستعمر رهط بدائي ينبغي مساعدته على مواكبة التطوّر الحضاري، وغرض مبطن هو ضرورة ضرب الثقافة العربية الفصيحة والمكتوبة والحدّ من أهميتها بوصفها أقوى ما يربط الشعب بهويته العربية الإسلامية المتجذّرة. لكن وفق المقولة القديمة «رب ضارّة نافعة»استفاد القصص الشعبي نسبيًا من هذه العملية. فلأول مرة يشهد المغرب العربي حملة جمع وتصنيف للقصص الشعبي. وإن كانت عمليات الجمع فردية لا تخلو من اعتباط، لأن القائمين بها ليسوا من أهل الاختصاص. ومن نماذج هذه المحاولات ما قام به لوسيان باي (L. Paye) الذي كان في الثلاثينيات مديرًا للتجهيز من جمع لقصص الأطفال ونشرها على دفعتين: الأولى 1949م والثانية سنة 1955م(14) وهي قصص ذات مصادر عربية مشرقية مثل قصص جحا، والسلحفاة وبنت الجزار، وأخرى محلية مثل قصة وادي البغلة وتروي خبر غرق بغلة إبراهيم الأغلبي. وقصة الوليّ سيدي منصور ومقامه بصفاقس.

ومن الاكتشافات الفرنسية المثيرة للانتباه، أن الباحثين عثروا في المغرب العربي على بعض المؤلفات مكتوبة بالعامية المحلية. وقد ادّعى المحقّقون أن أغلبها من مأثور القصص البربري المتناقل عبر الأجيال. ونستدلّ على ذلك بكتاب طريف حقّقه أحد المدرّسين الفرنسيين بوهران الجزائرية اسمه بالعربية «جامع اللّطايف وكنز الخرايف»(15) حافظ على قصصه في لغتها وقابلها عند الطبع بترجمة فرنسية. وقد احتوى الكتاب على صنفين من القصص الشعبي: صنف ذي البطل الواحد (بن صكران)، وهي شخصية مرحة عبارة عن جحا محلّي من اختراع الخيال الشعبي القبائلي. والصنف الثاني من

القصص الشعبي في تونس

القصص الشائع كثيراً حتى في تونس مثل قصة «أمّي سيسي والذيب»، وقصص هارون الرشيد، وغدر البرامكة، وبعض القصص على ألسنة الحيوان على غرار كليلة ودمنة.

فإذا قرأنا تلك الترجمة في سياق غايات كاتبها الاستعمارية من خلال تحريك مشاعر الأقلية البربرية في الجزائر، نفهم لماذا تجرأ الكاتب على تزوير حقائق هذه القصص، فالعبارة المستعملة عربية وإن كانت لا تخلو من ألفاظ بربرية، وأغلب القصص لها جذور عربية ومشرقية بصفة عامة، فإن لم تكن كذلك، فإن أسلوب حكايتها عربي جلي الملامح، وشخصياتها صدى لشخصيات طريفة يطنب العرب عادة في نسبة الملح والنوادر إليها. ولعل روني باسي (R. Basset) كان أكثر المستشرقين موضوعية حينما عبّر بصفة غير مباشرة عن مدى انصهار البربر في الحضارة العربية، ففي سياق تحريره لمقالة «بربر» بدائرة المعارف الإسلامية تحدّث عن ترجمة بربرية للقرآن ولألف ليلة وليلة ولمدوّنة ضخمة من الأشعار والقصص والأحاجي. فإذا كان برابرة النصف الأول من القرن العشرين قد تجاوزوا مرحلة استيعاب الحضارة العربية إلى مرحلة ترجمة مواد ثقافتنا، فإن الحديث عن موروث شفوي بربري منفصل عن الموروث العربي يصبح من قبيل الادّعاء والاصطناع مهما كانت المسوغات، خاصة وأن الاستنتاج والتحليل لابدّ من أن يُسبقا بعملية جمع للقصص في كامل المنطقة وتفحّص دقيق وتصنيف، وإلا افتقد الجهد المبذول إلى الصفة العلمية(16). فماذا يمكن للباحث التونسي اليوم أن يستفيد من تلك المجامع؟

إننا لا نجني سوى نسخ مشوّهة من تراثنا. فما حفظه ديوان (أرشيف) دار الكتب من تلك المصنّفات وتلك الدوريات التي كانت تصدر في تونس كالمجلة الفرنسية، ومجلة تونس الفرنسية وغيرها، لا يمكن الاعتداد بمحتوياتها لمواصلة البحوث انطلاقاً منها، لأنها وضعت بالأساس لخدمة غرضين استعماريين: الأول هو محاولة ترسيخ صورة الإنسان التونسي البدائي في إطار احتفال الأوروبيين بعوالم البدائيين في أدغال إفريقيا لإثبات نظرياتهم وفرضياتهم العلمية. والغرض الثاني هو تحويل التراث الروحي للشعب الرازح تحت الاستعمار إلى مادة مخبرية جاهزة لتجريب المكتشفات العلمية الآخذة في التطور بسرعة شمالي المتوسط، والتي ركزت كثيراً في مجال الأدب على القصص الشعبي خاصة بعدما صدر كتاب «مرفولوجيا الحكاية الشعبية في روسيا» لفلاديمير بروب (V. Propp) أستاذ المعتقدات والأديان بجامعة لينتغراد سنة 1928م(17)، هذا الباحث أسقط كل شك في قيمة القصص الشفوي من الناحية الفنية، وجعله جنساً أدبياً قائماً بذاته اتخذه مصدراً لوضع اللبنات الأولى للمنهج الشكلي الذي عرف بعدئذ باسم البنوية في أوربا، والذي مازال إلى اليوم معتمداً في الدراسات الأدبية عالمياً.

فللقصص الشعبي إذن، كان فضل الرّيادة في إلحاق الآداب بمختلف الفنون التي أصبحت تستفيد من العلوم استفادة مباشرة، وكان جزاء هذا الجنس الأدبي بعد استكمال نموّ المنهج، الإهمال والإبادة خاصة في البلاد العربية، حيث سارع الباحثون إلى تبني أطروحات البنويين في منتصف هذا القرن دون إيلاء أدنى اعتبار للتراث الشفوي الذي انبثقت منه تلك الأطروحات.

أمّا في تونس فقد تنزل هذا الفن في إطار النّضال ضد سياسة الفرنسة عند بعض المفكرين الوطنيين، ومن هؤلاء الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب (1884-1968م) الذي كان: «من الروّاد الذين أيقظوا الشعور وأحيوا النفوس وحفّزوا الهمم... وحجةً في شؤون العادات والتقاليد ومثالاً للباحث المدقق»(18). والأستاذ عثمان الكعاك الذي تولى خطة محافظ المكتبة (1944-1956م). ويعرّف هذا الأخير القصص الشعبي بأنه: «قصة مطوّلة فيها عجائب وغرائب وبطولة ومناقب وأعمال جهادية خارقة للعادة»، لكنه بتقسيمه الرباعي لأنواع القصص في تونس (قصص أيام الجاهلية، الغزوات الإسلامية، ملحمة بني هلال، المطولات مثل قصة الشريف بن هاشم) ينفي بصفة لا مباشرة وجود ملاحم تونسية أصيلة. وإن كان في حديثه عن الحكايات يؤكد أن مختلف الأجناس التي عاشت في تونس خلفت حكايات شعبية. ويسمّيها قصصاً خيالية شعبية(19). ويمكن أن نلحق بهذين الباحثين عبدالعزيز العروي الذي قدّم خدمة إعلامية جليلة لهذا الفن منذ تولّيه القسم العربي بالإذاعة التونسية سنة 1949م.

نصل بختام هذه المرحلة إلى أن تاريخ القصص الشعبي في تونس كان عرضة للتزوير والتشويه والتحييد في مجمل مراحله، أفاد في كل المراحل ولم تنصفه أيّ مرحلة تاريخية، فالقدامى نفوه، والعرب وظّفوه دينياً وسياسياً، والاستعمار حارب به الهوية العربية، فكيف تعامل الباحث التونسي مع هذا الكنز الفني منذ الاستقلال إلى اليوم؟

إذا أهملنا الأدب الشفوي، يعني ذلك أننا أكلنا نصف تراثنا ونحن في منتصف طريق التمدن والاستهلاك، ولا نعرف عن النصف الآخر إلا الشيء القليل

كنز تنهبه الأحقاب بقدر ما كانت تجود

ب - راهن القصص الشعبي: إشكالية الجمع والتصنيف:

حينما بدأ الباحث التونسي اهتمامه إثر الاستقلال، كانت مسألة القصص الشعبي في أوروبا قد تقدمت أشواطاً كبيرة، فقد تمّ العثور على أقدم حكاية في العالم (حكاية الأخوين، عثر عليها في مصر وتعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد)، وجمع كل ما وصلت إليه أيدي الباحثين في مجلدات، وتحدّدت مناهج التصنيف وطرق الجمع ممّا مكّن من تحصيل مدوّنة شفوية ضخمة احتلّت بين مختلف أصناف الأدب الشعبي مكانة مرموقة وثابتة باعتبارها «العبارة الأكثر نضجاً بين كل ضروب السّرد الشفوي». وبما أنها تمثل أهم مدخل لمجموعة كبيرة من المباحث الحديثة: علم المعتقدات والأديان، علم الإنسان (الأنتروبولوجيا) فمازالت المؤسسات المختصة تشجع على مزيد من التحرّي والبحث حتى لا تقضي الحياة الاجتماعية الاستهلاكية على هذا المخزون الثري والهش أمام مقتضيات الحياة المعاصرة(20).

في هذا الإطار يمكن اعتبار أقدم محاولة اهتمام بالتراث الشفوي بعد الاستقلال هي تلك الجهود التي بذلها الأستاذ محمد المرزوقي الذي قدّم للتراث خدمات جليلة، وإن كان دافعه إلى ذلك لبس الوعي بالأهمية العلمية لهذه المادة، وإنما من قبيل الحنين لمواطن صباه، ومحاولة منه لتقديم خدمة للربوع الريفية التي نشأ وترعرع فيها قبل انتقاله إلى العاصمة(21). فكان كتابه «مع البدو في حلّهم وترحالهم» عبارة عن سيرة ذاتية جماعية لأهالي الجنوب التونسي مرتبا حسب عمر الإنسان (الطفولة، التعلّم، اللّعب، الزواج، المعتقد.. الموت). وقد خصّص الفصل الأول من الأدب الشعبي للقص الشعبي، وأهمّ ما في الفصل محاولة تصنيف الشائع يومئذ إلى سبعة أنواع (الأسطورة الاجتماعية، السياسية، البطولية، العقدية، التاريخية، الأدبية، وأساطير الأطفال)(22) باعتماد المضامين، إلا أن المضامين جعلته يغفل المصادر إغفالاً يكاد يكون كليًا. فلم يتفطن إلى أن هذه الأنواع الشعبية ما هي إلا قصص تاريخية، وإنما تختلف فقط من حيث مصادرها، والحقب التي أنتجت فيها. لكن يبقى له فضل الريادة في استعادة البحث في هذا الاتجاه، بل إن الشعر ظلّ دائماً مبحث أهل الاختصاص الأول. ولعل ذلك يعود إلى نظرة متوارثة ترى القصّ من ترويج اليهود، وترى مضامينه فسقاً وفجوراً تستوجب الأخلاق السكوت عنه. إلا أننا بدأنا نلاحظ في العقدين السالفين ظهور أول البحوث

القصص الشعبي في تونس

كنز تنهبه الأحقاب بقدر ما كانت تجود

(الأكاديمية) حول القصّ الشعبي وأهمّها من حيث الإجادة والإفادة: كتاب الدكتور عبدالوهاب بوحديبة: «المخيال المغاربي»(23)، وهو دراسة باللسان الفرنسي لمجموعة من قصص الأطفال. ولئن مكنته الكتابة بهذه اللغة من تجاوز إشكالية المصطلح (حكاية، أقصوصة، خرافة، أسطورة، قصة...)، فإنها قد مكنته أيضًا من الوقوف على أهمية هذه المادة في المجتمع. فالقص يعني دائمًا «خلق أشكال تواصلية جديدة وليس إعادةً لأشكال ثابتة»(24)، وأن ندرس القصص الشفوي يعني أن نستكمل البحث في الجذور التاريخية للشعب(25). أما فيما يتعلق بالدور التربوي الذي يقوم به القصص الشعبي من حيث توطيد العلاقة بين الأم والطفل، فإنه يصبح عاملاً من عوامل تكوين الشخصية المتوازنة وتأهيلها لتتأصل في مجتمعها: (Facteur important de socialisation)(26)، ويرجع تلك الصيغ المتواترة في فاتحة القصص، (كان يا ما كان في قديم الزّمان) إلى الأسطورة التي تعارف العالم على أنه بدء أزلي (Eternel Recommencement) هذا إذا درسنا القص من حيث شكله(27)، حيث تعز تلك البدايات المتكررة بالزمن المطلق والخارج عن حدود العالم الإنساني. وقد ختم بوحديبة كتابه بصيحة فزع إزاء ضياع هذا الإرث الثمين في عصر أصبحت تهيمن فيه الصورة على العبارة، وتفصل فيه الصور المتحركة المستوردة الطفل عن أمه، محذّرًا من الشاشة التي تصنع الإنسان المنفرد الصامت المستهلك دون اختيار للخطابات الجاهزة، وهي تقتل فيه بصفة خفية ملكة الخلق وابتكار أشكال التواصل، يحدث هذا ونحن «نرى الكنز يضيع ويستحيل إلى خطاب منسي»(28).

وقد يكون ما لقيه هذا الكتاب من رواج هو ما حفز بعض أساتذة الجامعة على دخول هذا الميدان من خلال الإشراف على طلبة اختاروا البحث الميداني في جهات محددة هي عادة أماكن ولادتهم، ونستدل على ذلك ببحثين: الأول قدمته فوزية مدّاتي لنيل شهادة الكفاءة في البحث بإشراف الأستاذ حسن الصادق الأسود، وهو بحث يطمح للاستفادة من المناهج الحديثة في دراسة بنية الخرافة التونسية وعلاقتها بالمدلول الاجتماعي(29). وقد اختارت هذه الباحثة تسمية القصص الشعبي بالخرافة لشيوع هذه التسمية في نظرها. وثاني البحثين رسالة ختم الدروس بالمعهد العالي للتنشيط الثقافي اهتم فيها فوزي بن قيراط بدراسة «القيم في الحكاية الشعبية بجربة» وأشرف على هذا البحث أبو القاسم محمد كرّو، معتمدًا على مدونة تتكون من ثلاثين قصة.

والجامع بين البحثين أنّ صاحبيهما حاولا قدر الإمكان الاستفادة من نظرية المنهج الشكلي وبالخصوص كتاب فلاديمير بروب، لكن رغم مرور أكثر من ستين عامًا على صدور هذا المرجع مازال القصص الشعبي في تونس يبحث عن تسمية قارّة له. فهو أسطورة عند محمد المرزوقي، وحكاية Conte عند بوحديبة، وخرافة عند فوزية، وحكاية عند فوزي. أضف إلى ذلك أنّ هذه البحوث الجامعية تسعى إلى تدريب الطلبة على مناهج البحث، أمّا موضوع البحث فمسألة ثانوية، ولا نتوقّع من هذه الجهود الفردية أن تحقق نتائج كبرى أو أن تحلّ إشكالية ضياع المخزون الشفوي، لأن هذا الموضوع يحتاج إلى فرق عمل موزّعة على كامل البلاد تشرف عليها مؤسسة مختصة مثل المعهد العالي للتنشيط الثقافي أو المصلحة المختصة بوزارة الثقافة، لأن التحاليل الجزئية لا يمكن تعميم نتائجها. ولأن الجمع لابدّ أن يسبق التصنيف مثلما يجب أن يكون التصنيف سابقًا لمرحلة الدراسة واستخلاص النتائج التي تأتي بعد استكمال كل المراحل السابقة.

خاتمة

توخّينا في دراسة القصص الشعبي منهجًا تاريخيًا يشدّنا إلى المراحل التاريخية الكبرى التي مرت بها تونس قبل الإسلام وبعده، ثم خلال أكثر من نصف قرن من الاستعمار، وخلال ما يقارب أربعين سنة بعده، لأنه لا مجال لفصل تاريخ أي جنس أدبي عن البيئة التي نشأ فيها أولاً، وثانيًا لأن موضوع هذا البحث ظاهرة ثقافية ليست محققة ولا مصنّفة. وإنما نجازف بالحديث عن تاريخها انطلاقًا من فرضية أثبتتها الدول المتقدمة في هذا الميدان مفادها أن الذاكرة الجماعية لا تخلو من القص باعتبار التلفظ وجهًا من وجوه التفكر، والتفكّر مشروط بالتدبّر. ووجود الإنسان على الأرض وسط مجموعة بشرية كيفما كان مستواها الحضاري، مضطرًا إلى تدبّر أمر معاشه واتصاله بغيره، ومن تداخل هذه الضروريات تُنسَج القصص والأمثال والألغاز والخيالات الشاعرة وغير ذلك ممّا يجتمع تحت اسم الأدب الشفوي في مقابل الأدب المكتوب. وهو جانب مهم وثري لا يمكن الحديث عن ثقافة أي شعب دون ذكره. فإذا نحن أهملنا هذا الجانب يعني أننا أكلنا نصف تراثنا ونحن في منتصف طريق التمدّن والاستهلاك، ولا نعرف عن النصف الآخر إلا الشيء القليل. وهذا الوضع يحتّم على كل جهة مسؤولة أو فرد مهتم بطبيعة تخصصه أن يضم جهده وكل ما يمكن أن يقدمه إلى التوجه الجديد والمتطور الذي تنتهجه جماعات الإشراف اليوم حيال المسألة الثقافية، وهو توجّه يسعى إلى تحقيق التوازن الثقافي بالتوازي مع التوازن التنموي حتى يدخل الإنسان التونسي الألف الثالثة من تاريخه بخطى ثابتة، وشخصية واعية(30).

الهوامش والمراجع:

(*) نص المحاضرة التي قدمها الباحث في إطار الاحتفال بشهر التراث يوم 19 أيار/مايو 1995م بالمركب الثقافي أحمد بن أبي الضياف بمدينة سليانة بإشراف اتحاد الكتّاب التونسيين (فرع الشمال الغربي).

1- للاطلاع على حياة البربر في ظل الغزوات المتتالية، يراجع الفصل الأول من كتاب د. عبدالواحد ذنون طه: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق (1982م).

2- لتوضيح الانصهار الحضاري الذي استمرّ حتى الفترة الأولى من حكم الأمراء الأغالبة انظر: هنري فورنال: البربر والفتح العربي لإفريقيا، المجلد الأول، الفصل الرابع، ومقدمة المجلد الثاني، ط. لورو، باريس 1875-1881م (باللسان الفرنسي).

3- نحيل بالأخص على جزأين من أعمال هذا المؤرخ الشهير.
- المجلد 33، حوار الصداقة.
- المجلد 34، الحكومة.
- طبعة جديدة باللّسان الفرنسي، باريس 1829-1837م.

4- دائرة المعارف الإسلامية (مادة إفريقية)، المجلد الثاني، ص 337.

5- من مظاهر تمهل العرب في نشر معارفهم ومعتقداتهم، ما يرويه حسن حسني عبدالوهاب في الجزء الأول من كتابه «ورقات من الحضارة العربية بإفريقية»، عن بعض الأمراء الأغالبة الذين كانوا يحسنون النطق باللاتينية، ص 2. وعن موسى بن نصير الذي لم يغيّر سنة 85هـ العملة البيزنطية التي وجدها متداولة تغييرًا كليًا، بل حوّر فيها شكل الصليب ومعاني الحروف المنقوشة من تمجيد للإمبراطورية إلى عبارة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له».
(Non Alius Socius Non Cvi Deus Solus Sisi Deus Est)

6- أبو الفرج بن الجوزي: كتاب القصّاص والمذكّرين، تحقيق مارلين سوارتز، ط. دار المشرق، بيروت 1986م، ص 9-10.

7- المرجع السابق، ص 27.

8- المرجع السابق، ص 86.

9- عثمان الكعّاك: التقاليد والعادات التونسية، ط. 3 (الدار التونسية للنشر 1981م) ص6.

10- يمكن تبين ذلك من خلال الصورة المتخيلة عن الجن. فالجني في القصص الشعبي تغلب عليه الصفات المتوفرة في المعتقدات الرومانية القديمة (Genie) وتختلف في مجملها عن الصفات الواردة في القرآن الكريم.

11- علي الزاهري: حياة المسلمين في العصر الوسيط (باللسان الفرنسي)، ط. هاشيت، باريس 1951، ص 178.

12- ادوارد ب. تايلور: الثقافة البدائية (باللسان الإنجليزي)، ط.3 بتاريخ 1889م.

13- ورد التعريف في مقدمة الكتاب السابق. وقد اعتمدنا تعريف د. عادل العوا للمقولة المذكورة في سياق ترجمته لكتاب لويس دوللو: الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، منشورات عويدات، ط2، بيروت 1982م، ص29.

14- لوسيان باي: قصص تونسية (باللسان الفرنسي) جمع مركز دراسات الأمومة والطفولة، المجلد الأول (1949م)، والمجلد الثاني (1955م).

15- ج. دالفان: جامع النصوص الشفوية العربية (باللسان الفرنسي)، ط. لورو، (الجزائر 1891م).

16- طبع روني باسيت حصيلة بحوثه في كتيبين سنة 1897م، قصص بربرية، ثم قصص بربرية جديدة

17- فلاديمير بروب: مرفولوجيا الحكاية (باللسان الفرنسي) تعريب م. داريدا م. تودوروف. كاهن، ط. سوي، باريس 1965م.

18- محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، ط.2، سيراس للنشر 1992م.

19- عثمان الكعّاك: التقاليد والعادات التونسية، ط. 3 الدار التونسية للنشر 1981م، راجع الصفحات من 67 إلى 75.

20- الموسوعة العالمية (باللسان الفرنسي)، ط. جديدة، المجلد السادس مقال (حكاية)، فرنسا 1995م.

21- محمد المرزوقي من مواليد مدينة دوز بالجنوب التونسي سنة 1916م التحق بمعهد الآثار سنة 1957م، ثم أشرف سنة 1961م على قسم الأدب الشعبي بوزارة الثقافة حتى وفاته سنة 1981م.

22- محمد المرزوقي: الأدب الشعبي في تونس، الفصل الأول، الدار التونسية للنشر 1967م، ص 14-15.

23- د. عبدالوهاب بوحديبة: المخيال المغاربي: دراسة لعشر قصص للأطفال (باللسان الفرنسي)، ط. الدار التونسية للنشر 1977م.

24- المرجع السابق، فصل القصة والمجتمع.

25- المرجع السابق، ص 15.

26- المرجع السابق، ص 18.

27- المرجع السابق، ص 25.

28- المرجع السابق، فصل «المخيال الجماعي»، ص 172.

29- بحث مرقون، نوقش سنة 1982م وتوجد منه نسخة بدار الكتب الوطنية.

30- بحث مرقون، نوقش سنة 1989م وتوجد منه نسخة بدار الكتب الوطنية.

دراسات قرآنية

اللسان ومعانيه في القرآن الكريم

علي العريبي

يعد جهاز النطق لدى الإنسان آية من آيات الله في الخلق والإبداع. ومن أجزاء هذا الجهاز الفم، وهو ـ كما نعلم ـ تجويف ينتهي بفتحة تتمطط وتتقلص نسميها الشفتين، تليهما الأسنان في الفكين الأعلى والأسفل، ثم يتمدد اللسان في هذا التجويف، واللسان له قدرة عجيبة على الحركة والقيام بوظائف مختلفة، ثم نجد بعد ذلك الحنجرة والوترين الصوتيين والحلق، ويليهما قصبة هوائية محاذية للبلعوم، وتنتهي فوهة الفم باللهاة، ويتصل هذا التجويف الفموي بمسلك أو معبر يؤدي إلى الأنف، يساعد على إخراج بعض الأصوات إخراجًا خاصًا، وبعض أجزاء الفم غير متحرك، أما الأجزاء المتحركة فهي اللهاة والشفتان والوتران الصوتيان واللسان والفك الأسفل.

ويقوم الفم واللسان بوظائف مختلفة ومتعددة كالأكل والشرب والتذوق والتعبير عن المحبة والحنان والبكاء والضحك والصراخ والاستغاثة وابتلاع الهواء النقي ثم خروجه عن طريق الرئتين هواءً فاسدًا، أو مايسمى علميًا بغاز الفحم، وأهم أدوار الفم الكلام، فكيف تتم عملية التصويت أو الكلام باختصار؟

يشبه علماء الأصوات الرئتين بالمنفاخ: إذ يتصاعد منهما الهواء فتعترضه الأوتار الصوتية، فيُحدث اهتزازًا، ويقوم الحلق وداخل الفم وداخل الأنف في هذه العملية بدور المدوّي بالنسبة للصوت المحدث. وفي كل عملية نطق أو تصويت لا بدّ من توافر عنصرين لإحداث الأصوات، وهما إخراج النَّفس من الرئتين وتفصيل النطق في الفم(1) فيخرج كل حرف أو كل صوت واضحًا ومميزًا. وقد سمّى العرب القدامى المكانَ الذي يقع فيه اعتراض الهواء الآتي من الرئتين بالمخرج، وتحديدهم لمخارج الحروف دون اعتماد أجهزة علمية دقيقة يدل على براعة وذكاء نادرين. وعدد الحروف في كل لغة محدود، إلا أن المتكلم يستطيع أن يستغل هذا العدد من الحروف والكلمات استغلالاً لا حدّ له، فينتج عدد آخر غير محدود من الوحدات الصوتية ذات المعنى الدقيق.

وتنتقل هذه الوحدات الصوتية عبر الهواء فتنتقل إلى الدماغ من طريق طبلة الأذن فيفكك السامع هذه الرموز الصوتية ويفهمها على حقيقتها من خلال تجربته مع اللغة المنطوقة وتعلمه لقواعدها وتعرفه ترتيب الأصوات في لغته.

يقول أحد علماء اللغة المعاصرين: هل تستطيع أن تدلني على أحد يستطيع أن يستغل النفايات بطريقة أجزى وأكثر كفاءة وأهمية من استعمال الإنسان لنفايات عملية التنفس(2).

هذا الهواء الذي لم يعد ينفع الإنسان أراد الله سبحانه وتعالى أن يصنع منه معجزة الكلام. وقد قال تعالى في معرض المنّ على ما حبا به الإنسان من نعم لا تحصى فوائدها منها اللسان: *أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ*. **البلد**:9.

وهو منٌّ في محله لمكانة العينين واللسان والشفتين في حياة الإنسان. وقد تكررت لفظة اللسان في القرآن خمسًا وعشرين مرة، وجاءت بصيغة المفرد (15مرة) وفي صيغة الجمع (10مرات).

ويدل اللسان في القرآن ـ حسب السياق ـ على المعاني الآتية:

1ـ اللسان ويعني به المدلول العام وهو اللغة التي هي وسيلة اتصال بين البشر ـ ثم يقع التخصيص باللغة العربية التي نزل بها القرآن. وقد ورد ثماني مرات بهذا المعنى في الآيات التالية:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ. **إبراهيم**:4. *لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ*. **النحل**:103. *لِتَكُونَ مِنَ*

الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. **الشعراء**:194-195. وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا. **الأحقاف**:12. فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا. **مريم**:97. فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. **الدخان**:58. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ. **الروم**:22.

2- اللسان ويعني به إحدى وظائفه وهي الكلام والنطق كقوله تعالى:

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. **المائدة**:78. ولكن هذا الكلام لا يؤدي وظيفته إلا إذا كان بليغًا وفصيحًا، مثل هذه الآية التي جاءت على لسان موسى عليه السلام، وقد كان في لسانه حبسة فطلب من الله أن يرسل معه أخاه ليساعده في مهمته الثقيلة: *هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي*. **القصص**:34. ونجد موسى يطلب من الله أن يطلق تلك الحبسة في لسانه حتى يفهمه المتلقي، ويُبين عن مقصوده: *وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي*. **طه**:27-28.

يحل محل اللسان في القرآن الفم، وهو الجهاز الصوتي العام، واللسان جزء منه، أما لماذا يصبح الفم هو الذي يقول، فذلك ضرب من التشنيع والتفظيع في الأسلوب القرآني

وعبّر موسى عن تخوفه من عدم أداء الرسالة لوجود تلك الحبسة في لسانه، فيصاب بالحزن الشديد، لأنه لم يوصل الرسالة إلى متلقيها كما يجب، فطلب من ربه أن يرسل معه هارون أخاه: *قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ*. **الشعراء**:12-13.

3- ويدل اللسان في القرآن على الثناء والمدح الباقي مثل دعاء إبراهيم عليه السلام، إذ قال الله تعالى على لسانه: *وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ*. **الشعراء**:84. أي ثناءً ومدحًا عند الأقوام التي ستأتي بعده، وقد أعطى الله سبحانه إبراهيم ذلك، فإن كل أمة تتمسك به وتعظمه(3).

ومثلها هذه الآية التي تتحدث عن منزلة إبراهيم عليه السلام وأسرته، وما حباه به الله من نبوة ومال وأولاد، وما يتمتع به من ثناء حسن على ألسنة العباد قال تعالى: *وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا*. **مريم**:50.

4- ويرد اللسان في صيغة الجمع ويدل عادة على الكلام الكاذب والبذيء والجارح، فالمنافقون كانوا في وقت السلم يسلقون المسلمين: أي يؤذونهم بالكلام الجارح كما جاء في هذه الآية: *فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ*. **الأحزاب**:19.

وتتحول الألسنة إلى وسائل للافتراء على الله واللجوء إلى التحليل والتحريم اعتمادًا على الهوى قال تعالى: *وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ*. **النحل**:116.

ويصبح اللسان في الآية الآتية مجرد راوٍ للكلام يسمعه هذا فيذكره للآخر من غير تثبت أو تدبر. ويتعلق الأمر هنا بحادثة الإفك التي اختلقتها الأفواه، ولا وجود لها في الواقع إذ هي مجرد كذب وافتراء، قال تعالى: *إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ*. **النور**:15. ويلجأ اليهود إلى ليّ ألسنتهم بالإنجيل كناية عن التحريف، «وأصل اللي: فتل الحبل والميل به عن الاتجاه المستقيم، والمراد هنا تحريف التوراة وتوجيهها إلى ما يريدون»(4). ومعلوم أن اليهود حرّفوا الإنجيل، ويتلونه على أنه من كتاب الله حتى يظن السامع أنه مما أنزل الله، وليس هو منه. قال تعالى: *وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ*. **آل عمران**:78. فَهُمْ يَمِيلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ تَحْرِيفِهِمْ لِلْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ إِمْعَانًا مِنْهُمْ فِي الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ.

ويلجأ اليهود إلى ليّ اللسان قصد تحويل الكلام عن ظاهره إلى معنى الاستهزاء والسخرية، فهم يخاطبون الرسول بألفاظ ظاهرها التأدب واللطف، وفي باطنها - وهذا الذي يريدون - الدعاء بالشر، ووصف الرسول بصفات تَنَزَّهَ عنها صلى الله عليه وسلم كالرعونة، وقد حكى عنهم القرآن ذلك في قوله تعالى: *وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ*. **النساء**:46. ولا تلوى الألسنة فقط، وإنما تصف الكذب وتبرزه على أحسن وجه قصد إخفاء الحقيقة، وإمعانًا في التمويه والخديعة والكذب في قولهم أن لهم درجة عند الله وهي الجنة، قال جل وعلا: *وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى*. **النحل**:62.

ولكن هذه الألسنة، إن لوت عنق الحقيقة، وزخرفت الكذب، فإنها يوم القيامة تشهد على أصحابها، ذلك أنه في هذا اليوم لا كذب ولا تغطية للحقيقة، فالله يُنطق الألسنة والأيدي والأرجل تشهد بالصدق وتعلن عن الحقيقة لا مواربة فيها ولا خداع، وتقول ماذا عمل هؤلاء الناس في حق الله تعالى: *يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*. **النور**:24. فقد ذهب ذلك اليوم الذي كانوا يقولون فيه بألسنتهم ماليس في قلوبهم، وهو صنيع المنافقين من الأعراب الذين كانوا يسكنون حول المدينة، فقد استنفرهم الرسول ليقوموا معه بالغزو فاعتذروا وتظاهروا بطلب الغفران عن هذا التخلف، يقولون ذلك بألسنتهم، أما قلوبهم فقد كانت عامرة بالشك والنفاق وعدم الثقة في الله، فألسنتهم أي قولهم في واد، وقلوبهم في واد آخر.

اللسان ومعانيه في القرآن الكريم

قال تعالى: *يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ*. **الفتح**:11. وتوجد في هذه الآية مقابلة بين قول الألسنة وما تضمره القلوب أو بين الظاهر والباطن.

وتتحول الألسنة إلى سياط تدمي القلوب وتصك الآذان، كما أن الضرب يدمي الأجساد، فالألسنة إذن تمتد وتطول بالشتم والسب، والأيدي تمتد لضرب المؤمنين لإرجاعهم إلى حظيرة الكفر والعصيان قال جل وعلا: *وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ*. **الممتحنة**:2.

5- ويحل محل اللسان في القرآن الفم، وهو الجهاز الصوتي العام واللسان جزء منه، أما لماذا يصبح الفم هو الذي يقول فذلك ضرب من التشنيع والتفظيع في الأسلوب القرآني، فالمتأمل في الفم وقد جاء في صيغة الجمع (12مرة) يلاحظ أن هذه الآيات التي ورد فيها لفظ الفم تعبر عن غضب الله وسخطه على المعاندين والجاحدين، وبعض هذه الآيات يعبر عن خروج الكلام من الفم فقط ولا تأثير له في واقع الأمر، وبعض هذه الآيات يقابل بين مايلفظ من كلام وبين ماعُقد القلب عليه من كفر وعناد ونفاق. ففي الآيات الأولى نجد الكلام لا يستند إلى دليل وهو «قول غير موافق لما في العلم ولكنه مجرد تصور لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول، فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه»(5) من ذلك هذه الآيات: *إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ*. **النور**:15. *وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ*. **الأحزاب**:4. *وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ*. **التوبة**:30. *يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ*. **التوبة**:32. *كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا*. **الكهف**:5. *يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ*. **الصف**:8.

وقد لاحظ الراغب الأصفهاني في خصوص الفم في صيغة الجمع: «أن كل موضع علق الله تعالى حكم القول بالفم فإشارة إلى الكذب، وتنبيه أن الاعتقاد لا يطابقه»(6).

أما المجموعة الثانية من الآيات التي جاء فيها الفم في صيغة جمع الغائب، فتبدو فيها المقابلة بين الفم والقلب؛ ذلك أن الأفواه تعلن خلاف ماتنطوي عليه القلوب من بغض وكفر ونفاق، قال تعالى: *قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ*. **آل عمران**:118. *يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ*. **آل عمران**:167. *لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ*. **المائدة**:41. *يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ*. **التوبة**:8.

وتعبّر الأفواه عن الغيظ مما جاءت به الرسل الرافضة دعوتهم لعبادة الأوثان والأصنام كما في هذه الآية: *جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ*. **إبراهيم**:9.

وتكمم الأفواه يوم القيامة، وتصبح خرساء لا تتكلم، وتنطلق الأيدي التي تعبّر عن القوة والبطش واجتراح الذنوب، ويشهد اللسان باعتباره جزءًا من الفم أولاً، ووسيلة للنطق ثانيًا على أعمال الإنسان. قال تعالى: *الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ*. **يس**:65.

وهكذا يتبين لنا ثراء المعاني التي تطلق في القرآن على اللسان، ويتأتى هذا الثراء من المعاني الحافة بهذه اللفظة أولاً، ومن لهجة الخطاب ثانيًا؛ فاللسان إذا كان المراد به اللغة، تكون الألفاظ المجاورة هي الإبانة والفصاحة والصدق واليسر والانطلاق. أما إذا أريد به الملفوظ من الكلام الحسن فتكون النعوت هي الثناء والمدح، ويكون لفظ اللسان في صيغة المفرد. وإذا كان الملفوظ كذبًا وبهتانًا وفيه أذى للمؤمنين تكون الألفاظ المجاورة هي السلق والحدة والكذب والتلقي واللي، ويكون اللسان في صيغة الجمع زيادة في التفظيع والتشنيع.

يتأتى ثراء المعاني التي تطلق في القرآن على اللسان من المعاني الحافة باللفظة أولاً، ومن لهجة الخطاب ثانيًا، وهي متباينة فتدل على الإبانة والمدح أو السلق والحدة، وقد تتسم لهجتها بالهدوء واللطف أو الغضب والسخط

أما على مستوى أسلوب الخطاب فنجد بعض الآيات تتسم لهجتها بالهدوء واللطف كالإخبار عن نزول القرآن باللغة العربية، وهي لغة قوم الرسول صلى الله عليه وسلم، أو طلب موسى عليه السلام من ربه أن يرزقه الإبانة والفصاحة حتى يؤدي رسالته على أحسن وجه، أو دعاء إبراهيم عليه السلام أن يكون له ولذريته الثناء والذكر الحسن من بعده.

ثم تتحول لهجة الخطاب إلى الغضب والسخط عند الحديث عن المرجفين والمنافقين ومحرِّفي الكتب المنزلة والمناوئين للرسول وأصحابه والساخرين منهم، وما يلصقونه من تهم كاذبة، وما يبدونه من تهكم لاذع. ويذكر القرآن ما ينتظر هؤلاء من عذاب يوم تصبح الألسنة شاهد عدل فتنطق بالحق والإنصاف. قال تعالى: *وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*. **الأنعام**:115.

الهوامش:

1- انظر: دروس في علم أصوات العربية - تعريب صالح القرمادي ص19، ط. تونس 1966.
2- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص254 سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1978.
3- محمد سليمان عبد الله الأشقر: زبدة التفاسير، ص485 ط2 الكويت 1408هـ/1988م.
4- عبد الجليل عيسى: المصحف الميسّر، ص75 ط5 دار الشروق 1391.
5- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ج18، ص178.
6- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص584 ط اسطنبول 1986م.
بالإضافة إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي



د. نورة صالح الشملان

الغزل والمديح يلتقيان في أمور لعل أهمها أن الشاعر في غزله يصف حبيبته ويعبر عن أحاسيسه تجاهها؛ وفي المديح إشادة بالممدوح وتعبير عن أحاسيس الشاعر تجاهه.

والشعراءالذين ارتبطوا بممدوحين أحسوا تجاههم بالإعجاب الحقيقي نقلوا لغة العشق إلى مدائحهم، فالشاعر يمدح مستخدمًا أسلوب العشاق في مخاطبته لممدوحه، ولم نجد هذه الظاهرة إلا عند الشعراء الذين أحبوا ممدوحيهم فعلاً ولم يكن مدحهم لبريق الدرهم والدينار.

ولعل المتنبي يكاد يكون أول من استخدم هذا الأسلوب كما أقر له بذلك كبار النقاد القدماء مثل عبد الملك الثعالبي أبي منصور (ت: 429هـ) الذي جعل من ابتكارات المتنبي مخاطبة الممدوح بمثل مخاطبة المحبوب.

إنه يبدأ قصيدته في معاتبة سيف الدولة وتوديعه بهذين البيتين اللذين هما أقرب إلى أشعار العذريين الذين تغنوا بالألم:

واحرّ قَلباهُ ممّن قَلْبُهُ شَبِمُ
ومَنْ بِجِسْمي وحَالِي عنده سَقَمُ
مالي أُكَتِّمُ حُبًا قَدْ برى جَسَدي
وتدَّعِي حُبَّ سيفِ الدولةِ الأُمَمُ

وحين تمادى في الحديث عن نفسه ولمز أبا فراس صاح به ابن خالويه: من أنت حتى تنال أهل الأمير بحضرته؟ فقال محيلاً ابن خالويه إلى من يعرفه:

الخيلُ والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقِرطاس والقلم

قال له ابن خالويه: ويلك وماذا تركت للأمير يا ابن عبدان السقاء معيدًا عليه السؤال: من أنت؟

قال:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمَعَتْ كلماتِي مَنْ به صَمَمُ
أنامُ ملءَ جُفُوني عَنْ شواردها
ويسهرُ الخلقُ جرَّاها ويختصمُ

فما كان من ابن خالويه إلا أن رماه بالدواة فسال دمه فالتفت إلى سيف الدولة منتظرًا منه أن يفعل شيئًا فخاب أمله، فقال بأسلوب

المحب المتفاني في إسعاد من يحب، مخاطبًا سيف الدولة:

إنْ كان سَرَّكُمُ ما قالَ حاسدُنا

فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

وكانت هذه القصيدة هي آخر ما قاله المتنبي في حلب لسيف الدولة الذي أحبه، فخاطبه بأسلوب المحبين العشاق، وانتقلت عدوى هذا الأسلوب إلى أبي فراس، ولهذا نجده يخاطب سيف الدولة قائلاً:

فليتكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ

وليتك ترضى والأنامُ غِضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ

وبيني وبين العالمين خَرابُ

إذا نِلتُ منك الودَّ فالكلُّ هيِّنٌ

وكلُّ الذي فوق التراب تُرابُ

ولم يكن سيف الدولة هو الوحيد الذي خاطبه أبو فراس بهذا الأسلوب فقد كتب إلى أحد أصدقائه معاتبًا":

وإنّي لأنوي هجرَه فيردُّني

هوىً بين أثناء الضلوعِ دفينُ

وقال لصديق آخر:

أضمرتُ حبَّكَ والدموع تذيعه

وطويتُ وَجْدَكَ والهَوَى في نشرِه

مَنْ لي بِردِّ الدَّمعِ قَسْرًا والهوى

يغدو عليه مشمِّرًا في نصره

إنه يخاطبه بمفردات العشاق، فالوجد والهوى والدموع وإضمار الحب كلها مأخوذة من قواميس الغزل؛ وإذا كان هذا الأسلوب قد ظهر في شعر المتنبي بعد اتصاله بسيف الدولة لأنه أحبه فعلا، فإن هذا الأسلوب ظل ملازمًا له عند الممدوحين الآخرين الذين تلوه، فظهر في مدائحه لابن العميد ومدائحه لعضد الدولة:

يقول لابن العميد:

تفضّلَتِ الأيامُ بالجمع بيننا

فلما حَمِدنْا لم تُدِمنا على الحَمْدِ

فَجُدْ لي بقلبٍ إن رحلتُ فإنني

مُخَلِّفُ قلبي عند مَنْ فَضْلُهُ عندي

ويقول لعضد الدولة:

أروحُ وقد ختمت على فؤادي

بحبك أنْ يَحُلَّ بِهِ سواكا

فلو أني استطعت خفضت طرفي

فلم أبصر به حتى أراكا

وقد اختلف النقاد في تعليل هذه الظاهرة، فذهب د. محمد مندور إلى أن المتنبي حين استخدم هذا الأسلوب في مخاطبة سيف الدولة كان مدفوعًا بحبه العميق له، ولكنه حين استخدمه في مخاطبة الممدوحين الذين اتصل بهم بعد سيف الدولة كان دافعه رفع نفسه إلى مرتبتهم (1).

على حين ذهب درويش الجندي إلى أن المتنبي إذا أحب شيئًا استخدم لغة الحب في التعبير عنه، فكما استخدم لغة الحب في الحرب على شاكلة قوله:

أعلى الممالكِ ما يُبنَى على الأسَلِ

والطعنُ عند مُحِبِّيهنَّ كالقُبَلِ

فقد استخدم هذا الأسلوب لمخاطبة سيف الدولة؛ لأنه أحبه فعلاً؛ ويعلل استمرار استخدامه لهذا الأسلوب بعد مغادرته سيف الدولة بأنه قد اعتاده وأحبه(2).

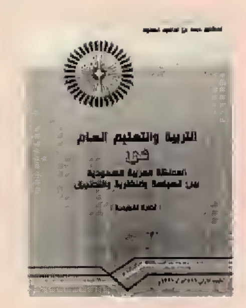
والتفسير عندنا هو رغبة الشاعر في إزاله الفوارق بينه وبين الممدوحين، فهو ليس الشاعر المتكسب المتذلل، بل الشاعر المحب الذي لا ينتظر اللقمة الباردة كما ينتظر غيره، وإنما ينتظر أن يبادله ممدوحه حبًا بحب؛ وقد يعود السبب إلى رغبة المتنبي في التجديد في أساليب المدح وترك بصماته على هذا الفن كما تركها على فنون أخرى مثل الحكمة التي كان شاعرها بلا منافس، والغزل الذي كان له فيه ابتكارات كثيرة على الرغم من انشغاله عن المرأة، وكذلك في الهجاء الذي كان أحد شعرائه البارزين، والذي قوّى الاتجاه إلى الهجاء الساخر (الكاريكاتيري)، فكان لابد أن يترك بصماته على المديح الذي احتل أكثر من ثلثي ديوانه، وقد كان.

الهوامش

1ـ النقد المنهجي عند العرب محمد مندور، ص 86.

2ـ الرمزية في الأدب العربي لدرويش الجندي، ص 216.

العنوان: التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، بين السياسة والنظرية والتطبيق.
المؤلف: د. حمد بن إبراهيم السلّوم.
الناشر: مؤسسة انترناشونال جرافيك، ط1، 1416هـ، 543ص.


غلاف الكتاب

هذا الكتاب دراسة نقدية تقويميّة لسياسة التعليم في المملكة، مؤلّفها معلم ومُربٍّ غيور، سلك فيها منهج النقد الذاتي، فهو لا ينحي باللائمة على أحد، لأنه أحد العاملين في حقل التعليم منذ ثلاثين سنة. ولكنّه يحاول مع غيره تلمُّس الطريق لتقويم العملية التعليمية، بعد أن لمس، بحكم تخصّصه، الآثار غير الحميدة التي قد تترتّب على عدم تلافي النقص ومعالجة القصور في هذه العملية، حتى تؤتي ثمارها المرجوة في التنمية البشرية التي هي غاية كل تنمية.

استهلّ المؤلف كتابه بمناقشة سياسة التعليم في ضوء وثيقة التعليم بالمملكة التي تعدّ إنجازًا مهمًا ساعد على تكوين رؤية واضحة لما يمكن أن يكون عليه التعليم، ولصدورها من منظور استراتيجي حضاري بعيد المدى، مما أهّلها للإجابة عن الاستفسارات التي قد لا يجد المخطط في كثير من الدول النامية إجابة عنها، بل إنها مهّدت الطريق لتنفيذ خمس خطط خمسية تنموية، وإضافة الخطة التنموية الخمسية السادسة المنفذة حاليًا، وأشار المؤلف إلى ضرورة مراجعة هذه السياسة من مرحلة لأخرى؛ وتقويم الإنجازات التي تمت في ضوئها لضمان فاعليّتها وتطوّرها.

وقد صدر المؤلف عن أفكار قيّمة وعرض مستفيض ومناقشة جادة لعناصر المنظومة التربوية: (المتعلم، المعلم، المناهج، الكتاب المدرسي، طرائق التدريس، الإدارة، الإشراف، الاختبارات، النشاط المدرسي، المباني، وغيرها)، وقد أفرد لكل منها بابًا، فجاءت في عشرة فصول؛ لأن هذه العناصر هي لُبّ العملية وقلبُها. وهذه الأفكار وليدة خبرة طويلة وممارسة فعلية في هذا الحقل.

وتابع الكاتب العملية التربوية منذ مرحلة ما قبل المدرسة، وبحث البرامج التربوية والتعليم المهمة، والبرامج الخاصة، والمساندة، وعرض عناصر هذه الموضوعات مستفيدًا من تجارب الأمم الأخرى داعيًا إلى إدخال التقنية الحديثة في مجال التعليم. واستخدم في بحثه الجداول والبيانات والرسوم الموضحة؛ كما دعا إلى التوازن بين المركزية واللامركزية في الإدارة خدمة لغايات التعليم.

وختم بحثه بخلاصة قيّمة أودعها عصارة جهده وثمرات تجربته، فاستخلص بعد الدراسة المتأنية نحوًا من ثمانين فكرة وملاحظة جديرة بالوقوف عندها، وإخضاعها للدراسة من قبل المعنيين والمختصين، منها: (الشكوى المستمرة من نقص كفايات التعليم، وتدني مستوى التحصيل الناتج عن الضعف الواضح في مهارتي القراءة والكتابة، التقدم الكبير الذي حقّقه التعليم منصب على الكمّ دون الكيف - كثافة المعلومات في المقررات الدراسية وتكرارها في مختلف المراحل - عدم ملاءمة محتوى المناهج للبيئات الاجتماعية باختلافها - غياب العنصر النسائي في الإدارات العليا لتعليم البنات وما يسببه من قصور نتيجة البعد الشخصي - التعليم الأهلي قاصر عن تقديم الخدمات المؤملة... إلخ).

والكتاب جهد كبير وإضافة حقيقية للمكتبة العربية، وهو مرجع شامل ونافع لكل مختص أو مهتم. ولا يؤخذ على الباحث سوى بعض الهنات اللّغوية، وتذويبه المصادر والمراجع، فلا يذكر إلا اسم الكاتب، مهملاً اسم الكتاب وصفحة الاقتباس، وهو أمر مهم يرجى تداركه حتى لا يقلل إهمال التوثيق من قيمة الكتاب العلمية.

العنوان: القيَم في المسلسلات التلفازية، دراسة تحليلية وصفية مقارنة لعيّنة من المسلسلات التلفازية العربية.
المؤلف: مساعد بن عبدالله المحيّا.
الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1414هـ، 324ص.

غلاف الكتاب

هذا الكتاب بحث أكاديمي لنيل درجة الماجستير في الإعلام. وهو بحث وصفي مقارن يقوم على الدراسة المسحيّة، مستخدمًا أسلوب تحليل المضمون إلى النتائج المتعلقة بالقيم والأخلاق في أربعة أعمال تلفازية عربية (مسلسلات).

قدّم للكتاب الدكتور عبدالقادر طاش، مؤكّدًا تأثير التلفاز إيجابًا وسلبًا في حياة الناس، مُثنيًا على الجهد المُضني الذي بذله الباحث، ومشيرًا إلى أن النتائج التي خلصت إليها الدراسة وقوّمتها في ضوء المنظور الإسلامي، لها أهميتها العلمية البالغة على الرغم من صغر حجم العيّنة التي اعتمد عليها الباحث. ورأى أيضًا أن هذه الدراسة قدمت إشارات ذات دلالات يمكن الانطلاق منها لدراسات أخرى تعالج أبعادًا مكملة لما وصلت إليه هذه الدراسة.

وقع البـــحث في بابين: الأول نظري، والثاني تطبيقي. واحتوى الباب تعريفات ومفاهيم تتيح للقارئ الدخول إلى لُبّ الكتاب وموضوعه بخلفية معرفية جيّدة.

وقد وصل الباحث إلى نتائج ذات خطر كبير، أهمّها أن هذه المسلسلات تركّز على عرض الموضوعات ذات الأثر السلبي أكثر من تركيزها على الجوانب الإيجابية، ولاشك أن هذا له انعكاساته السلبية على حياة الناس قليلاً أو كثيرًا. ويتمثل بعض ذلك في الآتي:

- حرص مسلسلات العيّنة على إظهار المرأة في أغلب مشاهدها، وهي تهتم بالمرأة في سنّ مخصوصة (14-30 سنة) وهي سنّ الإغراء من ناحية، وسن التأثير في الأجيال من ناحية أخرى.

- وجود مشاهد كثيرة لعلاقات غير شرعية كالخلوة والاختلاط والمحادثات عبر الهاتف وما يتبع ذلك من أمور بين النساء والرجال الأجانب.

- حرصت مسلسلات العيّنة على إظهار المرأة بالملابس التي تفتن الرجال، تستوي في ذلك ملابس العمل التي تبدي المفاتن كالوجه والصدر والساقين، أو ملابس النوم التي تصف كل ما تحتها.

- تضمنت هذه الأعمال حربًا سافرة على أوضاع المرأة المسلمة، فقد أفقدتها الثقة في زوجها، ومن حوله، وحوّلتها جسدًا للمتعة، وأعطتها حق الخروج والدخول بلا مراجعة، وأوحت لها بأن الزواج منها لابد أن يسبقه حبّ عاطفي، وأن تعدد الزوجات فاشل... إلخ.

- ضخّمت الشخصيات ذات السلوك المنحرف وأظهرتها بمظهر الشخصيات الاجتماعية المؤثرة.

وغلّبت الدوافع الاقتصادية والمادية على الدوافع الدينية والعلمية والثقافية، إلى غير ذلك من السلبيّات العديدة التي كشفت عنها الدراسة.

وختم الباحث كتابه برؤية مستقبلية وتوصيات لما ينبغي أن تكون عليه مثل هذه الأعمال في بيئة عربية مسلمة.

والكتاب جهد طيّب اعتذر مؤلفه في أوّله من بعض جوانب القصور التي اعتورته، وهذا من طبائع الأمور، ويكفي أنه لبنة صالحة يمكن أن تؤسس عليها دراسات أوسع وأشمل. ويؤخذ عليه فقط خلو مقدمته من الإشارة إلى أبواب الكتاب وفصوله ومحتوياته، وأنه اعتمد على بعض المراجع الثانوية، ولم يسلم من بعض الأخطاء في اللغة والأسلوب.

العنوان: الإدارة المحلية في المملكة العربية السعودية: المفاهيم، الأسس، التطبيقات.
المؤلف: د. هاني يوسف خاشقجي.
الناشر: مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1415هـ، 218ص.



غلاف الكتاب

هذا الكتاب تناول الإدارة المحلية في المملكة العربية السعودية في إطارها النظري والتطبيقي والمقارن. وقد خصّ المؤلف كل إطار بباب من أبواب الكتاب الثلاثة، فتناول في الباب الأول المركزية واللامركزية، وعدّد محاسن كل نوع، ثم بيّن سلبياته. وركّز على جدوى اللامركزية في الحكم ومردودها الإيجابي على المجتمع، وذكر المعوّقات التي تحول دون التوسّع فيها، ومن أهمها نقص الطاقات البشرية المؤهلة لتولّي المهام الإدارية والفنية. كذلك فرّق بين الإدارة المحلية والحكم المحلّي، ثم ساق أهداف الإدارة المحلية وناقش دورها في تنمية السياسة والاقتصاد والاجتماع والإدارة. وناقش في الفصل الثالث المجالس المحلية من حيث أساليب تشكيلها ونظام عضويتها واختصاصاتها وتمويلها وعلاقتها بالحكومة المركزية.

أما الباب الثاني - وهو أكبر أبواب الكتاب - فقد خصّصه المؤلف للجانب التطبيقي للإدارة المحلية محلّلاً تأثير العوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية والسكانية (الديموغرافية) فيها. وعرض في الفصل الثاني للتطورات التشريعية المحلية من لدن نظام الأمراء لعام 1359هـ حتى وصل إلى نظام المناطق لعام 1412هـ، فأفرد له فصلاً خاصًا ناقش فيه تشكيل الهيئات والمجالس المحلية من حيث العضوية، والمسوّغات الفقهية لنظام التعيين الذي يراه مناسبًا في ظل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمملكة. وناقش أيضًا اختصاصات هذه المجالس وسير العمل فيها، وأسلوب الرقابة المركزية عليها. ثم تناول في بقية فصول هذا الباب تفاصيل العلاقة بين الأجهزة المركزية والهيئات المحلية، وبنائها التنظيمي مستعينًا في ذلك بالجداول والبيانات المفصّلة. وختم هذا الباب بمناقشة التخطيط بأنواعه المختلفة وصلته بالتخطيط القومي.

وجاء الباب الثالث مقارنة لنماذج مختارة من نظم الإدارة المحلية في بعض بلدان العالم، اختارها المؤلف من إفريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا.

والكتاب، عمومًا، دراسة أكاديمية موثقة أراد مؤلّفها أن تجمع بين الشمول وأن تعرض الإدارة المحلية بإيجابياتها وسلبياتها، وتناقش المعوقات وأساليب معالجتها، وما يمكن أن يلحق هذا النظام من تطوير وتحديث يحقق درجة عالية من الكفاءة تدفع عجلة التنمية البشرية والاقتصادية في المملكة.

هذا وقد وعد المؤلف في المقدمة بتقديم طبعة لاحقة أكثر تكاملاً؛ ونحن بدورنا نرجو ذلك ونتوقع أن يكون في طليعة اهتمامه أمران: الأول توفية الجانب المقارن حقّه، فقد خلا الباب الثالث من التحليل والمناقشة والمقارنة التي تبرز ما لنظام الحكم المحلي في المملكة وما عليه موازنًا بأنظمة الحكم في البلدان التي اختارها المؤلف. والأمر الثاني عرض الكتاب على صاحب اختصاص في اللغة لتنقيته من الأخطاء اللغوية والأسلوبية التي لا تليق بكتاب يمكن أن يرجع إليه أبناؤنا من طلاب الإدارة في الجامعات وغيرهم.



رئيس اتحاد كتاب الإمارات
عبد الحميد أحمد

بداياتي القصصية جاءت بمحض المصادفة

حاوره في تجربته: **محمد بن علي القعطبي**

يمثل فن القصة القصيرة واحداً من الفنون الأدبية التي ازدهرت في أدبنا العربي في هذا العصر بالذات، ويعد الأديب الإماراتي عبد الحميد أحمد رئيس اتحاد كتاب الإمارات أحد الذين خاضوا مجال كتابة القصة القصيرة، وفي هذا اللقاء يحكي تجربته مع هذا الجنس الأدبي الآخذ في الازدهار على امتداد وطننا العربي.

كيف كانت بدايات اهتمامكم بالقصة القصيرة؟

بداياتي القصصية كانت عفوية وربما جاءت أيضا بمحض المصادفة، وقد كان اهتمامي قبل ذلك بكتابة المقالة الأدبية والاجتماعية من خلال المشاركة في جماعة الصحافة في المدرسة الثانوية العامة، وقد كان هذا في بداية السبعينيات، إلى أن طلب منا مدرس اللغة العربية كتابة موضوع في الإنشاء على أن يكون ذلك الموضوع قصة، فكتبت الموضوع وأشاد المدرس بالقصة، فلفت انتباهي إلى أنه بإمكاني أن أقوم بكتابة القصة، فبما أنّ هذا النوع من الكتابة لفت انتباه مدرس الإنشاء فلا مانع أن أجرّب كتابة القصة، فبدأت بقصة قصيرة وأرسلتها إلى مجلة أخبار دبي، وكانت المجلة الأسبوعية الوحيدة في ذلك الوقت، لم تنشر تلك القصة في الحقيقة، لكنّي واصلت الكتابة إلى أن جاء أحد الأصدقاء إليّ في يوم من الأيام وأخبرني أن هناك قصة منشورة لي في أخبار دبي، فذهبت إلى إدارة المجلة وقدّمت نفسي على أني أنا صاحب القصة، ثمّ بدأت بعد ذلك أهتمّ بكتابة القصة وبقراءة القصة القصيرة.

ـ ماعنوان تلك القصة؟

اسمها نهاية العذاب.

ـ وفي أي تاريخ تمّ نشرها؟

في عام ١٩٧٢ لكن لا أذكر في أيّ شهر.

ومن هنا بدأ اهتمامي ليس بكتابة القصة فقط، وإنّما بقراءة القصة ومتابعة الكتّاب أيضا بشكل أعمق مما كان سابقا. بعد ذلك واصلت الكتابة في القصة إلى جانب المقالة الأدبية إلى عام ١٩٨٢ حيث صدرت لي المجموعة القصصية الأولى بعنوان "سباحة في عيني خليج يتوحش" كانت هذه المجموعة الأولى تلتها المجموعة الثانية "البيداء" ثم المجموعة الثالثة "على حافة النهار" وأنا في الحقيقة مقلّ بسبب ظروف العمل ومشاغله، وإلى جانب ذلك فأنا أكتب المقالة الثقافية والاجتماعية بشكل يومي، إضافة إلى زاوية يومية في الجريدة التي أعمل فيها.

ـ ما الذي دفعكم إلى مواصلة الاهتمام بالقصة بالذات؟

القصة في النهاية ـ ونحن لابد أن ندافع عن القصة مثلما يدافع الشعراء عن القصيدة ويدافع الروائيون عن الرواية ـ القصة فنّ أدبي وجنس أدبي قائم بذاته، والقصة تحقق في رأيي الشخصي انسجام أشكال أدبية في شكل أدبي واحد، فالقصة القصيرة بإمكانك أن تستخدم فيها التكثيف والإيحاء والتركيز والدلالة التي هي من مواصفات الشعر، وبإمكانك استخدام الأزمنة المتنوعة ولو في مساحة زمنية ضيقة، وتستخدم كذلك تنوع الشخصيات الذي هو من صفات الرواية، وبإمكانك أن تستخدم الحوار الذي هو من صفات المسرح، وبإمكانك أن تستخدم المشهد وتعطيه صفات لونية وهذا من

صفات الخيالة (السينما) أو المسرح، فالقصة فنّ شديد الخصوصية ويجمع كلّ هذه الصفات، ويبقى من الفنون التي تحتاج إلى مهارة كبيرة في الكتابة، وهو فن ممتع.

- ما الروافد التي ترون أنّها ساهمت في تشكيل خلفيّتكم الأولى عن القصة؟

في البداية من خلال القراءات المدرسية، وقد قرأنا في المدرسة من المراحل قبل الثانوية قصصا أمثال عنترة بن شداد أبي الفوارس، أو قصصا أنجليزية مثل مارك توين في قصة توم سوير، ولشارل دكنز وغيرهم، قرأنا في المراحل الدراسية قصصا وشعرا وغير ذلك، لكن الاهتمام الحقيقي لي أنا كان بعد كتابة أول قصة ونشرها، من باب أنّ هناك خامة موجودة لدي، وهذا لم أشعر به إلا بالمصادفة وشعرت حينها أنه يجب أن أهتمّ بهذه الخامة، وبدأت أهتمّ أكثر بالتعمق في قراءة القصة القصيرة وبلا شك قبل ذلك قرأنا من القصص كل ماكان يقع في أيدينا.

بعد ذلك بدأنا نتعرف من خلال النقد أنواع القصة القصيرة، وأساليب كتابتها، والفرق بين القصة ذات النمط التقليدي، والأشياء الجديدة التي طرأت في عالم القصة من حيث السرد والصياغة والفن (التكنيك) القصصي، هذا تعرفناه لاحقا من خلال الكتابات النقدية، وقد كنّا في السبعينيات وفي بداية قيام دولة الإمارات العربية المتحدة نعاني من شحّ في المصادر عدا بعض المصادر العربية التي فتحت أذهاننا على كتاب قصة عرب من أمثال محمود تيمور ويحيى حقي ونجيب محفوظ وآخرين، لكن بعد قيام الدولة واتساع حركة التبادل الثقافي بين الدولة والدول الأخرى ونشاط حركة الترجمة اتسعت مداركنا أكثر وانفتحنا على القصص العالمية.

- ومن هم القصاص الذين نالوا إعجابكم في البداية؟

لايستطيع الإنسان أن يحدد قاصا بعينه، لأني إذا حددت - مثلا - موباسان فإنّ له قصصا تعجبني وأخرى لاتعجبني، هناك قصة تعجبك لنجيب محفوظ وقصة أخرى قد لاتعجبك له، وهذا مثل الفنّ التشكيلي لا يمكن أن أقول لك إن كل لوحات بابلو بيكاسو تعجبني، هناك أعمال لكتاب غير مشهورين - لم ينالوا شهرة كتاب آخرين - ولهم أعمال وكتابات جيدة، مثلا كاتب روائي عربي يكتب قصة قصيرة مثل حيدر حيدر ربما لم ينل شهرة آخرين لكنْ لديه قصص متميزة، وأنا شخصيا تعجبني، فالعملية نسبية. وفي البداية قصص محمود تيمور كانت تعجبني.

- هل تعتقدون أنّ هذه القراءات - بصورة أو بأخرى - ساهمت في تشكيل كتاباتكم القصصية الأولى؟

الكاتب نفسه لايعرف، فهذا دور النقاد لأنّهم هم الذين يستطيعون تحديد مساهمتها في قصصي، لكن أنا استفدت من التقنية واستخدام الحوار كيف يكون.

- "السباحة في عيني خليج يتوحش" وصفت بأنّها مجموعة تميل إلى الحزن، وقيل وقتها: إن الحزن قاسم مشترك لهذه المجموعة، فما رأي الكاتب نفسه؟

إذا قيل هذا الكلام فلعله صحيح، والحزن في النهاية أو الفرح كلاهما حياة، والحياة تقوم على عناصر من هذا النوع فلابد أن تظهر قصص يطغى فيها جانب، لكن وصف المجموعة بأنّها تقوم على الحزن لا أعتقد أنّه صحيح، لكن يمكن أن يقال إنّ فيها انكسارًا، والانكسار، سواء كان مقصودا أو عفويا، هو تعبير عن حالة مجتمعية أو عامة، وفي النهاية لايوجد أدب منبت من أرضه، لابد أنّ يعبر عن واقعه.

- لِمَ هذا العنوان "سباحة في عيني خليج يتوحش"؟

مشكلة العناوين أيضا مشكلة أخرى. أحيانا تضع عنوانا لقصة وأحيانا يشترك معك آخرون في وضع هذا العنوان؛ هذه القصة بالذات أول مانشرت في مجلة الأزمنة العربية السابقة، وكان لإدارة تحرير المجلة دور في وضع هذا العنوان، فأبقيت العنوان واخترته للمجموعة، لأنّ له دلالته. وقد نشرت القصة عام ١٩٧٩م، ونشرت المجموعة عام ١٩٨٢م. وكانت له دلالته من حيث إن هذا الخليج مقدم على حالة توحش، وهذا ماحدث فعلا بعد أن خاضت منطقتنا الحروب وأصبحت المنطقة تغلي ابتداء من الحرب العراقية الإيرانية ثم غزو الكويت ومانتج عنه.

- في دراسة قدمت لندوة من الندوات ذكرتم أنّ القصة في الإمارات بدأت عام ١٩٧١م وكان ذلك على يد شخص اسمه مظفر حاج مظفر، فأين القصة الإماراتية قبل هذا التاريخ؟

هذا أولا اجتهاد شخصي، وأنا عاصرت الحياة الثقافية في الإمارات مبكرا من مرحلة الدراسة، وقبل المرحلة الثانوية كنت عضوا في إحدى اللجان الثقافية بناد رياضي، وكانت الأندية الرياضية هي المهتمة بالجانب الثقافي، فنتيجة اهتمامي الثقافي المبكر كتبت هذه الدراسة، وهي اجتهاد شخصي من ناحية، وغير موثّقة من ناحية أخرى، غير أنّي من خلال المعايشة أعرف من بدأ أولا ومن نشر القصة قبل غيره، وقد ذكرت أن عبدالله صقر أحمد هو الذي بدأ كتابة القصة وآخرين، ثمّ جاء الجيل التالي وهو الذي كان فيه مظفر الحاج، وبداياتي كانت مع مظفر الحاج تحديدا في الفترة نفسها، أو

البحر جزء من تراثنا وجزء من تركيبتنا العاطفية والنفسية والعقلية والعضوية

بداياتي القصصية جاءت بمحض المصادفة

بعده بقليل، وهو على كل اجتهاد شخصي كتبته من الذاكرة، والأمر بحاجة إلى دراسات أعمق تذهب إلى تقصي الحقائق من الوثائق وليس من الذاكرة كما صنعت، وأنا أعتقد أن الدراسة التي وضعتها برغم كل ذلك أصبحت مصدرا لكثير من الدراسات اللاحقة التي يمكن أن تبني عليها وتتعمق أكثر، أنا لا أدعي أنّي دارس لكنّي قدمت اجتهادا.

لماذا تأخرت نشأة القصة في الإمارات؟

أمر طبيعي أنّ القصة موجودة في كلّ مجتمع، ولا أستطيع أن أقول: إنّ مجتمعا يخلو من القصة، فالقصة موجودة، لكننا نتحدث عن القصة بشكلها الحديث المكتوب والمنشور والتي تتحدث عن قضية اجتماعية وتحوي بطلا يمثّل عصره، أما القصة كقصة فهي موجودة، وكلّ الحكايات الشعبية المتداولة في المجالس أو القصة التي تحكيها الجدة أو الأم لأبنائها شكل من أشكال القصة، وهي موجودة في كل مجتمع وموجودة في مجتمعنا في الإمارات، وهناك قصص كثيرة من هذا النوع موجودة ومنها مايمتد إلى عمق التراث العربي، وفي مجالسنا ونحن أطفال يتحدث آباؤنا وأجدادنا عن قصص الهلاليين أو عنترة وقصص الجان والخرافات الأخرى هذه الأشكال قصص مادام هناك من يجلس ويحكي ويسرد عن فلان من الناس حدث له كذا وذهب إلى كذا وقيل له كذا فهي قصة ولو كانت تختلف عن مواصفاتنا الحديثة، ولذلك القصة الشفهية التي تُحكى وتنقل في أي مجتمع ومنه المجتمع الإماراتي موجودة، لكن إذا تحدثنا عن القصة بشكلها الحديث فقد تأخّرت، وهي عملية مرتبطة بانتشار التعليم والثقافة والوعي والاتصال الخارجي وعوامل أخرى.

ـ ذكرتم أنّ القصة انطلقت عام ١٩٧٩م، لمَ هذا التاريخ؟

ذكرت أنا فعلا أنّ هذا العام هو انطلاق القصة القصيرة في الإمارات، والسبب فيما أعتقد يعود إلى أنّ الطلبة الذين بدؤوا الكتابة كانوا في الخارج للدراسة فعادوا، وفي هذا التاريخ كان في دولة الإمارات نهضة وحركة ثقافية قوية أكثر من ذي قبل في المجالات المختلفة أثّرت في إنشاء المؤسسات الثقافية مثل النادي الثقافي الاجتماعي ـ الذي توقف الآن ـ ثم اتحاد الكتّاب ثمّ جمعيات أخرى، فهذا العام كان بداية حركة ثقافية وإعلامية مختلفة، وهي ثمرة لمنجزات السبعينيات للدولة كلها. ثمرة لعشر سنين من بناء المرافق التعليمية وإنشاء التعليم الجامعي؛ فأنا أعتقد أن هذه الفترة كانت فترة ظهور الثمرة والانطلاقة، وصادف أيضا تعدد المنابر الثقافية والإعلامية فنشأت مجلة الأزمنة العربية ثمّ جريدة الخليج ثمّ جريدة البيان، فاستفادت القصة والشعر الحديث وجميع الأشكال الأدبية من ذلك.

ـ ما الموضوعات التي حظيت باهتمامكم في القصة؟

الهاجس الذي يشغلني هو هاجس التغير، وأبطالي وموضوعاتي من هذا الهاجس "التغيّر"، والتغير السريع الذي جرى في مجتمع الإمارات، وحجم تأثير هذا التغيّر في أنماط السلوك وأنماط التفكير وأنماط العادات والأنماط البشرية؛ هذا الهاجس موجود في كلّ المجموعات بنسبة أو بأخرى.

ـ يقال إنّ موضوع النفط من الموضوعات التي لها وجود ظاهر في أدب الإمارات.

النفط موجود في قصصي، ففي قصة الطائر ـ على سبيل المثال ـ موجود هذا الهاجس.

ـ وموضوع البحر.

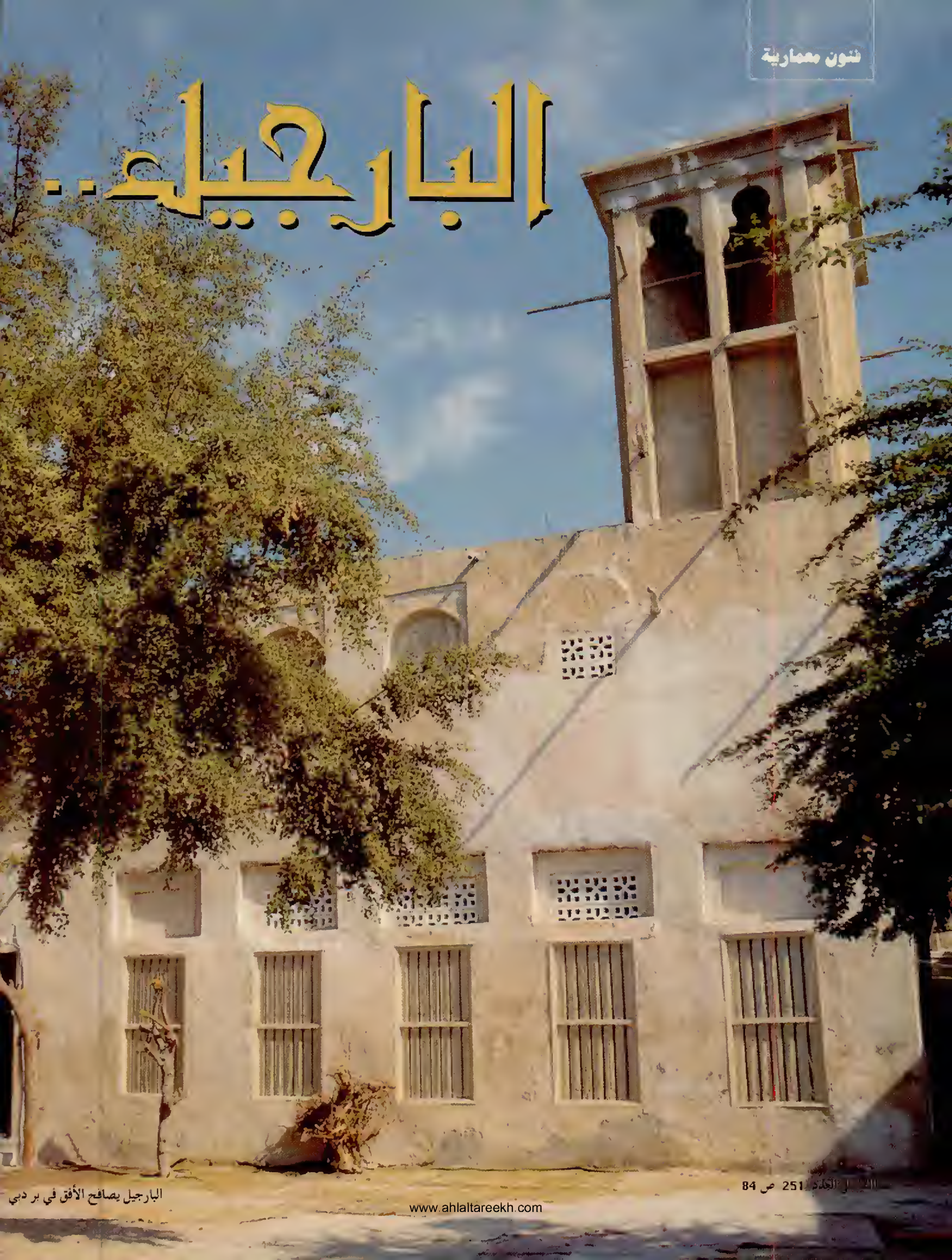
البحر طبيعي لأنّ البيئة بحرية. وبيئتنا هي إما بادية أو بحر وأعتقد أنّ أبناء البحر أكثر حظا لأنّهم أكثر اتصالا بالعالم الخارجي، والتعليم ينتشر بينهم أكثر من أبناء البادية، وهذا في كلّ مكان، وبيئتنا منقسمة بين البحر والبادية وعلى الأخص النخيل، والبحر جزء من تراثنا وجزء من ذاكرتنا وجزء من تركيبتنا العاطفية والنفسية والعقلية وحتى جزء من تركيبتنا العضوية، ولذلك فشيء طبيعي أن ينعكس موضوع البحر بشكل كبير جدا في أدبنا.

ـ هل هناك تواصل بين القصة في الإمارات والخليج أم إن القصة في الإمارات لها خصوصية وتميّز عن مثيلاتها في دول الخليج؟

التميز نعني به التميز الفني وهو تميّز نسبي، قد تجد عشرين قصة في الإمارات أو في السعودية بينها قصتان أو ثلاث متميزة، والتميز خاص بالجوانب الفنية، أما الموضوعات والانشغالات والهموم فالقصة في الإمارات والقصة في الخليج والقصة العربية كلها همومها واحدة، يبقى الهمّ المحلي مثلا عندنا الهمّ المحلي في قرية خور فكار يتشابه في لحظة ما مع الهمّ المحلي في قرية في السودان وفي النهاية هناك وجع واحد، وتظل هناك خصوصيات في كلّ قرية، وتعود هذه الخصوصيات إلى طبيعة العادات، قصصنا إطارها عربي وكذلك قصص الخليج وهذا موجود في القصص في كلّ العالم.

يشغلني هاجس التغير السريع في مجتمع الإمارات، وتأثيرات هذا التغير في التفكير والسلوك والعادات

البارجيل..



البارجيل يصافح الأفق في بر دبي

ملمح فني يعكس تميز العمارة الخليجية

كامل يوسف حسين



بيت الشيخ سعيد آل مكتوم كما يبدو من الخور حيث تظهر البراجيل بوضوح

البارجيل لفظة دخلت اللغة العربية على جناحي كلمتين فارسيتين، هما «باد» أي هواء، و«كَير» بمعنى الأخذ والجلب، وقد وردت هذه اللفظة في «شفاء الغليل» حيث نقرأ «بادكَير هو المنفذ الذي يجيء منه الريح». والمراد بالبارجيل برج التهوية الشائع في الدور الخليجية التقليدية. ويصنع إما من الآجر، أو الطين، أو الصاروج، والأخيرة مادة بناء لا تقل في قوتها عن الإسمنت. ويبنى تقليديًا فوق الدار، وله أربعة جوانب مجوفة تؤدي فتحاتها السفلى إلى الدار، حيث يستقبل الهواء من جميع الجهات، فيصطدم بجداره الداخلي، وينحدر إلى المنزل، فيُشيع هواؤه البرودة داخل الدار. وقد يصنع من سعف النخيل والخوص وصفائح الزنك، ذلك في الأعشاش والبيوت القديمة.



تأثيرات البيئة تترك بصمتها على البراجيل في منطقة الراس بدبي

وإذا كان المعماري العربي ذو الشهرة العالمية، المهندس حسن فتحي، قد بادر إلى تعريف العمارة في أبسط معانيها وأكثرها وضوحًا بأنها: «احتياز الفضاء»، فإن البارجيل يقف دليلاً إضافيًا على أن العمارة الإسلامية الخليجية هي في جوهرها، احتياز عبقري للفضاء، يعكس الجوانب الإنسانية، وتجاوب الإنسان مع ما حوله من عناصر البيئة، باقتدار، وعلى نحو إيجابي فريد.

وغنيّ عن البيان أن العمارة الإسلامية هي وليدة التفاعل الصادق بين الإنسان المسلم بقيمه الروحية والضوابط الاجتماعية لحياته، النابعة من الشريعة الإسلامية، والبيئة من حوله، بعناصرها المناخية والمكانية والحضارية بمعناها الواسع.

وفي إطار هذا التفاعل، فإن المدن الإسلامية تتميز بانفتاح دورها على الداخل، وليس على الخارج، ومن هنا فمعظم هذه المدن تتميز دُورُها بالجدران السامقة المنغلقة على الخارج إلا في أضيق الحدود وفي ضوء الضرورات القصوى، بينما تتصف الأزقّة الفاصلة بين هذه الدُور بالضيق، وهو ما يوفر الظل والجو اللطيف في أوقات النهار، ويؤدي على نحو طبيعي إلى إعاقة الدُور الطبيعية للرياح والحد من حركتها، حيث النسيم البارد يتجه إلى الأعلى ويمر فوق أسطح المنازل.

وتشير الدراسات إلى أنه منذ العصر العباسي توصلت العبقرية المعمارية الإسلامية إلى حل معماري يكفل التسبب في تغيير اتجاه حركة الرياح على أسطح المنازل، بحيث تجعل الهواء ينحرف إلى الأسفل، وتمثل هذا الحل في الأبراج وملاقف الهواء التي تعرف في الخليج بالبراجيل، وهي لاتزال - حتى اليوم - ملء العيون في العديد من مناطق الخليج، وخاصة في حي البستكية والراسب في دبي،

البارجيل..
ملمح فني يعكس تميز العمارة الخليجية

البراجيل تواصل تشكيلها لجزء من خط الأفق في دبي



الأزقة الضيقة والبراجيل في ديره بدبي على الطريق للعمارة الحديثة كلية؟

وحي الشويهين في الشارقة.

ومن أنواع المساكن الخليجية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مساكن مبنية من الفروش (الحجر الجيري)، وهي منازل كبيرة من دور أو دورين، وشاع هذا النوع في المدن الساحلية، وهناك مساكن من دور واحد بنيت من الطين، وهي في القرى غالبًا، أما العريش فمسكن مكون من غرفة واحدة، وكانت تبنى من السعف أو جريد النخيل، وهي في مدن السواحل أو القرى، أما الخيمة وهي مساكن البدو في الصحراء فمن نسيج التيل أو وبر الجمال.

ويبدو توظيف المواد الخام المحلية سمة من سمات العمارة الخليجية، فقد كانت تعتمد هذه العمارة على البوص وأخشاب النخيل وليفها والحصر والطين والحصى، والحجر الجيري.

وتميزت العمارة الخليجية عمومًا باتساع الفناء، وكثرة الشرفات، واتساع الحجرات، وكثرة الوحدات الزخرفية، والاعتناء بالمظهر الخارجي للمنزل، والاهتمام بزخرفة النوافذ والأبواب الداخلية.

ولكن ما هو البارجيل بالضبط؟ وما قيمته المعمارية؟ وما جدواه العملية؟ وهل هو شيء ينتمي إلى الماضي كلية أم إنه كالفضاء ينهض من الماضي ليحلق عاليًا باتجاه المستقبل.؟

دعنا نتذكر، ابتداء، وقبل التصدي لأي علامة من علامات الاستفهام هذه، أن منطقة الخليج تقع بين دائرتي عرض 48 و 55 شمالاً، وهو ما يعني اندراجها ضمن الإقليم الحار الجاف، حيث درجات الحرارة المرتفعة التي تصل في الصيف إلى ما يتراوح بين 40و 45 درجة مئوية، ومن هنا تأتي أهمية البراجيل لضمان انسياب الهواء البارد من أعلى الدور إلى أسفلها.

ومن حيث الشكل، فهناك

البارجيل..
ملمح فني يعكس تميز العمارة الخليجية

ثلاثة أنواع من البراجيل: متوازي المستطيلات أو المكعب، والأسطواني، والحائطي، أي الذي ينفذ على شكل حائط مرتفع عن سطح المبنى.

والبارجيل، الذي بدأ في الظهور في جنوبي منطقة الخليج في بداية القرن الحالي، يرتفع سقفه عن الأرض عادة خمسة عشر متراً إذا كان المنزل مؤلفًا من طابقين، وإذا كان مؤلفًا من طابق واحد، فإنه يرتفع ثماني أمتار، وقاعدته ترتفع عن أرضية الغرفة مترين، كحد أقصى، ولا تزيد أطوال أضلاعه عن 7×7 أقدام.

والبارجيل يسمح بجلب الهواء، حيث إن كثافة الهواء البارد عالية، وهو يهبط للأسفل من خلال الفتحات الموجودة في البارجيل، في حين يرتفع الهواء الساخن من الفتحة المقابلة، وهكذا فإنه يعمل على إيجاد تيار هوائي مستمر في أسفل الدار.

وبالنسبة للمناطق الجافة في الداخل، بعيداً عن ساحل الخليج، كانت أحواض الماء توضع تحت البارجيل حتى ينزل الهواء للأسفل، ويتشبع بالرطوبة.

ولكن كيف يتم إنشاء البارجيل على وجه الدقة؟

تعد عملية بناء البارجيل الجزء الأخير من عملية بناء المنزل، وتبدأ عملية بنائه من فوق فتحة في الغرفة بوضع قطع من الخشب على شكل حرف X وهو ما يعد التقسيمات الأساسية للبارجيل، ثم توضع الأحجار التي تسمى بالسلافة، وميزتها أنها أحجار مرجانية عازلة للحرارة، وبسمك ثلاث بوصات بعضها فوق بعض، مع دعم هذه الحوائط كل متر ونصف المتر بأخشاب أفقية، وبعد ارتفاع البارجيل بمقدار مترين عن قاعدته، يتم وضع أسياخ، لمنع دخول اللصوص أو الطيور من الفتحات. ويشطب البارجيل بالجبس أو الكلس، وأخيراً يوضع السقف الذي يعمل على تماسك البارجيل فضلاً عن منع نزول المطر بشكل مباشر إلى الغرفة، ويتم تنفيذ النقوش والزخارف، التي تنم عن غنى أصحاب الدار وثرائهم.

والملاحظة المهمة هنا هي أن بيوت البارجيل على نحو ما تبدو لنا اليوم في جنوبي شبه الجزيرة العربية ليست إلا دوراً كبيرة، تتألف غالبًا من طابقين متماثلين، الدور السفلي يستخدم في فصل الشتاء البارد، والدور العلوي يستخدم في فصل الصيف الحار الرطب.

ويلاحظ أيضا أن كل طابق تم تصميمه بأسلوب يستجيب للظروف المناخية، فضلاً عن الضرورات العملية، فبينما غرف



الشباب... هل يتمسكون بالعمارة الخليجية التقليدية كالآباء والأجداد؟

البارجيل..

ملمح فني يعكس تميز العمارة الخليجية

الطابق السفلي تخلو من الفتحات الخارجية للتقليل من التيار الهوائي زودت أغلب المساحات في الطابق العلوي بالفتحات من جميع الجوانب لإيجاد التيار الهوائي اللازم لتلطيف الجو، ومن العناصر الرئيسية في الدور العلوي، إلى جوار البراجيل، هناك سحابات الهواء والأروقة والمشربيات.

ويلفت المهندس فؤاد بوخش، رئيس اللجنة المعمارية لجمعية المهندسين في دولة الإمارات، الأنظار إلى خطورة تعرض بيوت البراجيل للإهمال، حيث غدت ضعيفة بسبب الإجهاد الحراري، والأمطار، وهجمات الحشرات، ويطالب بإضافة المزيد إلى العدد الذي تمت صيانته بالفعل من هذه البيوت، وأجريت له عمليات ترميم واسعة، على الرغم من النفقات الباهظة لمثل هذه العمليات.

هنا يبرز سؤال منطقي: هل البراجيل شيء ينتمي للماضي وحده أم إن لها مكانها في المستقبل في منطقة الخليج؟

يوضح فرحان فريدوني من قسم التخطيط ببلدية دبيّ، في معرض الرد على هذا السؤال، حقيقة على جانب كبير من الأهمية، حيث يشير إلى أبحاث أجريت في جامعة أريزونا بالولايات المتحدة في العام 1985م على البارجيل وإمكانية الاستفادة منه مع توظيف التقنية المتطورة، وفي إطار هذه الأبحاث تمت الاستعانة بفكرة عمل البارجيل التقليدي مع إضافة مضخة لترطيب الوسادة الموضوعة أفقيا على الجهات الأربع وبسمك أربع بوصات، وقد وجد الباحثون أن هناك اختلافًا في درجات الحرارة بين الجو الخارجي والداخلي يصل إلى 10 درجات مئوية على الأقل في أشد فصول السنة حرارة ورطوبة.

وقد استخدمت أبراج الهواء المطورة في المخطط المعماري الشامل لمحطات الحافلات (الباصات) في أريزونا، وفي جامعة أم القرى في السعودية. وهي يمكن أن تستخدم بشكل عملي في المطاعم والمنازل والمدارس ومحطات (الباصات) والأسواق والملاعب.

ولكن إلى أيّ حد يمكن أن يوصف استخدام البراجيل، وخاصة إذا نفذت بمواد البناء التقليدية، بأنه أمر عملي وقابل للتطبيق الفعلي بسهولة ودون عقبات مادية تذكر؟

يشير المهندس والشاعر د. شهاب غانم، لدى تصدّيه للرد على هذا السؤال، إلى أن الاستخدام الأمثل لمواد العمارة التقليدية وأساليبها ربما كان في الأعمال المعمارية الصرحية والعامة، ذلك أن اعتماد أساليب العمارة التقليدية وموادها، وهو اتجاه صحي ومطلوب تمامًا لاعتبارات بيئية وعملية وجمالية عديدة، قد يكون أمرًا باهظ النفقات على نحو لا يستطيع الكثير من الأفراد احتماله.

ومن المؤكد أن الوعي بأهمية بيوت البراجيل بوصفها جزءًا من العناصر المعمارية المميزة في جنوبي الخليج كان وراء العديد من المشروعات الرائدة، كالتي نفذتها الشارقة بالفعل في حيّ الشويهين، والتي وضعت بلدية دبيّ خطة متكاملة لتنفيذها في حي البستكية، حفاظًا على هذا الجانب الرائع من تجليات العبقرية المعمارية الخليجية.



بيوت البراجيل بعد الترميم في حي البستاكية بدبي

المراجع والمصادر

1- جولات ميدانية للكاتب، في حي البستكية بدبيّ، وحي الشويهين بالشارقة، ولقاءات مع عدد من المعنيين بالعمارة الخليجية.

2- حنظل، فالح - معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة - وزارة الإعلام - أبو ظبي - د.ت.

3- فريد ويني، فرحان - البراجيل في العمارة المحلية بدولة الإمارات العربية المتحدة - ورقة عمل منشورة.

4- BUKHASH, FUAD M. THE WIND TOWER HOUSES OF DUBAI IN: WORLD OF ENGINEERING - ISSUE NO. 26 NOV.1996. ABU DHABI.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

الإنصاف
في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين

يعد كتاب «الإنصاف» هذا من أبرز كتب الإمام كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري النحوي الفقيه الأصولي اللغوي (513 - 577 هـ) كما يعدّ من أفضل الكتب التي نحت هذا المنحى. وحاول أصحابها أن يجمعوا - ما أمكن - المسائل التي اختلف فيها نحاة البصرة والكوفة.

مؤلف الكتاب من أكبر العلماء في القرن السادس الهجري، وقد درّس في المدرسة النظامية التي كان يُختار لها أكبر العلماء للتدريس فيها. وقد أنشأها نظام الملك (408 - 485هـ) لتدريس الفقه الشافعي. تحدث أصحاب كتب الطبقات طويلاً عن أبي البركات، ووصفوا ما كان عليه من دين قويم، ونهج مستقيم، وعفة في اليد واللسان، وزهد بالدنيا، وانقطاع للعلم، وعكوف على التدريس والتصنيف في أكثر العلوم والمعارف التي شاعت في عصره؛ وقد ترك الأنباري عشرات المصنفات، بل غلا بعضهم فأوصلها إلى ثمانين ومئة مصنف بين رسالة صغيرة وكتاب، وهي تصور الحياة الفكرية التي كان عليها عصره. على أن كثيرًا من كتبه قد ضاع، وهناك عدد منها محتاج إلى من يقوم بتحقيقه ونشره، وما طبع من مؤلفاته لا يبلغ العشرة عدًا، منها كتابان من أهم ما صنف، هما «أسرار العربية» الذي طبع في ليدن ثم في دمشق. و«الإنصاف في مسائل الخلاف» الذي طبع كذلك في ليدن، ثم في مصر، وقد تكررت طباعته مرات كثيرة.

وهناك ظاهرة تدعو إلى التأمل، وهي أن أكثر هؤلاء الأعلام في تاريخنا لا تكتمل صورتهم إلا برواية أبيات لهم هي أقرب - غالبًا - إلى النظم منها إلى الشعر، ومما ذكره السيوطي في كتابه «بغية الوعاة» في ترجمة الأنباري قوله:

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني
وأرّقتني أحزان وأوجاع
وصار قلبي قلوبًا فيك دامية
للسقم فيها وللآلام إسراع
فإن نطقتُ فكلي فيك ألسنة
وإن سمعت فكلي فيك أسماع

لم يكن الأنباري الرائد الأول في محاولة إحصاء مسائل الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة، فقد سبقه إلى ذلك شيخ نحاة الكوفة ثعلب (ت:291هـ) وابن دُرُستويه (ت:347هـ)، وأحمد ابن جعفر الدينوري (ت289هـ)، وأحمد بن فارس (ت:395هـ)، وابن كيسان (ت:299هـ) وأبو جعفر النحاس (ت:338هـ)، على أن أكثر هذه الكتب لا وجود لها، وهي إما انتصار لنحوي على آخر، أو ذكر لما اختلف فيه عالمان، أما كتاب الإنصاف فهو أجلها وأوسعها: جمع فيه أبو البركات إحدى وعشرين ومئة مسألة في النحو والصرف واللغة، وسار فيها على نهج واضح، فهو يورد المسألة التي هي محل الخلاف، ويبسط رأي الكوفيين والبصريين فيها، ويورد حجج الكوفيين، ثم حجج البصريين، ثم يضع رأيه الذي ينتصر فيه للبصريين على الغالب، ثم يبطل حجج الفريق الآخر، مسلحًا بالمنطق وما ألفه من طرق الفقهاء والأصوليين، وما اشتهر به من الاستقصاء والتتبع، وما وعاه من كلام من يُحتج بهم من العرب شعرًا ونثرًا، وما أتقنه من بيان العلل، واستعمال القياس، وإلى القارئ الكريم أنموذجًا من مسائله: (المسألة:28):

ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه نحو «ضَرَب ضَرْبًا وقام قيامًا». وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه.. ثم أورد حجج الكوفيين والبصريين على كثرتها وتنوعها (نحو 4 صفحات) ثم قال: أمّا الجواب عن كلمات الكوفيين ف ... (أكثر من أربع صفحات). وقد كان هذا منهجه في المسائل كلها. والمطالع للكتاب يرى المؤلف بصريّ المنزع، لكن هذا لا يمنع من الإشادة بالإنصاف في حكمه، وتوخي وجه الصواب فيما يذهب إليه ولو صدر عن الفريق الآخر؛ فهو يقول: (ص:21) وهذا القول فاسد» ويرد بذلك على الأخفش والمبرد والمازني، وهم من أعلام مدرسة البصرة. ويرد في المسألة:30ص:156 و 157) على رأيين بصريين للزجاج والأخفش بوصف رأي الأول أنه باطل، ورأي الثاني بأنه ضعيف، وقد يرى رأي الكوفيين في بعض المسائل فيحكم لهم، ويفنّد آراء أصحابه البصريين ويبطل حججهم، ففي المسألة (101) يقول: والذي أذهب إليه ما ذهب إليه الكوفيون (ص418). وكذلك قال في المسألة (106ص:433)، وقد نص المؤلفون على أنه وافق الكوفيين موافقة تامة في سبع مسائل.

وقد أُخذَت على ابن الأنباري في كتابه مآخذ، منها أنه لم يستوف مسائل الخلاف، ومنها أنه قد تفوته الدقة ويعوزه التحقيق فيخطئ في النقل، أو ينسب رأيا إلى غير صاحبه، أو يذكر خلافًا في مسائل لم يختلف عليها روّاد المدرستين. على أن هذا كله لا يمنع من القول بأن الكتاب هو أفضل ما ألف في هذا الباب، وأكثره صوابا، وأغزره شواهد، وما أخذ عليه فيه مردّه إلى الضعف البشري، والمعصوم من عصمه الله و: كفى المرء نبلاً أن تُعَدّ معايبه، وفي مقدمته الموجزة للكتاب ردٌ على بعض ما وُسم به كتابه من خلل، فهو يقول: «.. وبعد فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفقهين المشتغلين عليّ بعلم العربية، في المدرسة النظامية عمر الله مبانيها؛ ورحم بانيها، سألوني أن ألخص لهم كتابًا لطيفًا، يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، ليكون أول كتاب صنّف في العربية على هذا الترتيب، وألّف على هذا الأسلوب؛ لأنه ترتيب لم يصنّف عليه أحد من السلف، ولا ألّف عليه أحد من الخلف؛ فتوخّيت إجابتهم على وفق مسألتهم، وتحريت إسعافهم لتحقيق طلبتهم، وفتحت في ذلك الطريق، وذكرت من مذهب كل فريق، ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهبُ إليه من مذهب أهل الكوفة والبصرة، على سبيل الإنصاف، لا التعصب والإسراف...»

رحم الله علماءنا الأبرار، وجزاهم عن أمتهم والمستفيدين من علمهم أفضل الجزاء.

المشاركة الإدارية

د. محمد عدنان النجار

تؤدي مجموعات وفرق العمل، كالمجالس واللجان، في كثير من المنظمات مهمات كثيرة قد تؤدّى عادة من قبل الرؤساء والمشرفين، كاتخاذ قرارات حول كميات الإنتاج أو أنواع الأسواق والزبائن أو التوظيف أو الاستغناء عن العاملين... إلخ. وفي بعض الأحيان تعتبر الإدارة وتبحث، وقد تطبق الكثير من الاقتراحات التي توصي بها هذه المجموعات وفرق العمل.

وتنطوي المشاركة الإدارية أو ما يسمى أحيانًا بالقرارات المشتركة (Joint Decisions) في جوهرها على مشاركة المرؤوسين للرؤساء في سلطة اتّخاذ القرارات. ولكن توجد درجات للمشاركة يكون القائد في حدها الأدنى آخذًا بنظام حكم المكاتب (أوتوقراطية) لا يسمح بالمشاركة إلا ضمن حدود دنيا، ويصبح (ديمقراطيًا) في حدها الأقصى، إذ يكون لكل عضوٍ في المجموعة صوت واحد مثل القائد. ويمكن تمثيل درجات المشاركة بالسبع التالية:(1)

- يتخذ الرئيس القرار ويعلنه.
- يروج الرئيس لقراراته.
- يعرض الرئيس أفكارًا ويطلب أسئلة من الأعضاء.
- يعرض الرئيس حلولاً ممكنة قابلة للتغيير.
- يعرض الرئيس المشكلات ويتلقى اقتراحات من الأعضاء ويتخذ هو القرارات.
- يضع الرئيس الحدود الممكنة، ويطلب من أعضاء المجموعة اتخاذ القرارات.
- يسمح الرئيس للمجموعة بالتصرف ضمن حدود محدودة من قبلها.

وقد عُدّت المشاركة الإدارية لفترة طويلة من الزمن العلاج الناجع الشافي لكل المشكلات الإدارية والعمّالية بما في ذلك ضعف الأداء والإنتاجية وانخفاض الوصف الوظيفي والمعنويات وجميع أصناف سوء السلوكيات والممارسات. ولكن من خلال البحوث العلمية والممارسات الواقيعة تبين، أنه لتحقيق المشاركة الفعالة، لابد من تحقق بعض الشروط المهمة مثل:(2).

- وجود وقت كاف للمشاركة.
- أن تكون المواضيع المعالجة ذات أهمية للمشاركين.
- أن يحوز المشاركون على القدرات والإمكانات المعرفية، والفكرية لتبادل الآراء ووجهات النظر وإجراء الاتصالات الفعالة.
- أن تدعم القيم والسياسات التنظيمية مفهوم المشاركة وإجراءاتها.

إن وجود هذه الشروط الأربعة على الأقل بنسبة كافية يعد حيويًا لتحقيق مشاركة إدارية ناجحة، وإلا كانت المشاركة غير مجدية أو فعّالة.

وتوجد عدة أسباب وضرورات لمشاركة الإدارة العاملين في صنع القرارات المتخذة.

أولاً: أصبحت معظم الأعمال فنية ومتخصصة لا يدرك مضامينها وتفاصيلها إلا من يمارسها، وقد تجهلها الإدارة، وتحتاج بالتالي إلى آراء وأفكار من يعمل ويعرف متطلباتها.

ثانيًا: يوجد ترابط وثيق بين الأعمال المختلفة والوحدات التنظيمية المتعددة التي تشملها مما يستدعي المشاورة وتبادل وجهات النظر والوقوف على مختلف الآراء التي قد تكون متباينة ومتعارضة، واتّخاذ القرارات التي لا تؤثر سلبًا على بعض منها.

ثالثًا : وتزيد هذه المشاركة من التقيد والالتزام والتطبيق للقرارات المتخذة. فمن يشارك في اتخاذ القرار يكون أقل مقاومة له ويتقبل بصدر رحب تنفيذه.

وأخيرًا، وليس آخراً، فإن المشاركة تحقق عوائد معنوية مهمة للعاملين، إذ تشعرهم بأن أفكارهم مهمة ولها معنى مفيد مما يستدعي بالتالي تحقيق الرضى والإشباع النفسي لهم.

وتبين الدراسات العلمية نتائج متناقضة ومتباينة بالنسبة للمشاركة الإدارية(3). ويعني ذلك أن المشاركة الإدارية تحقق في بعض الأحيان نتائج إيجابية، وأنها تحقق نتائج سلبية في أحيان أخرى. وعلى الرغم من ذلك يمكن القول بشكل عام: إن للمشاركة الإدارية آثارًا ضعيفة في الإنتاجية والحافزية وحتى في الرضى الوظيفي، وإنها لا تؤدي بالضرورة إلى تحسين أداء العاملين، وقد تحقق نتائج إيجابية ضمن بعض الظروف، إذا ما استخدمت بعناية وفعالية.

وتعدّ حلقات الجودة (Quality Circles) من الأساليب المثيرة

للجدل والمناقشة والاهتمام على المستويين النظري والعملي كنوع من أنواع المشاركة الإدارية في وقتنا الحاضر. وعلى الرغم من أن حلقات الجودة هي من الاتجاهات الحديثة لإدارة الموارد البشرية، إلا أنها في الحقيقة قديمة في الممارسة. فهي قد طورت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقلت إلى اليابان، حيث استخدمت فيها بنجاح، لتعود ثانية إلى الولايات المتحدة لتشغل أذهان المغامرين والممارسين.

وتتكون «حلقة الجودة» عادة من ثمانية إلى عشرة أشخاص من العاملين والرؤساء يتقاسمون المسؤولية ويجتمعون بانتظام مرة في الأسبوع ضمن أوقات العمل النظامية، وفي أماكن المنظمة، وهم يُناقشون مشكلات الجودة الناجحة، ويتحرون أسباب المعاناة، ويقترحون الحلول الممكنة والإجراءات المناسبة. وتحتفظ إدارة المنظمة بالطبع بحقها في اتخاذ القرارات النهائية فيما يتعلق بتنفيذ الحلول والإجراءات المقترحة من قبل أعضاء حلقة الجودة. ونظرًا لاحتمالات عدم أهلية بعض الأعضاء والمشاركين في حلقات الجودة لتحليل المشكلات، واتخاذ القرارات والتوصيات، فإنه من ضمن مهام ومسؤوليات حلقات الجودة تعليم وتدريب العاملين على حسن الاتصالات وتبادل المعلومات، وكيفية توفير الخطط الكفيلة بتحسين مستويات الجودة، وأساليب تحديد وتحليل المشاكل.

لقد حظيت المشاركة الإدارية بدرجات متفاوتة من التطبيق في مختلف أنحاء الولايات المتحدة مثلا، لم تحظ المشاركة الإدارية بنصيب من الشعبية والتطبيق، كما حظيت في بلدان أخرى من العالم، ويمكن أن يعود السبب في ذلك إلى تقاعس الإداريين عن تبنيها وممارستها، بل وفي بعض الأحيان إلى مقاومتهم لها على مختلف مستوياتهم الإدارية لإيمانهم بأنها تناقض هيكلية السلطة وتسلسلها الهرمي، وأنها تسلبهم مسؤولياتهم وصلاحياتهم في اتّخاذ القرارات والتحكم بالنتائج. ولذلك تعد المشاركة الإدارية في الولايات المتحدة مقارنة بغيرها من دول العالم، كاليابان مثلاً، شكلية تقتصر على الاستماع للأفكار والاقتراحات دن أن يفقد منها الإداري التحكم والسيطرة على القرار النهائي الذي يظل في جوهره فرديًا وليس جماعيًا. أما بالنسبة لحلقات الجودة فإن نسبة استخدامها في الشركات الأمريكية الكبيرة التي توظف على الأقل (500) عامل تقدر بـ 44٪، كما ويعد نجاحها محدودًا موازنة باليابان(4).

الهوامش :

1- Tannunbaum R., and Schmidt W.H., (How to choose a leadership), Harvard Business Review,March-April, 1958, P.96. Pattern,

2-Tannunbaum R., Weschler J.R., and Massarik F., (Leadership) and organization; A. Bechanioral Science Apersach, (New-York; Mc Graw-Hill, 1961, PP. 88-100).

3- Wagner J.A., and Goodinj R.Z., (Effects of Social Trends in Participation Research), Administrative Science Quarterly, June, 1987, PP. 241-262.

4- Harvard Business Review Jannuary-February, 1985, P.66.

قصيدة

صَباح النُّور

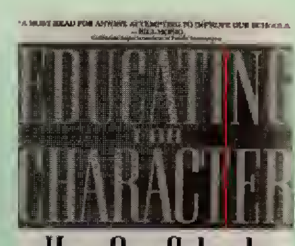
عبدالكريم يحيى عبدالكريم



صباح النُّور للعصفور للنّازغ للدُّورِ
صباح النّور للنعناع في الأرواح للحيرِ..
لقامات السّرايا(*).. للشّذا الطافي على السُّورِ
لآفاق النّدى السّحريّ يغوي كلَّ مسحورِ
لريحان الإله الحلوِ.. أصوات العصافيرِ
لأسراب الحمام الزُّرقِ.. تعلو فوق ديجورِ
صباح النور للدّنيا
صباح النُّور للنُّورِ

(*) السّرايا: زهرٌ جميل، يتفتح تُوَيْجُهُ في النهار وينغلق في الليل.

التعليم وبناء الإنسان



تأليف:
توماس ليكونا

عرض وتقديم:
ياسر الفهد

إن الفكرة التي ظلت سائدة لفترة طويلة من الزمن، أن التـــعليم يجب أن يعنى بالمقررات والمناهج الدراسية الأكاديمية في المقام الأول، دون إغفال الاهتمام بالقضايا الأخلاقية والقيمية. ولكن كثيراً من الباحثين والمفكّرين التربويين أصبحوا يرون الأمور اليوم بطريقة مختلفة، مؤكدين أن المهمة الأساسية للتعليم ينبغي أن تنصب على بناء شخصية الإنسان وتنمية مثله الأخلاقية وتعزيز مبادئه بالدرجة الأولى، على أن تأتي العناية بالمناهج الأكاديمية في المقـام الثـاني. وهناك فريق يرى أن من الأفضل المساواة بين الهدفين: الهدف التعليمي والهدف الأخلاقي. ومهما اختلفت الآراء، فقد كانت مسألة تصدي التربية لتعليم القيم، مسألة جدلية تحتمل الأخذ والرد. أما اليوم فقد أضحى هناك إجماع على ضرورة قيام التعليم بأخذ زمام المبادرة في مكافحة الجشع والغش والعنف والسلوك الهدّام وكذلك الإدمان على المخدرات.

وهذه الفكرة كمـا هو واضح ليست جديدة بالطبع، بل هي قديمة قدم التربية نفسها. ولكنها اكتسبت اليوم زخمًا جديدًا.

وقد صدر مؤخرًا كتاب جديد باللغة الإنجليزية بعنوان «التعليم من أجل بناء شخصية الإنسان»، وهو من تأليف توماس ليكونا. ويتصدى هذا الكتاب ببراعة للموضوع الذي نحن بصدده. ويرى مؤلفه أن الأطفال في جميع أنحاء العالم أصبحوا يميلون أكثر فأكثر نحو المادية والجشع والعنف. وأحد أسباب ذلك تأثير وسائل الإعلام، ولاسيما الأفلام التلفازية المثيرة الزاخرة بأحداث العنف؛ وهذا ما يجعل تعليم القيم من أشد الموضوعات سخونة في الساحة التربوية اليوم. ولكن أية قيم، وقيَم من ؟ فمن المعروف أن القيم نسبية وتختلف من مكان إلى آخر، ومن فرد إلى فرد. ويرى الكتاب أن الحل يكمن في قيام كل دولة بتعليم قيمها المحلية وفقًا لتقاليدها الخاصة.

وهناك علاقة بين تعليم القيَم والديمقراطية. فهذا التعليم ضروري لنجاح المجتمع السوي؛ فالناس أنفسهم مسؤولون عن توفير مجتمع حر وعادل، وهذا يفرض أن يكونوا مستقيمين وأصحاب قيم نبيلة، وأن يفهموا مغزى الديمقراطية ويلتزموا أسسها، مثل احترام حقوق الأفراد، واحترام القانون، والمشاركة الطوعية في الحياة العامة، والاهتمام بمصلحة المجموع، وغير ذلك. ويبين المؤلف أن علم النفس التجريبي والداروينية والآنيشتانية كان لها جميعها دور في تراجع تعليم القيم. ولكن الأمر اختلف منذ بداية ستينيات القرن العشرين، عندما برز مفهوم حقوق الفرد، وأصبح هناك تشديد واضح على الحقـوق، وليس فقط على المسؤوليات والواجبات، فحلت الحرية محل الالتزام، وأضحت الشخصية الحرة تعني أكثر من مجرد عضو في الأسرة أو المجتمع. وبتعبير آخر فقد

اشتد لتأكيد قيمة الإنسان بوصفه إنسانًا. وانبثقت عن ذلك حركات مثل حركة حقوق المرأة، وحركة الحقوق المدنية، وحركة احترام الطفل وغيرها. وكان لهذا التطور الإيجابي، أيضًا، مساوئه، إذ أصبح الفرد لا يقبل أي تحديد لحريته، وبات ميالاً إلى التمرد على سلطات الأب، والمدرسة والدولة. ونشأت عن ذلك سلوكيات غير مناسبة وضارة بالمجتمع، مما كان له انعكاسه في التعليم.

تعليم القيم، لماذا؟

وبذلك بات من الضروري تنشيط تعليم القيم. ويعلل الكتاب ذلك بالأسباب التالية:

ـ نظرًا لميل كثير من شبان العالم إلى إيذاء أنفسهم والآخرين، ولانعدام اهتمامهم بالإسهام في تقدم المجتمع، فقد برزت حاجة ماسة للتجديد الروحي والأخلاقي.

ـ إن المجتمع يحتاج، حتى يحافظ على بقائه ونمائه، إلى تعليم القيم، بوصفه عملاً حضاريًا.

ـ بما أن الوالدين أصبحوا أقل اهتمامًا بتلقين القيم لأبنائهم، فقد ازدادت المسؤولية الملقاة على عاتق المدرسة في هذا المجال.

ـ إن هناك حاجة ماسة للاتفاق على قيم جماعية مشتركة، منعًا للازدواجية، مثل قيم العدالة والأمانة والصدق والدماثة واحترام الحقيقة والسلوك الديمقراطي وغير ذلك.

ـ إن ضرورة اهتمام الناس بحقوق غيرهم وبالمصلحة العامة وتحملهم مسؤولية المواطنة الديمقراطية، تجعل التعليم الأخلاقي واجبًا محتمًا.

ـ إن العلاقات المعقدة بين التلاميذ وأساتذتهم من جهة، وبين الأساتذة والإدارة من جهة ثانية، وبين المدرسة والأسرة من جهة ثالثة، تستلزم تعليم القيم من أجل خلق معايير سليمة للتعامل الصحيح بين هذه الجهات.

ـ إن الأسئلة الكبيرة التي تواجه الفرد والجنس البشري هي، في أساسها، أسئلة أخلاقية. فالفرد قد يتساءل: كيف علي أن أحيا حياتي الخاصة؟ كيف يستطيع الناس أن يعيشوا معًا باطمئنان؟ كيف يجب أن نتعامل مع الطبيعة والبيئة؟

وهذا يستوجب تعليمًا أخلاقيًا للإجابة عن مثل هذه الأسئلة.

ـ هناك الآن صرخة قوية من جانب المصلحين الاجتماعيين من أجل دعم التعليم الأخلاقي.

ـ تعليم القيم يمكن أن يكون وسيلة لجذب المعلمين الأخلاقيين إلى المهنة.

وهكذا، فإن الدعوة إلى إصلاح نظم التعليم، لم تعد تتركز على التحصيل (الأكاديمي)، بل أصبحت تتعدى ذلك إلى ما هو أهم، أي بناء شخصية الإنسان وتطويرها. وهذا يمكن تحقيقه من خلال المنهج (الأكاديمي) الذي ينبغي أن يشكل وسيلة لتحقيق الوعي الأخلاقي عند التلاميذ. ويدخل ضمن احترام البيئة والطبيعة، وكذلك التعاطف مع الحيوانات وعدم إلحاق الأذى بها.

وعلى الكتب المدرسية أن تأخذ هذا بالحسبان، كأن تقرن القراءة بقصص المروءة والفضيلة. وعلى الأستاذ أن يلاحظ الفحوى الأخلاقية في كل نص، سواء كان أدبيًا أو تاريخيًا أو غير ذلك، وأن يشرحها للطلاب شرحًا يوصل إلى استنتاجات مفيدة. ومن جهة ثانية، فإن للعمل نفسه مغزى أخلاقيًا. ومن هنا فإن تعويد التلاميذ على العمل المدرسي المستمر يحمل دلالة أخلاقية.

ومن الطبيعي أن الطالب لا يستطيع أن يتعلم إذا لم يعمل.

وبالإضافة إلى تعليم القيم من خلال المناهج، فإن السؤال التربوي المطروح الآن هو: هل من الأفضل تعليم الأخلاق بصورة مستقلة؟ وهذا ما بدأت تأخذ به المدارس في بعض دول العالم.

ويبين الكتاب أن المسؤولية والاحترام يقفان على رأس هرم القيم التي يجب تعليمها.

ويضاف إليهما النزاهة والأمانة والموضوعية وحب النظام والقدرة على التحمل والتعاون والتعاطف والنظام والصدق والشجاعة والقيم الديمقراطية وغير ذلك.

واجبات المعلم

ويشير المؤلف إلى قول أرسطو بأن الشخصية الفاضلة هي تلك التي تمارس السلوك الصحيح مع الذات ومع الآخرين. أما المفهوم الحديث للشخصية الجيدة فيرتبط بمعرفة الفضيلة والرغبة فيها وممارستها.

وحتى نصل إلى تحقيق ذلك، فإن على الأستاذ في الصف أن:

أ ـ يتعامل مع الطلاب باحترام ومحبة حتى يكون قدوة في التعامل الصحيح.

ب ـ يساعد الطلاب على التعاون والاهتمام بشؤون بعضهم بعضًا، والعمل معًا.

جـ ـ يخلق في الصف بيئة ديمقراطية تفتح الباب أمام الحوار.

د ـ يعلم الطلاب قيمة العمل والتعلم وبالتالي تطوير ضمير المهنة.

هـ ـ يشجع التأمل الأخلاقي من خلال القراءة والكتابة.

و ـ يعلم الطلاب اتخاذ القرارات بشأن الخصومات والصراعات، بحيث يتم حل النزاعات بطرق نزيهة بعيدًا عن العنف.

ضمير المهنة

ويفرد المؤلف فصلاً خاصًا لموضوع (تطوير ضمير المهنة)، داعيًا في هذا المجال، إلى:

ـ وضع أهداف مدرسية مرتبطة بمواقف عمل معينة.

ـ استخدام التعلم التعاوني لتطوير قيم أخلاقية تدعم العمل الأكاديمي.

ـ تطوير قدرة الطالب على تقويم الذات.

ـ غرس حب التعلم والتفاخر بالمعرفة عند الطلاب.

ـ إيجاد جو للاحتفاء بكل نجاح يحرزه الطلاب، مما يخلق حوافز مفيدة.

ـ العمل على تمكين الطلاب من اكتشاف مواهبهم الفردية وتطويرها.

ـ تعويد الطلاب إنجاز الوظائف الليلية.

ـ تبني العمل الجاد والشاق وخلق بيئة بشرية تقدر الإنسان وتعد العمل بحد ذاته من القيم الأساسية في الحياة.

بين المنزل والمدرسة

ويتضمن الكتاب فصلاً خاصًا حول تعاون البيت والمدرسة في تعليم القيم، فالوالدون هم أول من يعلم التلاميذ، وبينما يتغير المعلمون

التعليم وبناء الإنسان

باستمرار. فإن الوالدين يبقون هم أنفسهم على مر السنين. وقد أثبتت الدراسات أهمية دورهم وتأثيرهم. وهي تبين أن الأطفال الأفضل هم الذين، إذا اعتدى أحدهم على حق شخص آخر، أظهر والدوهم الحنق وطلبوا منهم الاعتذار عن سلوكهم السيئ. كما تبين أن الوالدين ذوي السلطة والسطوة يحصلون على نتائج أفضل من تلك التي يحرزها الآباء المتسامحون. أما عندما تكون العلاقة غير وثيقة بين الوالدين والأطفال، فإن الأقران يصبحون أكثر تأثيراً في الطفل.

ويفرد المؤلف بعض الصفحات لموضوع القيم التي يجب تعليمها، موضحاً أنها تلك التي يوجد اتفاق عام حولها، وهي على نوعين:

أ ـ قيم غير إلزامية مثل حبّ القراءة والإصغاء إلى الموسيقى، مثلاً.

ب ـ قيم إلزامية مثل الأمانة والمسؤولية والوفاء بالوعد؛ وهذه بدورها تقسم إلى قيم إلزامية عالمية مثل العدالة واحترام حرية الإنسان ومراعاة حقوقه، وقيم إلزامية غير عالمية، كتلك المتعلقة بالتدين والتعبد.

المدرسة والمخدرات

ويحتل موضوع المخدرات حيزاً كبيراً من الكتاب.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن تعاطي المخدرات مثل الكوكايين والمارجوانا وغيرهما، من قبل الأبناء، يتم أكثر بعشر مرات، مما يتوقعه الوالدون، في الولايات المتحدة، على الأقل. ويبين تقرير أمريكي:

أ ـ أن أكبر خطر جدي يهدد صحة الشبان الأميريكيين وسعادتهم، هو تعاطي المخدرات.

ب ـ أن هذا يحدث في أمريكا، بمعدل يفوق ما يحدث في أية دولة صناعية أخرى.

جـ ـ أن زهاء 60٪ من طلاب المدارس الثانوية الأمريكية يتعاطون المخدرات بطريقة غير شرعية، وأن أكثر من 3،5 مليون طالب (في سن ما بين 12 و17 سنة) يستعملون المارجوانا.

د ـ خلال العقد الماضي، تضاعف استخدام الكوكايين في الولايات المتحدة. كما دخلت عقاقير الهلوسة مثل (الليبسيد LSD) ضمن قائمة المخدرات المستعملة.

ولاشك أن لهذه النتائج التي خلص إليها التقرير مغزى مهمّا، ليس بالنسبة لأمريكا فحسب، وإنما للعالم أجمع.

ويبين المؤلف أن الأطفال يستعملون المخدرات للحصول على مشاعر سارة أو لتجنب الإحساس بمشاعر سيئة. ولكن ما يحدث بالفعل هو أن هذه المسكنات تولّد بالتدريج وببطء مشاعر سيئة يمكن أن نعزو لها نصف حوادث الانتحار تقريباً، ومن أضرارها الأخرى أنها تعطل وتخرب وتفسد أكثر القدرات البشرية أهمية، كالقدرة على التخطيط والحكم الأخلاقي والسيطرة على النفس والتناسق الطبيعي العضوي (الفيزيولوجي). وهي في أثناء استخدامها تجعل متعاطيها يشعر شعوراً وهمياً بأنه في أحسن حال وأقوى وضع، مما يمكن أن يقوده إلى إيذاء نفسه أو الآخرين.

كما أنها عند بقائها في الجسم، تنتج آثاراً سلبية، حتى بعد تعاطيها بفترة طويلة.

لقد أثبتت الأبحاث الطبية، أن تراكم مادة الـ (THC)، وهي المادة الأساسية في المارجوانا، يمكن أن يعوق تشكيل المادة الوراثية (DNA) المسؤولة عن نمو الجسم. ويؤدي تلف هذه المادة إلى ذرية غير طبيعية.

ومما جاء في تقرير للجمعية الطبية الأمريكية: «حتى الاستهلاك المعتدل للمارجوانا يمكن أن يؤدي مع مرور الزمن إلى الذُّهان وحالات الذعر واضطرابات الشخصية».

إن المجتمع يحتاج، حتى يحافظ على بقائه ونمائه، إلى تعليم القيم، بوصفه عملاً حضارياً

ويشدد الكتاب على أهمية تأثير المخدرات في التعلم، مبيناً أن تعاطي المخدرات من قبل كثير من الطلاب، يعكس مصاعب عميقة ومتاعب بيتية، كما يخفي ضعف الثقة في النفس وافتقاد الهدف والأمل في الحياة. ونظراً لأن المراهقين، على نحو خاص، يواجهون مجموعة من التحديات والضغوط والتغيرات الجدية واضطراب العلاقة مع الوالدين، بالإضافة إلى الضغطين الأكاديمي والجنسي، فإنهم قد يلجؤون إلى المخدرات، هروباً من هذه التحديات، مما يمكن أن يقود إلى إبطاء نموهم ونضجهم.

ويطلب المؤلف من المدارس أن تمارس مسؤولياتها من خلال:

ـ وضع أنظمة بشأن استخدام المخدرات تتضمن إجراءات تصحيحية فعالة.

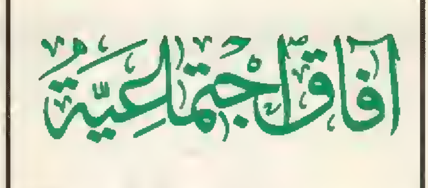
ـ الاستعانة بالمجتمع للمساعدة في وضع برامج ناجحة لمكافحة المخدرات، مع بيان مضارها وآثارها المدمرة وتأثيراتها الصحية في مختلف أعضاء الجسم.

ـ تكليف طلاب بتشجيع طلاب آخرين على مقاومة المخدرات.

كلمة أخيرة

إن الكتاب الذي عرضنا أهم أفكاره، يحمل دلالات بالغة الأهمية بالنسبة لنا نحن العربَ المعروفين بعدم عنايتنا العناية الكافية بقضية الإنسان العربي بوصفه إنساناً، له حقوقه ومستلزماته المادية والمعنوية.

إننا نهتم ببناء العمارات والمصانع والجسور والسدود والطرقات والقنوات وغيرها، وهذا أمر إيجابي دون ريب، ولكننا للأسف لا نولي بناء الإنسان الاهتمام نفسه. وهذه نقطة ضعف خطيرة تنخر في أوصال الكيان العربي، ويمكن أن نعزو إليها قدراً كبيراً من استمرار تخلفنا النسبي. لذلك من الضروري جداً أن تأخذ المدارس العربية على عاتقها المهمة السامية المتمثلة بتلقين القيم والمبادئ والمثل الأخلاقية السامية للطلاب، جنباً إلى جنب مع التعليم الأكاديمي المعهود. وبتعبير آخر، إذا كانت المدارس العربية تزود الطلاب بالمعارف والعلوم والمعلومات، فإن الأحرى بها أن تمدهم بأسس التعامل الأخلاقي النبيل.



المراهق وتوقعات الوالدين

د. تماضر حسون

لن نأتي بجديد عندما نقول بأن العلاقات الأسرية لها دورها الفاعل في تكيف الأبناء واندماجهم في مجتمعهم، فالعلاقات الأسرية الدافئة والقائمة على الحوار والنقاش والتفاهم وتبادل الآراء واحترام تلك الآراء تمنح الأطفال شعورًا بالمحبة والأمن والحماية والاستقرار، وتنتج بالتالي شبابًا أكثر إبداعًا وأكثر تقبلاً لذواتهم، وأكثر توافقًا مع مجتمعهم في تَقَبُّلِهم لمواضعات هذا المجتمع، وبالتالي يتكون لديهم شعور قوي بالانتماء لمجتمعهم ولوطنهم. أما غياب مثل تلك العلاقات الأسرية فتدفع الأبناء، والمراهقين منهم على وجه الخصوص، خارج نطاق الأسرة.. لأنهم بحاجة ماسة للمحبة والأمن، مثلما هم بحاجة لمواقف تمنحهم الشعور بالانتماء وتعطيهم صورة إيجابية عن ذواتهم.

وفي كثير من الأحيان يمكن أن يقع المراهق بين أيدي أفراد أو جماعة خارجة عن نظم المجتمع.. رافضة لقيمه وأخلاقياته، تمنحه ما هو بحاجة عاطفية له.. وسرعان ما يتكيف معها.. وينتمي إليها ويتقمص سلوكياتها.. ويصبح بالتالي منحرفًا.. وتكون الأسرة بشكل أو بآخر ساهمت في اختيار هذا المصير له.

ومن بين الأسباب التي قد تدفع بالمراهقين إلى دروب الانحراف والجريمة، فشل توقعات الأبوين من الأبناء:

أ ـ في مجال الدراسة: يعلق أغلب الآباء والأمهات في الوطن العربي آمالاً عريضة على الأبناء كي يحققوا من خلالهم مشروعات فشلوا هم في تحقيقها عندما كانوا صغارًا، فنجد كثيرًا منهم يختار لطفله ذكرًا كان أم أنثى ميدانًا في الحياة أو مهنة معينة، أو نوعًا من التعليم.. منذ ولادة الطفل.. غير عابئ بقدرات الطفل ومهاراته واستعداداته، ويبدأ يوجهه على هذا الأساس، فهذا يختار لطفله ميدان الطب، وآخر المحاماة، وثالث الهندسة، ورابع المال والأعمال.. وحتى عندما يشتري له ألعابه فإنه يسير بالاتجاه نفسه.. أي إن الأبوين يحثان ويدفعان الطفل ومن ثم المراهق بشكل مركز وصارم على التفوق في مجال معين ومحدد ويرسمان له الطريق ذا الاتجاه الواحد. فإذا نجح وتفوق على أقرانه كان محل تقدير الأبوين ومفاخرتهما ، أما إذا لم يستطع أن يحقق لهما ما يريدانه اعتبراه فاشلاً، تافهًا ويعامل على هذا الأساس مما ينعكس عليه سلبًا، فيفقد ثقته بنفسه، وتشوه صورته عن ذاته، ويشعر بأنه غير مقبول لدى والديه، ويبدأ يعاني من إحباطات تتراكم مع الوقت.

ب ـ من حيث جنس المولود:

تتجسد خيبة أمل الأبوين عندما يأتي المولود عكس التوقعات، أي عندما يأتي المولود أنثى، فتعامل منذ طفولتها الأولى على أنها كائن غير مرغوب فيه، الأمر الذي يترك أثرًا سلبيًا حادًا في تفكير تلك الفتاة الصغيرة وسلوكها وعواطفها، ومن ثم عندما تصبح مراهقة، وشعورها بأنها غير مقبولة ولا محبوبة من طرف أسرتها، وبأنها تشكل عبئًا على الأسرة، يولد لديها في معظم الأحيان شعورًا بالحقد والكراهية لنفسها ولأسرتها ولعادات وتقاليد مجتمعها فترفضهم وتتمرد عليهم جميعًا.

في كلا الحالين، نجد المراهق ذكرًا كان أم أنثى، يحاول الهروب من هذا الجو المشحون.. إلى جو آخر يشعر فيه بتقدير الذات والدفء العاطفي.. والانتماء.. مما يعرضه لتعرف أفراد أو جماعات من المنحرفين الصغار أو المجرمين الكبار.. ويسير معهم بالطريق المعوج.

المقامة
فن فحول الأدباء أوشكت على الانقراض

أحمد أحمد زيادة

إذا رجعنا إلى الأصل اللغوي للمقامة نجدها اسم مكان من الفعل قام، والإقامة لا تكون إلا في مجلس، وقد أطلق اسم المجلس على ما يثار فيه من حديث، فقيل مجلس علم، أو مجلس فكاهة، أو مجلس طرب، ومن هنا أطلق اسم مَقامة على الكلام الذي قيل في مكان الإقامة. على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته المحلية. أي حديث المقامة كما قال تبارك وتعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا. يوسف: 82. أي اسأل أهل القرية.

لكن هذا الأصل اللغوي تطور وشاع حتى صار يطلق على الحكايات المتخيَّلة التي أبدعتها قريحة الكاتب عن الأشخاص الذين تخيلهم في حكايته، إذ المقامة تأخذ شكل القصة، وإن لم تكن فيها خصائصها من المقدمة والعقدة والحل، وإنما تكون القصة فيها وسيلة لإظهار البراعة اللغوية، والتمكن من صناعة البيان والبديع، خاصة السجع الذي كان السمة المميزة لها.

البدايات

أصل المقامة فارسي، بدأ حبواً لدى المسلمين بعد الفتح الإسلامي لامبراطورية كسرى، وقد ترجمه إلى العربية ـ لغة القرآن ـ بعض أرباب الفصاحة والبيان، على غرار ترجمة عبد الله ابن المقفع لكتاب: «كليلة ودمنة» لبيدبا الفيلسوف الهندي.

وبعد الترجمة بدأ المبدعون العرب المسلمون نسج مقامات من ابتكاراتهم على غرار المقامات المترجمة، لكن، ككل بدايات، تبدأ غضة طرية، ثم يصلب عودها فيما بعد.

وقد شهد العصر العباسي بعض هذه البدايات، وإن لم تصل إلينا نماذج منها، لأنها أغرقت ضمن مكتبة بغداد التي دمرها التتار.

ـ لكن وصل إلينا بعض أسماء مَنْ كان لهم شرف المحاولة في هذا المضمار أمثال: «أبي بكر ابن دريد» (ت: 321هـ) الذي بلغت مقاماته أربعين مقامة، وأحمد بن فارس الرازي (ت: 395هـ) العالم اللغوي صاحب كتاب «المجمل» الذي لم يُعرف حتى الآن عدد مقاماته، وبالتالي لا يمكن الحكم عليها.

لكن كل وليد يشب، ويصلب عوده ويثبت وجوده بين أقرانه من أسرة الأدب، وقد تمثل نمو المقامة وازدهارها بداية على يد بديع الزمان الهمذاني الذي أبدع أربعمئة مقامة وصل إلينا منها خمسون، حاملة سمات وخصائص المقامة التي يمكن من خلالها الحكم عليها.

بديع الزمان الهمذاني ومقاماته

قبل استعراض سمات مقامات بديع الزمان الهمذاني نلقي بعض الضوء على حياته؛ فقد نشأ في بلدة همذان التي نسب إليها، وفي بداياته المبكرة لمس فيه والده نبوغًا مبكرًا فأراد تأصيله، فوجهه لحفظ القرآن الكريم الذي يفجر العبقرية، ويصقل اللغة، لكن ميول الفتى كانت أدبية، إذ سرعان ما انكبَّ على علوم اللغة وآداب العربية بعد ما نُقش القرآن الكريم في قلبه، وتحول إلى نحلة تتنقل من زهرة إلى زهرة، وتعشق رياض الأدب واللغة، فتتلمذ على جهابذة هذه الفنون، وفتن بأستاذه أحمد بن فارس ونهل وعلَّ من مورده، وشغف بشخصية عيسى بن هشام العالم اللغوي الفذ حتى إنه جعله راويًا لمقاماته. ولأن كل صاحب نعمة محسود، فقد كثر حساده، وعملوا على الخلاص منه؛ لأن العملاق مكروه وسط الأقزام، وصبوا عليه أذاهم حتى قيل إنه مات مسمومًا في الحادي عشر من جمادى الأولى ٣٩٨هـ.

فإذا ألقينا نظرة على مقاماته وجدنا أنه استغل واقع حياته في نسجها، فراويها شخصية واقعية هي أستاذه عيسى بن هشام، وبطلها أبو الفتح الإسكندراني يحمل جل صفات وأخلاق بديع الزمان الهمذاني. وقصصها المتخيلة منتزعة من مشاهداته خلال رحلاته العديدة التي جاب بها ربوع خراسان.

فإذا أخذنا نصًا من إحدى مقاماته لتعرف خصائصها ولتكن «المقامة القريضية»، فإننا نجد

أن الفكرة ليست مبتكرة؛ لأنها تتناول تقويم الشعراء الفحول من أصحاب المعلقات. لكن الجديد هو أسلوب التناول الذي جرى بين مجموعة كلهم ضليع من الشعر والنقد، وهذا الأسلوب تميز بهذه السمات:

ـ اعتمد على السجع الذي يلتزم تسكين الحروف الأخيرة لكل جملة من الكلام، مثل «ولو شئت للفظت وأفضتْ، ولو قلت لأوردت وأصدرتْ» والسجع هنا يحمل سمة من سمات علم البديع وهي الطباق بين (أوردت وأصدرت).

ـ اعتمدت مقاماته على الكلمات الرصينة الجزلة في اللغة، مثل: «إذا نسب أشجَى. وإذا سَلَبَ أردى».

ـ اعتمد أسلوبه على السلاسة والمتانة معا، فالجمل متدفقة، والمعاني متعانقة، وقد ساعده على ذلك انسياب السجع على لسانه من غير تكلف حتى بدا طبيعيًا كأنه أسلوب حديثه العادي.

وهذه الخصائص نشاهدها معاينة من خلال هذا الجزء من المقامة القريضية التي يقول فيها:

«حدثنا عيسى بن هشام» قال:

«طرحتني النوى مطارحَها، حتى وَطِئتُ جُرجانَ الأقصى، استظهرت على الأيام بضياع أجَلْتُ فيها يَدَ العمارة، وأموال وقفتُها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة. ورفقة اتخذتها صحابة».

ثم تتدفق عباراته ثرية عذبة فيقول على لسان بطل قصته:

«من وَقَفَ بالديار وعرصاتها، واغتدى والطيرُ في وُكُنَاتها، ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاسبًا، ولم يجد القول راغبًا، ففضل من أطلق للحيلة لسانه، وانتجع للرغبة بيانه، فامرؤ القيس».

ثم يستعرض الشعراء حتى يصل إلى جرير والفرزدق فيقول:

«جرير أرق شعرًا، وأغزر غزرًا. إذا نسب أشجى، وإذا سلب أردى، وإذا مدح أثنى، والفرزدق أمتن بحرًا، وأكثر فخرًا، إذا افتخر أجزى، وإذا وصف أوفى».

ولعل تمكنه من اللغة وغزارة علمه بالشعر والشعراء ينطق بها هذا الجزء من المقامة.

رحلة الانطلاق والازدهار

وكسمة أي فن إسلامي وعربي، لم تكن انطلاقة البديع نهاية المطاف، بل كانت توطئة لتبَوُّؤ ذروة هذا الفن من رجال نسجوا على المنوال وساروا على الدرب، منهم من حاولوا سبر غور المقامة، والسبق في المضمار أمثال عبد العزيز بن عمر الشهير بابن نُباتة السعدي (ت: 405هـ)، الذي حاول خوض تجربة المقامة لإثبات براعته في فنون الأدب، فنسج مقامات لم تطاول مقامات البديع، لكن كان لها شرف استمرار تدفق هذا اللون من الأدب.

لكن محاولاته لم تضع هباء، حيث حفزت صاحب الباع الأوفى الذي زاد على الأقدمين وأوفى، وهو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري، الشهير بالحريري الذي ولد بغرب مدينة البصرة سنة 446هـ. ونشأ بها، وظهر منذ بواكير أيامه نهمه لمعارف اللغة العربية وآدابها، فلم يغفل لحظة عن تحصيل شواردها واستجلاء دقائقها، وفض خواتيم مغالقها، ولم يترك عالمًا من علمائها إلا واعتصر علمه وشربه وتمثله حتى صار إمامًا من أئمة اللغة، وألف فيها كتبًا تعد حجة ومرجعًا لها، منها: «درة الغوّاص في أوهام الخواص» ـ و«ملحة الإعراب» و«ديوان رسائل»، ورغم فخامة هذه الكتب وجلالها فإن شهرته التي طبقت الآفاق جاءت من مقاماته التي بلغت الخمسين، وقد لقي ربّه سنة 516هـ. لكن اسمه لا يزال يذكر كلما ذكرت المقامات.

وكما فعل بديع الزمان، جعل الحريري لمقاماته شخصًا نحله مقاماته وأسماه: أبا زيد السروجي، وهو شخصية حقيقية مثل عيسى بن هشام اتفق أن صادفه الحريري بالبصرة، وأعجب بفصاحته ـ أما الراوي فهو شخصية خيالية تحمل صفات الحريري، وقد أخذ اسمه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم حارث وكلكم همّام» أي كاسب كثير الاهتمام، لذلك أسماهُ الحريري: الحارث بن همام.

فإذا أخذنا جزءًا من مقامته الثامنة والثلاثين المروية نموذجًا يحمل خصائص الاكتمال الأدبي، والنضج الفني، فإننا نجد ذروة هذا الفن، يقول: «حكى الحارث بن همام قال» :

«حبب إليّ مذ سَعَتْ قَدَمي، ونَفَثَ قلمي، أن أتّخذ الأدب شرعة، والاقتباس منه نجعة، فكنت أُنَقِّبُ عن أخباره، وخَزَنَة أسراره، فإذا ألفيتُ منهم بُغيةَ المُلتمس وجُذوَةَ المُقتبِس، شددتُ يدي بغَرْزِه، واستنزلت منه زكاةَ كَنْزِه، على أني لم ألق كالسُّروجي في غزارة السحبِ، ووضع الهناء موضع النَّقْب».

ثم يتحدث عن سعيه حتى لقيه فيقول:

«حتى غلب اليأس الطمع، وانزوى التأميل وانقمع، فإني لَذاتَ يوم بحضرة والي مرو، وكان ممن جمع الفضل والسرو، إذ طلع أبوزيد في خَلَقٍ مملاق، وخلق ملاق».

ثم يتحدث عن طلب أبي زيد السروجي الرفد من والي مرو. فيقول:

«وقد أصبحتَ بحمد الله عميد مصرك، وعمادَ عصرك، تُزجَى الركائب إلى حرمك، وتُرجى الرغائب من كرمك، وتنزلُ المطالب بساحتك، وتُستنزَل الراحة من راحتك، وكان فضل الله عليك عظيمًا، وإحسانه لديك عميما... فوالله ما مَجَدَ من جَمَدَ، ولا رَشَدَ من حَشَدَ».

ويمكن من خلال هذا النموذج استجلاء سمات مقامات الحريري وأسلوبه المميز وهو:

ـ يبدو للوهلة الأولى تمكُّنه من السجع وإحكام قبضته عليه، فلم يلحظ له نبوة ولا أدركته هفوة، فالجناس واضح فيه بين ـ «عميد وعماد» وبين ساحتك، وراحتك».

ـ وبنظرة فاحصة يتضح ثراؤه اللغوي، وتطويع الكلمات للغرض الذي يريده، حتى

استغل بديع الزمان الهمذاني واقع حياته في نسج مقاماته، فراويها شخصية واقعية هي أستاذه عيسى بن هشام وبطلها يحمل جل صفات الهمذاني نفسه وأخلاقه

ليبدو كأنه كلامه التلقائي.

ـ تسجيل سمة العصر في مقاماته، حيث كان الشعراء والبلغاء يقصدون ذوي الجاه والسلطان، يلتمسون عندهم الفضل والإحسان.

ـ تضمين مقاماته آيات من القرآن: (وكان فضل الله عليك عظيماً)، وكذلك الحكم: ـ «ما مجد من جمد» ـ «ولا رشد من حشد».

ـ وقد تحولت مقامات الحريري مع مر الزمن إلى نموذج يحتذى، ومثال يقتدى سواء في القرن التالي له مباشرة، أم في القرون المتأخرة؛ ففي القرن السادس الهجري، نحا عالمان من أفذاذ العربية نحو الحريري في نسج المقامات، أولهم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ) العالم الموسوعة الذي قد كتب خمسين مقامة جمعها في كتاب أسماه: «أطواق الذهب».

ثانيهما: شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهاني (اشتهر في أواسط القرن العاشر الهجري) الذي أنشأ مقامات عارض بها مقامات الزمخشري وجمعها في كتاب أسماه «أطباق الذهب».

وإن كانت مقاماتهما ليست في طول وقوة مقامات الحريري والبديع الهمذاني، إلا أنها أدت خدمة لهذا الفن من فنون الأدب، إذ حافظت على سماته، وصانت أدواته، وحملت مشكاته للأجيال القادمة التي عولت على هذا المعين، في إنشاء النسيج الرصين، ووصل عمر المقامة.

المقامة والنمط الجديد

وإذا كانت خصائص المقامة قد بقيت وعاشت، فإنها أخذت شكل الأسلوب، وإن ابتعد عن الحكاية التي تأخذ الشكل ولا تعنى بالمضمون، إلى شكل ومضمون قصصي أحياناً كما كان في عصر المماليك، ونقدي أحياناً كما في العصر الحديث.

وبنظرة متأنية إلى عصر المماليك، نجد أن شكل المقامة قد خلا من الراوي والحاكي، وأن الكاتب عوّل على نفسه في إبداعه، فلم يستعر أسماء يختفي خلفها، أو يعيش في ظلها، وأقرب مثل لكتاب عصر المماليك، الإمام مالك ابن حبيب الحلبي الذي عاش في ذلك العصر، وهضم علوم العربية، وهام بالتاريخ وصنف عدة مؤلفات منها كتاب في الأدب اسمه «نسيم الصَّبا» الذي نأخذ منه نصّاً نتعرف من خلاله سمات مقامات ذلك العصر يقول: ـ

«هزّتني رياح الأمل البسيط إلى امتطاء ثَبَجَ البحر المحيط، فأتيت سفينةً يطيب للسفر مثواها، وركبت فيها بسم الله مجريها ومرساها...».

وبعد وصف بداية الرحلة والريح الرخاء، وطيب الهواء انتقل إلى وصف عاصفة هوجاء فقال: ـ

«فبينما نحن من البحر في قاموسه، كتب الجو حروف الغيم في طروسه، وثارت ريح عاصف، يتبعها رعد قاصف، فمالت بنا الفلك واضطربت، ودنت شفتها من رشف الماء واقتربت».

وبعد أن تهدأ العاصفة ترسو السفينة على جزيرة يصفها فيقول: ـ

«فوجدتها مخضرة الأفنان، مخضلة الكثبان بها من الياقوت ما يرجع خاسئًا مناويه، ومن الأشجار ما يحمل الفواكه والأفاويه، وبين رياضها نهر شديد الخَصَر، أرضه ذهب، وحصباؤه درر، وأمواجه عُكَن، ودراته سُحَر:

عذب إذا ما عبَّ منه ناهل
فكأنه من ريق خَود يَنْهَل
ليّن الأديم، مزاجه من تسنيم ....».

وهذا النص يصف فيه الكاتب رحلة إلى مصر، وما لاقاه فيها من نصب وتعب، ونجاة من الغرق، ووصف الجزيرة التي رست السفينة عليها، وسواء كانت هذه الرحلة حقيقة أم مُتَخَيَّلة فإنها تلقي الضوء على تطور شكل المقامة التي يمكن تلخيص خصائصها في:

ـ وضوح أثر الصنعة في السجع الذي يغلب الكاتب أحيانًا، فتطول فواصل الجُمَل المسجوعة كما في «بها من الياقوت ما يرجع خاسئًا مناويه، ومن الأشجار ما يحمل الفواكه والأفاويه».

ـ كثرة التضمين، فقد تجاوز تضمين الحكم والقرآن الكريم (بسم الله مجريها ومرساها)، «ومزاجه من تسنيم» إلى الشعر..

عذب إذا ما عب منه ناهل
فكأنه من ريق خَود ينهل

ـ اختيار بعض الكلمات التي تحتاج لقاموس مثل أفاويه «التوابل ونوافح الطيب» وثبج «وسط البحر ومعظمه» واستخدام التورية كما في «البحر في قاموسه، والغيم في طروسه».

ـ استخدام المحسنات البديعية «كالجناس كما في» جزيرة، وغزيرة، وكما في درر، وسرر.

احتفظت المقامة بخصائصها، وإن كانت قد تحولت من الاهتمام بالشكل إلى شكل ومضمون قصصي أحياناً، ونقدي في أحايين أخرى

تجديد

على أن شكل المقامة في العصر المملوكي لم يكن الشكل النهائي لها، فقد نشط بعض الشغوفين بالأدب إلى ساحة المقامة فولجوها، ومن سُبَاتها أيقظوها، وحاول بعضهم بعث شخوصها من مثواهم، بأسمائهم وسيماهم، ومن هؤلاء محمد بن إبراهيم المويلحي الذي استنطق عيسى بن هشام من قبره، وسمع منه سجعه ونثره، وكتب لنا شكلاً جديداً في المقامة لا يعتمد على قصة منتهية في حلقة واحدة، وإنما يسرد قصة واحدة ذات فصول أبطالها ثلاثة: رجل اسمه أحمد باشا المنيكلي كان يعيش في عصر محمد علي وابنه إبراهيم، مات سنوات عديدة، ثم بعث من قبره، وعيسى بن هشام، ولعله هو نفسه محمد المويلحي. ثم يتعرض لهما مكاري لئيم وتحدث بينه وبين أحمد باشا مشادة تنتهي بثلاثتهم إلى قسم (البوليس)، ويكون بداية النقد لمساوئ الإدارة، وسوء طباع القائمين عليها...

ـ وفي بداية الحديث يقول المويلحي: ـ

«حدثنا عيسى بن هشام قال: رأيت في المنام، كأني في صحراء الإمام، أمشي بين القبور والرجام، في ليلة زهراء قمراء، يستر بياضها نجوم الصحراء».

فن فحول الأدباء أوشكت على الانقراض

ثم يتجول بين القبور ويعتبر بما آلت إليه ربات الخدور فيقول:

«وأين تلك النهود التي كانت حقائق من لجين، تزينت بحَبٍّ من المرجان، أو كرات من جليد بثق فيها حب الرمان، قد أصبحت كالمخلاة على الصدر، تحمل الزاد لدود القبر».

وبينما هو في تأملاته، ونفثاته وزفراته يفاجأ بأحمد باشا يحدث رجة في القبر، ويخرج منه في السحر. يقول: -

«إذا برجَّة عنيفة من خلفي، كادت تقضي بحتفي، فالتفت التفاتة الخائف المذعور، فرأيت قبرًا انشق من تلك القبور، وقد خرج منه رجل طويل القامة، عظيم الهامة، عليه بهاء المهابة والجلالة، ورواء الشرف والنبالة، فصعقت من الوهل والوجل، صعقة موسى يوم دُكَّ الجبل...».

- واضح تأثره الشديد بالبديع الهمذاني، حيث استعار الاسم الذي اختاره وهو عيسى بن هشام، وكما كان البديع يَعني نفسه بعيسى، فإن المويلحي، أيضًا، قد اختاره للتعبير عن مكنون ذاته، والإفصاح عن إبداعاته.

انطلاق

وإذا كان المويلحي الذي ولد سنة 1858م وتوفي سنة 1930م قد عاصر أحداثًا، ونقد أحوالاً، وأضاء بالمقامات شمعة، فإن عملاقًا فحلا جذبته المقامات وهو شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي رثى المويلحي بقصيدة عصماء خلد فيها كتابه «حديث عيسى بن هشام» في بيت منها يقول فيه:

حرص المرء على عينه، وهذا النيل قد ذل بجوار قوم أهانوه، ولو كان عند غيرهم لكرموه».

وبعد أن يسخط على أمة النيل، ويهم بالرحيل، إذا به يسمع صوتًا يشق الليل بالتسبيح ويقول: «سبحان مَن حكم على الخلق بالفناء، سبحان من تفرد بالبقاء» فاقترب منه يسمع فإذا هو يخاطبه ويقول:

«أديب بائس وشاعر يائس، دهمته الكوارث، ودهته الحوادث.. أي فلان : لقد أخرجت للناس كتابًا، ففتحوا عليك من الحروب أبوابًا..».

ثم ينهي المتحدث حديث الليلة الأولى بوعد بلقاء في الليلة الثانية يقول لحافظ:

«فانكَفئ إلى كسر دارك، وبالغ في كتم أسرارك، وأقبِل غدًا مع الليل، وترقب طلوع سهيل، ومتى سمعت من قبلنا التسبيح، فقل لصاحبك الذي يليك «هَلُمَّ إلى سطيح».

وتستمر اللقاءات بين سطيح وحافظ إبراهيم، ويدور بينهما وبين الرفيق الثالث الحوار حول قضايا العصر. ومن بينها الدجل والسحر. يقول سطيح في حوار في الليلة الرابعة:

جذبت المقامات شاعر النيل حافظ إبراهيم، لكن نهجه في تناول المقامات قد لبس ثوب ليالي ألف ليلة وليلة، وتأثره بالهمذاني والحريري واضح

ويستمر في القصة حتى اشتباك المكاري ودخول قسم (البوليس).

«وتبدأ رحلة نقد عيوب البوليس والنيابة والقضاء والمحاماة وغيرها من خلال مشاجرة المكاري وأحمد باشا.

والمتأمل في أسلوب المويلحي يجده قد اتسم بصفات منها:

- استخدام السجع بجمل مسجوعة طويلة وقصيرة، ثم العدول عنه أثناء الحوار والعودة إليه.
- تضمين أسلوبه الشعر والقرآن الكريم «صعقة موسى يوم دك الجبل».
- إزجاء العبرة أثناء سرده، كما في وصف حال الحسان، وقد طواهن الزمان، وأبعدهن عن الأحباب، وغيبهن تحت التراب.
- المضمون الحقيقي للقصة، وتطويع السجع لقضايا العصر، والسخرية والازدراء بالانحراف والبعد عن الإنصاف.
- لم يخل أسلوبه من المحسنات البديعية خاصة الجناس مثل «خلفي وحتفي»، و«هول الوهل والوجل».

مات المويلحي الحسان ولم يمت حتى غزا «عيسى» العقولَ وثقَّفا

لكن نهجه في تناول المقامات قد لبس ثوب ليالي ألف ليلة وليلة، وتأثره بالهمذاني والحريري واضح، فهو لا يقص بنفسه، وإنما يختار شخصية أسطورية هي شخصية «سطيح» الكاهن الحكيم الذي يلبسه ثوب الصالحين، الذين يظهرون ويختفون، ليقول على لسانه ما يريد أن يقول، منتحيًا منحى المويلحي لا في نقد الأوضاع، وإنما في الانطلاقة نحو التنوير من تعليم البنات، وتوديع مختلف العادات.. وكما كان أبطال المويلحي ثلاثة فأبطال حافظ إبراهيم ثلاثة يتغير واحد منهم ويظل اثنان طوال الليالي لا يتغيران: هو وسطيح..وفي مقدمة «ليالي سطيح» يقف حافظ ليبث النيل لواعج شكواه من أمته، ويعقد موازنة بين زمزم التي عزت بجوار بيت الله الحرام، والنيل الذي أهانه قوم كسالى نيام. فيقول «هذه زمزم قد عزت بجوار بيت الله القديم، فتهادى بمائها القصاد، وحملوه إلى أقصى البلاد، وحرص أهلها على عينها

«السعيدة من النساء من سهلت لها الأقدار، فأصبحت تُدعَى شيخة الزار، فهي تملأ يديها ذهبًا، وبيتها نَشبًا. وترفل في الحرائر، من هبات الحرائر، رأس مالها في التجارة، رُقْيَةٌ بأسماء العفاريت الطيارة، تدخل على المقصورات في القصور، والمخدرات في الخدور، فتفتق بطبلها آذانهن، وتهز بأسماء الجن نواعم أبدانهن، وتعمي بدخان البخور نُجْل أعينهن، حتى إذا امتلكت منهن الوجدان، وصار لها عليهنَّ السلطان، حكمت فيهن حكم المنوِّم البارع، على النائم الخاضع...».

وإذا كان شاعر النيل قد اختار المقامة وسطيح لتوصيل أفكاره، فإنه قد وفق غاية التوفيق، فجميع الشخصيات في «الليالي» حقيقية فيما عدا سطيح وابنه، وإذا كانت الليالي قد اقتصرت على سبع فقد جمعت شوارد ودقائق فترة دخول الإنجليز مصر من 1882 حتى مأساة دنشواي سنة 1906م، ولو أكملها حافظ لكانت سجلاً أمينًا من بداية الاحتلال حتى وفاته

فن فحول الأدباء أوشكت على الانقراض

في 21 يوليو/تموز سنة 1932م؛ والملاحظ على أسلوب حافظ هو:

- تدفقه وانسيابه بسلاسة وطلاقة تحمل سمات شاعريته وتَمَكُّنه من ناصية البيان والعربية، ووفرة قاموسه وثرائه وغزارته.

- تضمينه الشعر للياليه، ولا غروَ فهو شاعر فحل مطبوع كما في قوله «ترقب طلوع الشمس». فهو اقتباس من قول الشاعر العربي:

ألم تر حيث سهيل طالعا

نجم يضيء في السماء لامعا

واقتباسه من القرآن كما في قول سطيح: سبحان من حكم على الخلق بالفناء، فهو يتضمن قوله تعالى: كل من عليها فان.

- البديع في سجعه مطبوع، والجناس كامل مجلة صباح الخير القاهرية، وعن بداية كتاباته للمقامات يقول عن نفسه:

«إنني أديب قراري، ليلي ونهاري، في قدح أفكاري، وقرض أشعاري، وقراءة كل مسطور، ولو كتبه مغمور، أعرف الأدب الأوروبي، وأجلس في جروبي، أتناول المايونيز، وأقرأ اللتر فرانسيز؛ ودرست كورني وراسين، وشعر لامارتين، وقرأت على أكثر من ضيف، مقالات سان بيف، وأعجبني سارتر، وترجمت بعضه، قبل أن يعرف الكثيرون أرضه...».

والحقيقة أنه صدق في تقديم نفسه، واتضح ذلك من خلال تقديمه للمقامات الذي كان يبدؤها بقوله:

«حدثنا عباس بن الأسواني، وليس له في

عباس الأسواني محامي هوى الكتابة، ووظف المقامة لنقد الأخطاء بأسلوب فكاهي فيه سعة خيال، ومباشرة في عرض الأفكار، وبسجع لا يرقى إلى مستوى الحريري أو حافظ إبراهيم

غير متكلف، وهذا واضح في «ترفل في الحرائر - جمع حرير - من هبات الحرائر - جمع حرة»، والجناس هنا تام؛ وهناك جناس غير تام بين القصور والمقصورات، والخدور والمخدرات لا يحس القارئ أو السامع فيه أثر الصنعة.

عودة

وكما سخر حافظ من مساوئ العادات، ظهر في الستينيات كاتب ليست الكتابة صنعته، ولا بضاعته وحرفته، وإنما دخلها من باب الهواية؛ لتحقيق هدف وغاية. فقد كان محاميًا، بقضايا المجتمع راعيا، لذا وجد أن أسلوب المقامة الساخر، أفضل أسلوب لنقد الأخطاء، ملقيًا عليها الأضواء. ولم يلتزم أسلوب من سبقوه في ابتكار أشخاص يلازمونه، وإنما كانت كل مقامة قائمة بذاتها، بأشخاص جدد. واعتمد على تجسيم الأخطاء بأسلوبه الفكاهي الذي كان يماثل طبعه المرح وطريقته الساخرة في الحديث، وقد جمع مقاماته في كتاب، ولم يتركها متناثرة في أعداد حب الكلام ثاني».

ويبدو أنه أحس بالتجاوز حين قدم نفسه راويًا، ولم يلتزم منهج البديع الهمذاني، فاقتفى أثر المويلحي في عودة عيسى بن هشام إلى الحياة من قرافة الإمام، وجعل حديث المقامة على لسانه، وقد طبع هذه المقامات في كتاب شأن سالفتها وأسمى الكتاب «عائد من الآخرة» ومقاماته التي أودعها كتابه هذا أنضج من سابقتها. حيث تعرض لمشكلات المجتمع مباشرة دون مواربة أو رمز، فهو مثلاً يتحدث عن مشكلة الغلاء فيقول على لسان عيسى بن هشام:

«يجب على الحكومة أن تبادر بإيجاد الحلول، حتى لا تختل العقول، فقد ارتفعت الأسعار، وأصابها سُعَار، أصبح قليلو الدخل يسيرون، لا يفكرون في اليقظة والنوم، إلا في البصل والثوم...

ثم يتطرق إلى الحديث عن اللحم فيقول:

«أما كيلو اللحم، بالعضم والشحم، فثمنه كان يشترى به خروف، من حي معروف، واللحم الآن لا يتذوقه الأولاد، إلا في الأعياد، وبعد أن تبكي الأم، وتهدد بشراء السم...».

وعندما يتحدث عن مشكلة المواصلات على لسان عيسى بن هشام يقول:

«حالة مهينة لكرامة العباد، وتزري بسمعة البلاد، ولو كنت مسؤولاً عن (الأتوبيس) لسلمت نفسي إلى (البوليس)، أو لانتحرت بتعاطي شطة، عند أقرب محطة، فلا يوجد أي سبب معقول لحشر الناس كالعجول، بل أقسم بالله إنني في أيامي كنت أتردد على صديق يملك دكانه، في ناحية السلخانة، فكنت أشاهد العجول على السيارات محطوطة وهي مبسوطة، وكل عجل له مكان يقف فيه، بعيدًا عن أخيه...».

ومن استقراء المقامة الأسوانية، وحديث عيسى بن هشام تتضح ملامح الأسواني وأسلوبه..

- فهو واسع الخيال يمتاز بالظرف والتفكه والسخرية في عرض قضيته، بحيث لا تضيع وسط الفكاهة والتندر.

- أسلوبه مباشر في عرض الأفكار، وكلماته بسيطة قريبة من الكلمات الدارجة، بل إنه يستعمل الكلمات العامية أحيانًا، مثل العضم، محطوطة مبسوطة» لتوصيل المعنى الذي لم تسعفه فيه الكلمة الفصيحة.

- أما سجعه فإنه معقول، إذ إنه ليس في مستوى سجع الحريري، أو حافظ إبراهيم؛ لأنه مرة يطول، ومرة يقصر، وقد يكون الطول والقصر في سجعتين متلازمتين، كما في قوله: «بل أقسم بالله إنني في أيامي كنت أتردد على صديق يملك دكانه، في ناحية السلخانة»، ولو طال عمره لأمتعنا بعطائه الغزير، وأفكاره العميقة الطريفة، لكن الله اختاره بجواره عن 52 سنة إذ إنه ولد في 20 يناير/كانون الثاني سنة 1925م وتوفي في منتصف يوليو/تموز 1977م.

وهناك في وقتنا الحاضر من يحاول مد عمر ذلك الفن الأدبي الطريف، الذي يحتاج إلى ثورة لغوية غزيرة، وأفق واسع وثقافة كبيرة وخيال مبدع، وممن يحاولون إبداع المقامات الآن كمال عمار، والضعيف كاتب هذه السطور، والتي تنشر له مجلة «صباح الخير» القاهرية بعض هذه المقامات.

مدرسة المشاغبين

محمد علي الجفري

وصلت الشرطة إلى أحد المساجد يوم جمعة، ودخلت المسجد والإمام في الركعة الأولى، وقامت بالقبض على عديد من الفتيان بين السابعة والحادية عشرة في الصفوف الأخيرة وهم يتكلمون بأصوات تشوش على الإمام والمصلين، وأودع رجال الشرطة هؤلاء الغلمان المشاغبين في ثلاث سيارات وأخذوهم إلى المخفر.

هدأت الضجة في المسجد واستمع المأمومون إلى قراءة الإمام، وقرؤوا وسبّحوا ربّهم؛ ولما انتهت الصلاة بحث الآباء عن أبنائهم فلم يجدوهم، فظنوا أنهم خرجوا، فبحثوا عنهم فلم يجدوهم، فعادوا إلى المسجد لدى خروج المغادرين، ثم اتّجه بعضهم إلى الإمام، فقال لهم: إنه يرجح أن الشرطة قد حجزتهم. ويبدو أن الإمام لَمّح لبعضهم إلى أي مخفر يتجهون. فذهب الآباء وأولياء الأمور، ووجدوا أبناءهم محجوزين في الحفظ والصون في مخفر الشرطة.

وفي المخفر لم يتسلّم أحد ولده أو مولاه إلا بعد التوقيع على تعهد باحترام بيوت الله، وتأديب ولده بأدب الإنصات، وأدب الخشوع في المسجد، والمحافظة على العبادة من اللغط والتشويش.

وكان إمام المسجد قد لاحظ الإزعاج والضجيج الذي يسببه الغلمان خلال الخطبة، بل وخلال الصلاة حتى الركعة الأولى، فلا يصمتون إلا حينما يوشك الإمام أن يقول «سمع الله لمن حمده» في ركعته الأولى. عندها يسارعون إلى التكبير واللحاق بالصفوف وبالصلاة، وربما ضاعت الركعة الأولى على بعضهم.

وتحدّث الإمام في الخطبة حول أهمية الإنصات والأدب في المساجد، ثم تحدث في الجمعة الثانية، ثم كرّر التنبيه والتأكيد على ضرورة احترام بيوت الله، ولكن يبدو أن ذلك لم يُجْدِ ولم ينفع.

عند ذلك لجأ الإمام إلى الشرطة، اتصل بهم بالهاتف أو حدث أحدهم، وفي المخفر أبلغت الشرطة أولياء أمور الفتيان المشاغبين بأن عليهم إلزام أبنائهم ومواليهم احترام شعيرة الخطبة والصلاة وإلا فإنهم سيتعرضون للحجز مدّةً أطول، وللجَلْد، وإن الآباء أيضًا سيتعرضون للمساءلة إذا لم يؤدبوا أبناءَهم.

ولما سمعت ذلك لم أستغرب أن يحدث ما حدث، ولا أن يتوب المشاغبون وأن يثوبوا إلى رشدهم، ولا أن يجعل القيِّمون على المسجد وعلى الشرطة من التأديب بالسياط والعصي ملاذًا أخيرًا، حيث لم تنفع الإشارة حليمًا ولا فهيمًا. قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يَكُ راحمًا
فَلْيَقْسُ أحيانًا على من يرحم

ذلك أنني شهدت بعيني في المسجد الذي أصلي فيه الجمعة ظاهرة قريبة من ذلك، وهي أن بعض الصبيان كانوا يشربون الماء من ثلاجات ثلاث وضعت في الصف الأول، فبدأ الغلمان يروحون ويأتون إلى الثلاجات، ثم يعودون، فإذا رآهم أولاد آخرون فعلوا مثلهم والإمام يخطب، ثم إذا بالكبار الراشدين يقومون أثناء الخطبة ويتخطون الصفوف إلى الصف الأول كي يشربوا والإمام ينظر مستهجنًا منزعجًا، حتى إذا طفح الكيل اضطر الإمام لتنبيه الأولاد، بل والكبار بالصبر وعدم مقاطعة الخطبة وتخطي الصفوف. فهذه الثلاجات هي من أجل إسعاف مسافر، أو مريض، أو ظامئ لا يستطيع الانتظار. ولكن على من تقرأ زبورك ياداود؟ فما إن جاءت الجمعة التالية، وبدأ الخطيب يخطب، حتى بدأت وفود طالبي السقيا، وكأنّ جدة ليس فيها أكبر محطة تحلية في الكون. وهنا فاض فيضان الحليم فتم نزع موصل الكهرباء عن الثلاجات وتوجيه وجهها إلى الحائط مستدبرة المصلين، حتى إذا حان موعد الخطبة في جمعة تالية وبدأت الوفود تصل، وكأنهم ما جاؤوا إلا للشرب وليس للجمعة، إذا بهم يعودون بخفي حنين. وقد مرت أشهر الآن منذ إيقاف خدمة المياه لعابري السبيل، والسبب منا نحن الذين لا نلتزم الأدب المطلوب من رواد المساجد.

ولقد حضرت صلاة الظهر في إحدى المدارس ولشدة الإزعاج شعرت كأني في حظيرة للدجاج، حتى ركع الإمام الركعة الأولى، فسكت الطلاب فجأة، وانتظموا فجأة في الصلاة.

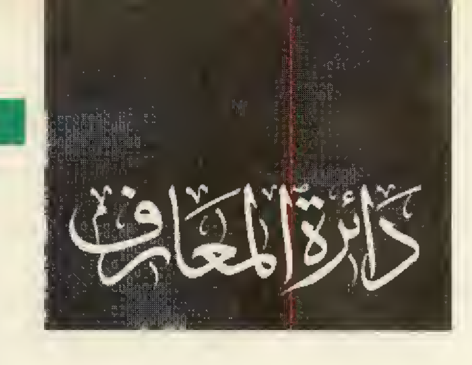
والشيء بالشيء يذكر، فقد اختصم رواد أحد المساجد في مصر على موعد صلاة التراويح، فبعضهم قال: نصلي ثماني ركعات، والبعض قال: نصلي عشرين، وارتفعت أصواتهم واحتدم النقاش، وكان بينهم حسن البنا، الإمام الشهيد، فأخذ المفتاح من الإمام وأقنع المصلين بالخروج من المسجد، حتى إذا خرجوا قال لهم: إن صلاة التراويح سنّة، وأما الخصام بين المسلمين فحرام؛ فنحن سنترك هذه السنّة، كي لا نقع في الحرام، ثم أغلق باب المسجد بالمفتاح.

إن الأبناء يتصرفون وفق سلوكيات متعارف عليها في المجتمع، فالآباء أنفسهم، إلا من رحم الله. ليسوا قدوة تحتذى، وكثير منهم يترك الحبل على الغارب لأبنائه. ومن يشاهد حفلات قصور الأفراح يدرك بكل سهولة انفلات الزمام في التربية. فالأولاد يتراكضون دون أن يفرقوا بين مكان عام للجلوس والشارع. والحال نفسه موجود في قاعات النساء. ولا يعد أن يسمع الناس كلمات بذيئة نابية من بعض الأطفال خصوصًا الأولاد.

فهل ندعو الشرطة لكي تنظم قاعات الحفلات؟ وقاعات المهرجانات؟ والمدارس؟ والمساجد؟ والمستشفيات؟ أم إن على الآباء والأمهات، وكذلك على المدرسين وأئمة المساجد واجب تربية النشء الصاعد وإلزامهم الأدب والذوق الحسن، والسلوك المحبب للنفوس؟ أم نمنع أبناءَنا وبناتنا ونبني لهم سجونًا في داخل المنزل؟

وإذا لم يتحقق السلوك المهذب، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. والعقاب أمر طبيعي للمستهترين. أما ما يسمى بالتربية الحديثة، فذلك كلام فارغ من عقول فارغة خرج من تحت مظلتها شباب مدرسة المشاغبين الذين لم يعد ينفع معهم استخدام السوط أو العصا، بعد أن نبت شعر شواربهم ولحاهم، واستبدوا بأمورهم رغم أنف آبائهم الذين أهملوهم في طفولتهم.

وإذ ننبه في الختام إلى عدم الإسراف في التدليل وإلى الاعتدال في التربية، فإننا نذكر أنفسنا والآباء بأن أفضل استثمار في هذا الكون هو أن يكون عندك قرة عين من البنات والبنين.





النباتات في القرآن الكريم

إعداد:
عبدالحميد حسانين حسن



الأثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يُعَمَّر، جيد الخشب، كثير الأغصان، دقيق الورق، واحدته: أثلة، وذكر صاحب محبط المحيط أن الأثل: شجر عظيم من الطَّرْفاء وقيل يشبه الطَّرْفاء ويُعْرَفُ حبُّه عند العطارين بالعَذْبة وأيضًا واحدته أثلة(1)، وذكر صاحب لسان العرب أنه: شجر يشبه الطَّرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عودًا تسوّى به الأقداح الصُّفر الجياد(2).

وقد ورد ذكر الأثل في القرآن الكريم في آية واحدة، إذ يقول الله تعالى: *فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وبدَّلْنَاهم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ.* **سبأ**:16.



البصل: جاء في المعجم الوسيط أن البصلة: جسم نَبْتَة محوريٌّ، ينمو تحت الثّرى، وله جذور دقيقة تضربُ تحته، وأغصان ترتفع قليلاً فوق سطح الأرض.

ومنه المغلَّف الذي يؤكل، وغير المغلف كبصلة الشُّوسن(3).

وقد ورد ذكر البصل في القرآن الكريم في آية واحدة في سورة البقرة، إذ يقول الله تعالى: *فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا.* **البقرة**:61.

البقل: ذكر صاحب محيط المحيط أنه: كل ما ينبت الربيع من العشب. مما يأكله الناس وفرعه في الشتاء فهو بقل، وذكر ابن منظور عن الليث أن البقل: هو من النبات ما ليس بشجر دقٍ ولا جلٍّ(4).

وقد ورد ذكر البقل في القرآن الكريم في آية واحدة في سورة البقرة، حيث يقول تعالى: *فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا.* **البقرة**:61.



التين: ذكر صاحب لسان العرب أن التين الذي يُؤكل، والتين شجر البَلَس، وقيل: هو البَلَسُ نفسه، واحدته تينة(5). وجاء في المعجم الوسيط أن التين: شجر من الفصيلة التوتية، ويعرف في مصر بالتين البرشومي، حيث إن هناك التين الشوكي: ضرب من الفصيلة الشوكية(6). وقد ورد ذكر التين في القرآن الكريم في موضع واحد في سورة التين، حيث أقسم الله تعالى بالتين والزيتون لعظمة نفعهما، فيقول سبحانه: *وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ.* **التين**:1.



الثمار: جاء في لسان العرب والمعجم الوسيط أن الثمرة واحدة الثمر، وهو حَمْلُ الشجرة، وأثمر الشجر: بلغ أوان الإثمار(7). وقد ورد ذكر الثمر أو الثمار في أربعة وعشرين آية موجودة في اثنتي عشرة سورة، ومن ذلك قوله تعالى: *وكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فقال لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا.* **الكهف**: 34. وقوله تعالى: *وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ ونقص مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ.* **الأعراف**:130. كما ورد ذكر الثمر والثمار في مواضع كثيرة أخرى هي: **البقرة**: 22، 25، 126، 266، **الأنعام**: 99، **الأعراف**: 57، **الرعد**: 3، إبراهيم: 32، 37، النحل: 11، 67، 69، **الكهف**: 42، **القصص**: 57، **فاطر**: 27، يس: 35، **فُصّلت**: 47، **محمد**: 15.



الحب: ذكر صاحب لسان العرب أن الحبُّ: الزرع، صغيرًا كان أم كبيرًا، واحدته حبَّة، والحبُّ معروف مستعمل في أشياء جمة: حبة من بُر، وحبة من شعير ونحوهما(8). وجاء في المعجم الوسيط أن الحبَّ: هو ما يكون في السنبل والأكمام، كالقمح والشعير(9). وقد جاءت كلمة حب في مواضع كثيرة لتفيد قدرة الله سبحانه وتعالى على إخراج النبات من الحبة، كما وردت في آيات أخرى لتعطي دلالة على القمح وقدرة الله على إنزال المطر وإنبات القمح، وفي ذلك يقول الله تعالى: *إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.* **الأنعام**:95.

ورد ذكر الحَبّ في آيات أخرى منها: **الأنعام**: 59، 99، **الأنبياء**: 47، **لقمان**: 16، **يس**: 33، ق: 9، **الرحمن**: 12، **النبأ**: 15، **عبس**:27.



الخردل: ذكر صاحب محيط المحيط أن الخردل: حب صغير جدًا أسود مقرّح يستعمل ضمادًا لجذب المادة نحوه بواسطة الحرارة التي يؤثرها في العضو المضمَّد به. وله شجر بَرِّيّ وبستاني(10). وجاء في المعجم الوسيط أنه: نبات عُشْبيٌّ من الفصيلة الصليبية ينبت في الحقول وعلى حواشي الطّرق، تستعمل بذوره في الطب، ومنه بذور يُتَبَّلُ بها الطعام، ويضرب به المثل في الصغر فيقال ما عندي خَرْدَلَةٌ من كذا(11).

وقد ورد ذكر الخردل في موضعين، الأول في سورة لقمان، حيث يقول تعالى: *يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.* **لقمان**: 16. والموضع الثاني في سورة الأنبياء، حيث يقول تعالى: وَإِنْ

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ. **الأنبياء**: 47.



الرمان: جاء في المعجم الوسيط أن الرمان: شجر مثمر من الفصيلة الآسيَّة، يؤكل حبّه، واحدته رمّانة (12). وقد ورد ذكر الرّمان في القرآن الكريم في ثلاث آيات موجودة في سورتين هما: الأنعام، والرحمن، ومن ذلك قوله تعالى: *فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ*. **الرحمن**: 68. وكذلك قوله تعالى: *وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ*. **الأنعام**:99. وكذلك قوله تعالى: *وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ*. **الأنعام**: 141.

الريحان: جاء في المعجم الوسيط أن الرَّيحان: جنس من نبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية، وكل نبت طيب الرائحة، والجمع رياحين(13)، وقد ورد ذكر كلمة الريحان في موضعين من القرآن الكريم، الأول في سورة الواقعة، حيث يقول الله تعالى: *فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ*. **الواقعة**:89. وكذلك في سورة الرحمن، حيث يقول الله تعالى: *وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ*. **الرحمن**:12.



الزنجبيل: جاء في المعجم الوسيط أن الزنجبيل: نبات من الفصيلة الزنجبارية له عروق غلاظ تضرب في الأرض حريفة الطعم، وذكر صاحب محيط المحيط التعريف نفسه إلا أنه زاد أن كلمة الزنجبيل معرب شنكبيل بالفارسية(14). وقد ورد ذكر الزنجبيل في القرآن الكريم في آيةواحدة في سورة الإنسان، إذ يقول الله تعالى: *وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا*. **الإنسان**: 17.

الزيتون: شجر مثمر زيتيٌّ تؤكل ثماره بعد ملحها، ويعصر منها الزيت، والواحدة زيتونة(15)،وجاء في محيط المحيط أنه: شجر جليل القدر عظيم النفع طويل البقاء في الأرض، حتى إنه يتجاوز ألف سنة، ويقال لدهنه الزيت ولثمره الزيتون أيضًا(16). وقد ورد ذكر الزيتون في خمس آيات كريمات، ومن ذلك قول الله تعالى: *يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ*. **النحل**: 11. كذلك وردت في سورة **الأنعام**: 99، و141، وفي سورة **النور**: 35، وسورة **عبس**:29.



السدر: ذكر صاحب لسان العرب أن السِّدر شجر النَّبق، ونقل عن ابن زياد أنّ السِّدر من العضاه، وهو لونان: عُبريٌّ، وضالٌّ، فأما العُبريُّ فما لا شوك فيه إلا ما لا يضير، وأما الضال فهو ذو شوك(17)، وجاء في المعجم الوسيط ومحيط المحيط أن السِّدْرَ: شجر النبق، واحدته سِدْرَة، وسدرة المنتهى شجرة في الجنة(18). وقد ورد ذكر السِّدْر في القرآن الكريم في أربع آيات، حيث يقول تعالى: *فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ*. **الواقعة**: 28. وقوله تعالى: *عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى*. **النجم**: 14-16. وقوله تعالى: *وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ*. **سبأ**:16.

السنابل: ذكر صاحب لسان العرب أن السنبل معروف وجمعه السَّنابل، وذكر عن ابن سيده أن السنبل من الزَّرع واحدته سنبلة، السنابل سنابل الزرع، البُرّ والشعير والذرة(19)، وجاء في المعجم الوسيط ومحيط المحيط أن السنبل والسنابل هي جزء النبات يتكون فيه الحب(20). وقد ورد ذكر السنابل والحب في القرآن الكريم في أربع آيات كريمات، ثلاث منها في سورة يوسف، وواحدة في سورة البقرة، حيث يقول الله تعالى: *مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ*. **البقرة**: 261.



الشجر: جاء في المعجم الوسيط أن الشجر: نبات يقوم على ساق صُلبة، وقد يطلق على كل نبات غير قائم(21). وقد ورد ذكر الشجرة في القرآن الكريم في خمسة وعشرين آية موزعة على تسع عشرة سورة، ومن ذلك قوله تعالى: *أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ*. **الحج**:18. كما ورد ذكر الشجر في السور الآتية: سورة **البقرة**: 35، سورة **الأعراف**: 19، 20، 22، سورة **النحل**:10 و68، وسورة **إبراهيم**: 24 و26، وسورة **الإسراء**: 60، وسورة **طه**:120، وسورة **المؤمنون**: 20، وسورة **النور**: 35، وسورة **النمل**: 60، وسورة **القصص**: 30، وسورة **لقمان**: 27، **ويس**: 80، وسورة **الصافات**: 62، 64، 146، وسورة **الدخان**: 43، وسورة **الفتح**: 18، وسورة **الواقعة**:52،و72.



الطلح: شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل، وكذلك جاء بمعنى الموز(22)، وذكر ابن منظور أن الطلح: شجرة حجازية لها شوك أحْجَنُ، ومنابتها بطون الأودية، وهي أعظم العضاه شوكًا، وأصلبها عودًا، وأجودها صمغًا، وقد نقل عن أبي حنيفة الدينوري قوله: الطَّلح أعظم العضاه، وأكثره ورقًا، وأشدّه خضرة، وله شوك ضخام طوال، وشوكه من أقلّ الشوك أذى(23). وقد ورد ذكر الطَّلح في القرآن الكريم في آية واحدة، حيث يقول تعالى في سورة الواقعة: *وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ*. **الواقعة**: 29.



العدس: ذكر صاحب محيط المحيط أن العدس: حبٌ منه بريٌ صغير إلى استدارة، ومنه بستاني مفرطح يؤكل(24). وجاء في المعجم الوسيط أن العدس: عُشب حولي دقيق الساق، من الفصيلة القرنية وأوراقه مركبة ريشية ذات أُذينات دقيقة، وثمرته قرْن مفلطح صغير فيه بذرة أو بذرتان تنفشر كل بذرةعن فلقتين برتقاليّتي اللون، وإذا لم تنقشر فهو العدس أبو جبة(25).وقد ورد ذكر العدس في القرآن الكريم في آية واحدة، حيث يقول تعالى: *فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا*. **البقرة**:61.

العنب: جاء في محيط المحيط أن العنب: ثمر الكرم وهو طريٌّ، فإذا يبس فهو الزبيب. الحبة منه عنَبَة والجمع أعْنَابٌ، وذكر نحو ذلك المعجم الوسيط(26). وقد ورد ذكر العنب في إحدى عشرة آية موجودة في عشر سور، ومن ذلك قوله تعالى: *وَعِنَبًا وَقَضْبًا*. **عبس**: 28. وكذلك قوله تعالى: *وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ*

لآيةً لقوم يعقلون. **النحل**:67. وكذلك ورد في السور الآتية: سورة **البقرة**: 266، وسورة **الأنعام**: 99، وسورة **الرعد**: 4، وسورة **النحل**: 11، وسورة **الإسراء**: 91، وسورة **الكهف**: 32، وسورة **المؤمنون**: 19، وسورة **يس**: 34، وسورة **النبأ**: 32.



الفواكه : وهي جمع فاكهة، وهي الثمار اللذيذة، والفاكهة مؤنث الفاكه وما يُتفكّه به أي يُتنعّم بأكله رطبًا أم يابسًا كالتين والبطيخ والزبيب واللوز والرّمان(27). وقد ورد لفظ فاكهة وفواكه في أربع عشرة آية كريمة موزعة على إحدى عشرة سورة، ومن ذلك قوله تعالى: *لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ*. يس: 57. وكذلك قوله تعالى: *فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ*. **المؤمنون**:19.

كما ورد في سورة **الصافات**: 42، وسورة ص: 51، وسورة **الزخرف**:73، وسورة **الدخان**: 55، وسورة **الطور**: 22، وسورة **الرحمن**: 11، 52، وسورة **الواقعة**: 32، وسورة **المرسلات**: 42، وسورة **عبس**: 9.

الفوم: ذكر صاحب محيط المحيط أن الفوم: لغة في الثوم: وأيضًا، الحنطة والحمّص والخبز وسائر الحبوب التي تخبز(28)، وذكر ابن منظور أن الفوم: الزرع أو الحنطة، وقيل الفوم لغة في الثوم(29). وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة البقرة، حيث يقول سبحانه وتعالى: *فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا*. **البقرة**: 61. وقد اختلف السلف في معنى الفوم، فوقع في قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء، وكذا فسّره مجاهد، وقال آخرون، الفوم: الحنطة، وهو البُرُّ الذي يعمل منه الخبز. وهذا قول ابن عبّاس، وكذلك مجاهد وعطاء، وكذلك السدّيّ وقتادة والحسن البصري وغيرهم والله أعلم.



القثاء : جاء في محيط المحيط أن القثّاء بكسر القاف وضمها نوع من الفاكهة يشبه الخيار أو هو الخيار، وجاء في المعجم الوسيط بمعنى نوع من البطيخ، نباتي قريب من الخيار لكنه أطول(30). وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في آية واحدة، وهو قول الله تعالى: *فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا*. **البقرة**: 61.

القضب : ذكر ابن منظور أن القَضْب: ما أكل من النبات المُقْتَضَب غَضًّا(31)، وجاء في المعجم الوسيط ومحيط المحيط نقلاً عن اللسان: أنها كل شجرة طالت وبسطت أغصانها(32).

وقد ورد ذكر القضب في القرآن الكريم مرة واحدة، إذ يقول تعالى: *فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا*. **عبس**: 27-28.



الكافور : شجر من الفصيلة الغارية تتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض، رائحتها عطريّة وطعمها مرٌّ، وهو أصناف كثيرة(33) وذكر صاحب محيط المحيط أن الكافور: نبت طيب نَوْرُه كنَور الأقحوان والطّلع أو وعاؤُه(34)، وذكر ابن منظور أنه: كُمُّ العنب قبل أن يُنَوِّر(35). وقد ورد ذكر الكافور في القرآن الكريم مرة واحدة، إذ يقول الله تعالى: *إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا*. **الإنسان**: 5.



النخيل : ذكر صاحب لسان العرب أن النخلة: هي شجرة التمر وجمعها نخل ونخلات(26)، وجاء في المعجم الوسيط أن النخلة: شجرة من الفصيلة النخلية كثيرة في بلاد العرب، ولاسيما الحجاز والعراق، ومصر، ويزرع لثمره المعروف بالبلح والتمر(37). ووردت في القرآن الكريم بلفظ لِيْنَة: ما قطعتم من لينة... الحشر: 5. .

وقد ورد في القرآن الكريم لفظة النخل والنخيل إحدى وعشرين مرة، موجودة في سبع عشرة سورة، ومن ذلك قوله تعالى: *وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ*. ق:10. وكذلك قوله تعالى: *فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ*. **الرحمن**:11. كذلك جاء ذكر النخل والنخيل وما يتعلق به في سور أخرى: سورة **البقرة**: 266، وسورة **الأنعام**: 99، 144، وسورة **الرعد**: 4، وسورة **النحل**: 11، 67، وسورة **الإسراء**: 91، وسورة **الكهف**: 32، وسورة **مريم**: 23، 25، وسورة **طه**: 71، وسورة **المؤمنون**: 19، وسورة **الشعراء**: 148، وسورة **يس**: 34، 39، وسورة **القمر**: 20، وسورة **الرحمن**: 68، وسورة **الحشر**: 5، وسورة **الحاقة**: 7، وسورة **عبس**: 29.



اليقطين : جاء في لسان العرب أنه: كل شجر لا يقوم على ساق نحو الدُّبّاء، والقرع، والحنظل، وذكر صاحب المحيط أن اليقطين: النبات الذي لا ساق له كالحنظل والقثاء، ولكن غلب استعماله في العرف على الدُّبّاء وهو القرع المستدير كالبطيخ، وذكر نحو ذلك المعجم الوسيط(38). وقد ورد ذكر اليقطين في آية واحدة، حيث قال تعالى: *وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ*. **الصافات**: 146.

الهوامش والمراجع:

1- المعجم الوسيط، محيط المحيط: أثل.
2- لسان العرب: أثل.
3- المعجم الوسيط: بصلة.
4- محيط المحيط، لسان العرب: بقل.
5- لسان العرب: تين.
6- المعجم الوسيط: التين.
7- لسان العرب، المعجم الوسيط: تمر.
8- لسان العرب: حبب.
9- المعجم الوسيط: حَبٌّ.
10- محيط المحيط: خرد.
11- المعجم الوسيط: خرد.
12- المعجم الوسيط: رم.
13- المعجم الوسيط: راح.
14- المعجم الوسيط، محيط المحيط: زنجب.
15- المعجم الوسيط: زات.
16- محيط المحيط: زيت.
17- لسان العرب: سدر.
18- المعجم الوسيط، محيط المحيط: سدر.
19- لسان العرب: سنبل.
20- المعجم الوسيط: سنبل، محيط المحيط: سنبل والآيات الأخرى التي جاء ذكر السنابل فيها هي: يوسف: 43، 46، 47.
21- المعجم الوسيط: شجر.
22- المعجم الوسيط، محيط المحيط: طلح.
23- لسان العرب: طلح.
24- محيط المحيط: عدس.
25- المعجم الوسيط: عدس.
26- محيط المحيط، المعجم الوسيط: عنب.
27- محيط المحيط، المعجم الوسيط: فكه.
28- لسان العرب: فوم.
29- تفسير ابن كثير، طبعة دار الأندلس بيروت، سورة البقرة الآية: 61.
30- محيط المحيط: قثا، المعجم الوسيط، أقثا.
31- لسان العرب: قضب.
32- محيط المحيط، المعجم الوسيط: قضب.
33- المعجم الوسيط: كفر.
34- محيط المحيط: كفر.
35- لسان العرب: كفر.
36- لسان العرب: نخل.
37- المعجم الوسيط: نخل.
38- لسان العرب، محيط المحيط، المعجم الوسيط: قطن.

قصة قصيرة

وغابت القرية

د. عبدالخالق مساعد الزهراني

يابَنيّ إني أرغب في العودة إلى القرية.

قالها الأب المسنّ - وهو يغالب دمعة أبت إلا أن تعلن عن شوق دفين لا يمكن إخفاؤه - ومدّ يده المرتعشة ومسح تلك الدمعة التي خانت صبره.

حاول الأبناء جهدهم أن يقنعوا أباهم بالبقاء معهم في المدينة، حيث الراحة والخدمات المتوافرة التي سيفتقدها في القرية.

ولكن الأب أصرّ على طلبه، وألحّ عليهم فيه.

اجتمع الأبناء ليناقشوا طلب أبيهم المفاجئ، فاختلفت آراؤهم، وعلت أصواتهم...

وليد: لا يمكن تلبية طلبه أبدًا.

محمد: ولماذا؟

عادل: أنا أقول لك لماذا؟... لأنّ القرية ليس لنا فيها سوى منزل قديم، بني بالحجر والطين، ولا يستطيع أحد البقاء فيه لحظة واحدة...

وليد: وما يدريك أنه باق على ما عهدناه عليه؟! ربما تهدّم..

عادل: نعم، فسقفه من الخشب، وقد مرّ عليه زمن طويل، ولا أظنه يبقى متماسكًا إلى الآن...

وليد: لقد نسيت شيئًا مهمًا..

عادل: ما هو؟

وليد: لو كان المنزل جيدًا، وصالحًا للسكنى، فمن سيبقى مع هذا الشيخ الكبير، ومن سيصبر على عناء القرية بعد أن عاش في أضواء المدينة؟!

عادل: هذا أمر مهم، وقد شغلنا التفكير في أمر البيت عن التفكير فيه..

وليد وعادل يتعاقبان في طرح الأسئلة، والافتراضات المتنوعة والمقنعة التي لا تترك معها فرصة للسماح بذهاب أبيهم إلى القرية...

كلّ هذا يجري بينهما، ومحمد مطرق، كأنه يعيش في مكان آخر غير هذا المكان الذي يتناقشون فيه...

وقد أعجب صمتُه أخويه، فزاد طرحهما لكثير من الأسئلة والافتراضات، كانا يريانها مقنعة في عدم استجابتهما لطلب أبيهما... وبدت عليهما علامات الرضى والارتياح، فقد ظنّا أنّ أخاهما إنما سكت عن مجادلتهما لقوة ما أبدياه من حجج منطقية، وأنّه موافق على كلّ ما سمعه منهما...

ولكنه فاجأهما بما لم يكونا يتوقّعانه...

وليد! عادل! ناداهما بصوت عال وكأنهما بعيدان عنه..

- نعم، ما تريد؟!

- أنا سأذهب مع أبي إلى القرية، وسأعيش معه فيها، و...

- هل جننت؟! وكيف ستعيش هناك؟ ومن سيهتم بكما؟!

- وأين ستعمل؟! وهل ستترك عملك؟! و... و...

انهمرت الأسئلة الكثيرة التي تنكر عليه هذا القرار... وهو هادئ لا يتحدّث إليهما إلاّ بعد انتهائهما من كلامهما الكثير، ثم قال بعد صمت طويل:

- لقد تحدثتما وناقشتما كثيرًا، ولكنكما نسيتما شيئًا واحدًا لم تذكراه...

قالا بلهفة: ما هو؟

محمد: لقد نسيتما البر بالوالدين..

- كلنا نبرّ أبانا، لست الوحيد الذي يفعل هذا...

- إذن ليصحبه أحدكما إلى القرية..

هذا لا يمكن..

محمد: ولماذا؟

ـ ألم تقتنع بشيء مما قلناه سابقًا؟! أو لم تكن حاضرًا معنا؟!

محمد: نعم، كنت مشغولاً عنكما بالتفكير في أبي، لقد حرمناه مما يتمناه، وحبسناه بين جدران المنزل، وكلّ واحد منا مستمرّ في عمله، لم نلتفت إلى ما يعانيه من الغربة..

ـ الغربة؟! أيّة غربة تتحدث عنها، وهو بيننا؟!

محمد: نعم إنه يعيش بيننا، ولكنه بحاجة إلى الجلوس مع من يقاربه في السنّ، والحديث معه... إنه بحاجة إلى الحركة والمشي في الهواء الطلق... والنظر إلى الأرض الخضراء والعيون الجارية. وأن يستمع إلى أصوات الطيور وخرير المياه... ألم يحدثنا كثيرًا عن أيامه في القرية وعن حبّه لمزرعته، وماشيته... فلماذا نحرمه الآن من الحياة التي تسعده وهو في أمسّ الحاجة إليها؟!

ـ إنّك تريد أن تعود إلى الوراء خمسين عامًا..

محمد: لا أبالي بذلك مادمت سأسعد أبي... ولن أتراجع عن رأيي هذا مهما كان الأمر..

ـ وعملك في التدريس هل ستتركه؟

محمد: لا لن أتركه.. المدارس منتشرة في كلّ مكان، حتى القرى فيها جميع المراحل الدراسية.. وسأطلب نقلي إليها.. ولي أمل أن ييسر الله أمري ما دمت أسعى لإرضاء أبي

ـ أجابه أخواه بسخرية: سيلبى طلبك سريعًا.. فمن يرغب الانتقال من المدينة إلى القرية؟! الناس يتزاحمون على أبواب المدينة فرارًا من القرية، وأنت ترغب العودة إليها..

وأضافا: بل سيكافئونك على رغبتك هذه...

محمد: قلت لكما هذا قراري ولن أتراجع عنه..

ـ اصنع مابدا لك. أما نحن فلا تنتظر منا أيّ عون أو مساعدة...

ـ نعم، سأصنع... ولن أنتظر...

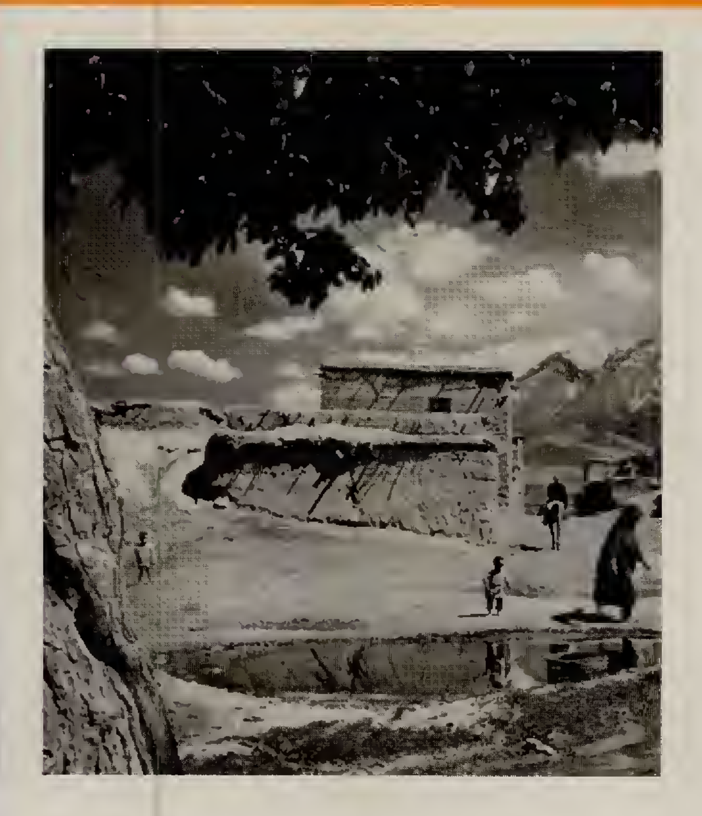
....

محمد: ها نحن أولاء يا أبي على مشارف القرية...

ـ انتظر قليلاً يا بُنيّ فإني أريد النزول إلى هذا الوادي..

ـ وماذا تريد منه يا أبي؟ إني لا أرى فيه شيئًا..

ـ إنه يا بنيّ من أشهر الوديان، وأغناها ماء وأشجارًا.. إنه دائم الخضرة...



ـ غفر الله لك يا أبي لِمَ تخلع النظارة؟ ألم يوصك الطبيب بعدم خلعها؟

ـ وأين هي الآن؟ ابحث عنها يا بني.

ـ ها هي ذي.. ضعها على عينيك وانظر إلى الوادي...

ـ آه.. آه.. ما الذي حدث؟! وبدأ الشيخ يكلّم نفسه ويتمتم، وابنه يتأمل في صمت حزين.

ـ أين ذهبت الأشجار... أين السِّدر والسَّلم والسَّمر.. أين المرخ والأعشاب الكثيرة التي كنا نخشى المرور عليها خوفًا مما تخبئه تحتها من الأفاعي والثعابين... أين تلك الأرانب التي كانت تقفز من كلّ جانب.. أين العصافير والحمائم وأعشاشها... أين ذلك الندى والشذا الذي كان يفوح عطره في الأرجاء...

آه.. يا بني ما الذي حدث؟! لقد كانت في هذا الوادي حياة وأي حياة! كانت إغفاءة فيه تغني عن نوم ساعات طويلة، تهبّ بعدها وافر القوّة والحيوية.. وكان هناك غدير عذب رشفة من مائه البارد تذهب العطش..

ـ لعلّ هذا يا أبي أمر عارض.. فلم أره ـ منذ أن عرفته ـ خاليًا

من الماء والأشجار..

«الأمر غريب.. الأمر غريب.. لا حول ولا قوة إلا بالله «كلمات يرددها الشيخ بألم ومرارة...

....

ـ ها يا أبي لقد وصلنا القرية.. أليست هذه؟

ـ أحقًا يا بني؟

ـ ألم أقل لك لا تخلع النظارة؟

ـ وأين هي؟

ـ خذها إنها ههنا بجانبك.

ـ نعم يا بني إنها القرية.. هذا الجبل يحيط بها من الشمال.. وذلك الجبل من الشرق..

ولكن أين أهل القرية يا بني؟! ألم يحضروا لاستقبالنا؟

ـ لا أرى أحدًا.. ونحن لم نبلغهم بقدومنا..

ـ كيف يحدث هذا؟! ماذا جرى لأهل القرية؟! لقد كنا نسعى جميعًا إلى القادم، ونجتمع حوله مرحبين به وكل واحد منا يرجوه أن ينزل ضيفًا عنده...

ـ لا أرى شيئًا من ذلك يا أبي..

ألم أقل إنّ الأمر غريب؟!

ـ انظر يا بني رجلاً لنسأله...

ـ هذا صبي يمشي هناك... انتظر أيّها الصبي...

ـ نعم، ماذا تريد؟

ـ أريد منزل العم... العم... أكمل الأب: العم صالح..

ـ لا أدري..!! ثمّ هزّ كتفه ومضى دون مبالاة..

ـ هل عرفت المنزل؟ أين يقع؟

ـ لقد ذهب يا أبي دون أن يخبرنا...

ـ ماذا حدث للناس؟! كنا ونحن صغار نستقبل القادم ونوصله إلى حيث يريد...

ونمسك بزمام دابته.. ونقدم لها العلف... وآباؤنا يتولون الضيف بالعناية... فما الذي حدث؟! هل ضللنا الطريق؟

لا... لا... هذه هي القرية.

ـ أنظر يا بني هل ترى أحدًا في (دكّة بيته)؟ أو هل ترى جمالاً مربوطة في الشجرة الكبيرة التي تقع في وسط القرية؟

ـ غفر الله لك يا أبي. لا أرى شجرًا... ولا (دكّة)... وإنما أرى أسوارًا عالية، وأبوابًا حديدية... وشوارع (مسفلتة) تلف أنحاء القرية..

ـ إذن أطرق أيَّ باب يا بني... فكلهم يعرفونني..

ـ هذا البيت قريب... سأنزل إليه..

ـ وعندما طرق الباب سمع صوتًا أعجميًا يجيبه:

ـ (أنت مين فيه يكلّم)؟

ـ أنا ضيف..

ـ (زيف مين)؟ (أنا ما يعرف هذا اسم)

ـ صاحب البيت موجود؟

ـ (بابا في البيت ما فيه وماما نايم فيه)

ـ كان الأب يظنّ أنه لا يوجد أحد في البيت، لأنه لم يسمع ردّ الخادمة على ابنه.. ولما رأى شخصًا قادمًا فرح برؤيته.. ونادى ابنه:

ـ يا بني هذا الطبيب قادم نحونا، اسأله..

ـ هذا ليس طبيبًا يا أبي... إنه من أبناء القرية.. ولكنه يرتدي (بدلة)

ـ اسأله عن اسمه واسم أبيه...

ـ سمع الشاب كلام الأب.... ولم يسبق له أن رآه من قبل.. وظنه غريبًا عن القرية فأجابه بسخرية:

ـ وماذا تريد باسمي أيها الشيخ؟ هل تريد التحقيق معي؟

ـ أصلحك الله يا بني .. إني أريد أن أسألك عن أبيك، وعن...

ـ لا أدري أين ذهب، قمت من نومي متأخرًا ولم أره... ابحث عنه لعلّك تجده..

قالها الشاب ومضى مسرعًا...

ـ إنا للّه وإنا إليه راجعون... ماذا حدث لأهل القرية؟ لقد كانت الأسرة جميعها تجتمع في الصباح الباكر، وتتناول طعام الإفطار، ويعلم كلُّ واحد أين سيذهب الآخر، وما العمل الذي سيقوم به.... لم نكن في يوم من الأيام هكذا... ماذا حدث للناس هنا؟! وانهمرت دموعه بغزارة... وأخذ يتمتم بكلام غير مسموع.... ونادى ابنه:

ـ محمد... محمد..

ـ نعم يا أبي..

ـ هيا نعود إلى المدينة... فلم أجد القرية التي كنت أعهدها.

الحركة الثقافية في شهر

- سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد يضع حجر أساس مركز الملك فهد في مالقا
- إقامة معرض الكتاب السعودي، ومعرض القاهرة الدولي للكتاب
- دراسة دولية تحذر: العالم يفقد لغة محلية كل أسبوعين!
- رحيل محمد مهدي الجواهري، وشاكر مصطفى، ومحمود محمد شاكر
- مشروع لخدمة الإسلام عبر شبكة الإنترنت في شهر رمضان
- إجراء مسابقتين للقصة القصيرة في مصر وإيطاليا
- انعقاد المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للمستشرقين في المجر
- في إطار مؤتمر الرواية العربية: إنشاء جائزة للمبدعين العرب في المجال الروائي
- إنشاء «بيت الحكمة» لترجمة التراث الإنساني إلى مختلف اللغات

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين: سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز
يفتتح مسجد خادم الحرمين الشريفين بجبل طارق
والملتقى الثقافي الأول للجاليات الإسلامية


خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

جبل طارق ـ مراسل الفيصل:

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ، افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في يوم 5 ربيع الآخر الماضي جامع خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق، وكذلك ملتقى خادم الحرمين الشريفين الثقافي الأول للجاليات الإسلامية، الذي أقيم تحت عنوان «الحضارة الإسلامية وإسهامها في الحضارة الإنسانية».

وقد ألقى سموه كلمة بهذه المناسبة، جاء فيها: «إن خادم الحرمين الشريفين عندما أمر ببناء هذا المسجد، فإنما عمل شيئًا تعوّد دائمًا عمله في بلاده وخارجها، والشيء من معدنه لا يستغرب..

إن المملكة العربية السعودية ـ ملكًا وحكومةً وشعبًا ـ دعاة للخير، دعاة للمحبة، دعاة للألفة، لذلك نجد، ولله الحمد، أعمال المملكة أعمال خير ومحبة ودعوة للخير، وإن بناء هذا الجامع وملحقاته والندوة التي تعقد بهذه المناسبة هي تجسيد حقيقي لسياسة المملكة العربية السعودية التي تريد الخير لجميع البشرية، وذلك هو ديننا، وتلك هي رسالتنا.

فالإسلام دين محبة ودين خير وتعاون. ليس الإسلام دين عنف أو قسر أو ظلم، بل دين تعاون، وهذه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة أنبياء الله ورسله قبل محمد.

من يعرف المملكة العربية السعودية ويعرف دعوة التوحيد فيها، منذ إنشاء المملكة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود، يعرف أن هذا نهج المملكة مهما حاول أي إنسان مغرض جاهل أو متجاهل أن يقول غير ذلك. بل نحن ندعوه إلى دين الله وتوحيد الله وإلى التآلف والمحبة، ونقدم ديننا بالأسلوب الذي ارتضاه الله لنا ورسوله، فإذا عملنا بهذا المنهج فإن جميع البشر سيتعاونون معنا».

وأشار صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز المستشار بالديوان الملكي، رئيس اللجنة العليا المشرفة على مشروع جامع خادم الحرمين الشريفين بجبل طارق إلى «أن جامع خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق الذي تفضل ـ رعاه الله ـ بإنشائه مع مرافقه المتعددة على نفقته الخاصة هو هدية للمسلمين، ووسيلة لإعلاء كلمة الحق والدين، في هذا المكان العريق؛ حيث يتجسد التواصل والتلاحم بين الماضي المجيد والحاضر الرغيد. فقد أقام المسلمون حضارة لا مثيل لها في هذه البلاد، تأثر بها المجاورون.. وأسهمت في خدمة البشرية والإنسانية جمعاء».

وقال سموه: «إن عمارة بيوت الله وتشييدها وتزويدها بما يحتاج إليه قاصدوها ركن أساسي من أركان سياسة خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ورعاه ـ، فهو يحرص على إظهار بيوت الله في أبهى صورة، وأجمل هيئة، لتؤدي وظيفتها على أكمل وجه، وأبدع حالة..

مكتبة الملك فهد تطور برامجها

أعدت مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض خطة لتوسيع نطاق خدماتها، عبر تطوير برنامج تبادل المعلومات على المستوى المحلي ليستفيد منه أكبر عدد من الهيئات السعودية بشكل منتظم.

وتعتزم المكتبة الارتقاء بالبرنامج بحيث تمتد خدماته مستقبلاً إلى المستوى الدولي مع المكتبات والمنظمات الثقافية المماثلة.

ضوابط للإنترنت

تقرر أن تتولى مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ووزارة البرق والبريد والهاتف



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز

ولم تقتصر جهوده - يحفظه الله - على الإنجازات الهائلة التي تمت في إطار عمارة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وإضافة توسعة لهما غير مسبوقة في التاريخ، وترميم ثالثهما في القدس الشريف؛ بل امتدت لتشمل بناء المساجد والمعاهد والمراكز الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، حيث بلغ عدد المراكز الإسلامية التي قامت المملكة ببنائها أو المساهمة في إنشائها أكثر من 210 مراكز، فيما بلغ عدد المساجد 1359 مسجداً منتشرة في معظم دول العالم، بالإضافة إلى إنشاء مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف - في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم - لطباعة القرآن وتسجيله بشتى اللغات والأحجام وإيصاله للمسلمين في كل مكان امتثالاً لقوله تعالى: *فذكر بالقرآن من يخاف وعيد*».

وأضاف سمو الأمير عبدالعزيز: «اليوم بعون الله وتوفيقه يبدأ جني الثمار حيث ينادي المؤذن، وتقام صلاة الجمعة بعد طول انتظار واشتياق. واليوم أيضاً يتوج هذا الافتتاح بانطلاقة أولى الندوات الفكرية العلمية من خلال ملتقى خادم الحرمين الشريفين الثقافي الذي يعالج موضوعات في غاية الأهمية، ومدى إسهام الحضارة الإسلامية وتأثيرها في الحضارة الإنسانية، بمشاركة عدد متميز من نخبة فاضلة من العلماء والباحثين - من مختلف دول العالم الإسلامي والغربي - الذين يسرني أن أنقل لهم تحيات خادم الحرمين الشريفين وتمنياته لهم بالتوفيق والسداد والأمل في تحقيق أكبر قدر ممكن من التفاهم والتبادل الثقافي بين الشعوب والأمم».

ووجه سموه الشكر إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز قائلاً: «إن وجودكم معنا في هذا المكان وتفضلكم برعاية هذا اللقاء، رغم مشاغلكم العديدة، دليل على حرص قادة المملكة العربية السعودية على رفع راية التوحيد خفاقة في كل أرجاء الأرض منذ عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي اقتفى أولاده الأثر من بعده وساروا على نهجه؛ فما زالوا يؤدون الأمانة ويقومون بالرسالة بتوجيه من راعي مسيرتنا ورائد نهضتنا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - يحفظه الله - وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني».

وألقى نائب حاكم جبل طارق مايكل روبنسون كلمة أكد فيها أن افتتاح الجامع منطلق لعلاقات قوية ومتينة بين جبل طارق والشعوب الإسلامية والعربية.

وقال إنه على هذا الموقع الذي أقيم عليه مسجد خادم الحرمين الشريفين وضع طارق بن زياد أسس الاتصال بين أوربا والعالم العربي والإسلامي، مشيراً إلى أنه منذ ذلك الوقت عرفت هذه الصخرة باسم طارق بن زياد، وبقيت ذكريات طيبة لا تزال راسخة في الذاكرة.

كما ألقى رئيس الوزراء بجبل طارق كلمة ترحيبية نيابة عن حكومة جبل طارق وشعبه، وأعرب عن استعداد حكومة بلاده لتقديم كل مساعدة يحتاج إليها هذا المسجد والقائمون عليه.

أما كلمة الجالية الإسلامية فقد ألقاها مصلوح عزالدين مرحباً بصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز، وعبر عن سعادة الجالية الإسلامية في جبل طارق بافتتاح هذا الصرح الإسلامي العملاق.

وقال: «قيض الله لهذا المشروع العملاق قائداً عملاقاً وزعيماً إسلامياً متميزاً، إنه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، الذي رأى بنافذ بصره وبصيرته أن منطقة جبل طارق هي المكان الأمثل لإنشاء مسجد لا يكون مكاناً تؤدى فيه الجمع والجماعات فقط، بل ليكون مركزاً إسلامياً ثقافياً مميزاً، ونافذة مضيئة تطل منها أوربا على إسلام السماحة، وإسلام التعاون لما فيه خير البشرية».

وعقب مراسم الافتتاح تجول صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ومرافقوه في المسجد، واطلعوا على مرافقه التي تضم مدرسة لتدريس علوم الدين واللغة العربية، ومكتبة وقاعة محاضرات. كما زاروا المعرض الذي أقامته وزارة الإعلام، واشتمل على مجسمين للمسجد الحرام والمسجد النبوي ولوحات كبيرة تبين المشروعات التي شيدتها حكومة خادم الحرمين الشريفين في ربوع المملكة، وفي مقدمتها التوسعة الكبرى للحرمين الشريفين. كما ضم المعرض كتباً عن تاريخ المملكة ونهضتها الشاملة في المجالات كلها.

ملتقى خادم الحرمين الشريفين الثقافي الأول للجاليات الإسلامية يصدر عدداً من التوصيات

في إطار افتتاح جامع خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق عقد ملتقى خادم الحرمين الشريفين الثقافي الأول للجاليات الإسلامية عدداً من الجلسات التي دارت حول «الحضارة الإسلامية وإسهامها في الحضارة الإنسانية».

وترأس الجلسة الأولى، التي كان عنوانها «الأخلاق والآداب»، معالي د. عبدالله بن محمد آل الشيخ وزير العدل، وتضمنت موضوعاتها «إسهام الإسلام في مجال مكافحة المخدرات» للدكتور صالح بن عبدالله بن حميد إمام الحرم المكي وخطيبه، و«إسهام الإسلام في مجال حقوق الإنسان» للدكتور جعفر شيخ إدريس، وعلق عليهما الأستاذ مناظر حسن.

وترأس الجلسة العلمية الثانية د. أحمد محمد علي و د. محمود شوق، وجاءت بعنوان «العلوم الطبية والطبيعية»، وتناول فيها د. عبدالله حجازي أستاذ الكيمياء «إسهام الحضارة الإسلامية في مجال الصيدلة والعلوم التجريبية».

مهمة تكوين وحدة خاصة بخدمات الإنترنت، تشرف على نقطة الارتباط بشبكة الإنترنت العالمية، وتوفر الأجهزة والبرامج اللازمة لذلك.

وينتظر أن تقوم مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بوضع الضوابط الخاصة باستخدام الشبكة في المملكة، بما يتناسب مع قيم الإسلام وتعاليمه.

دراسة تحذر من التأثير السلبي للقنوات الفضائية

أكدت دراسة علمية تطبيقية أن للقنوات التلفازية الفضائية أثراً سلبياً في الشباب الخليجي.

وأشارت الدراسة، التي أعدها الطالب القطري عبدالله خميس الكبيس، وقدمها إلى معهد الدراسات بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض لنيل درجة الماجستير، إلى أن نسبة من الشباب الخليجي

أما الجلسة العلمية الثالثة، فكانت برئاسة د. مصطفى سيرتش مفتي البوسنة، وتحدث فيها د. صالح السدلان عن «الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع»، وكان الموضوع الثاني عن «بناء الأسرة وحقوق الطفل»، وتحدث فيه د. جمال الدين محمود عضو مجلس البحوث الإسلامية بالأزهر، أما د. محمد فريد الشيال فتناول موضوع «حقوق المرأة في الإسلام»، وعلق على هذه الموضوعات الشيخ سعد بن عبدالله البريك.

وأما الجلسة العلمية الرابعة فجاءت بعنوان «علوم العمران والهندسة» ورأسها د. مزمل صديقي، وتضمنت موضوعاتها «مفهوم العمارة الإسلامية» للدكتور عبدالحليم إبراهيم، و«أثر العمارة الإسلامية في العمارة الأوربية» للدكتور خالد عزام، و«الزخرفة الإسلامية» للدكتور سيد حسين ناصر، وعلق على موضوعاتها الشيخ عبدالإله الفريان.

وقد صدر بيان ختامي عن هذا الملتقى حث المؤسسات العلمية ومراكز البحوث والدراسات ومفكري الأمة الإسلامية وعلمائها على بيان حقوق الإنسان كما وضحها الإسلام، ورد كل ما يثيره أعداء الإسلام، عبر وسائل الإعلام وغيرها، من شبهات ومغالطات حول قضايا الإسلام بشكل عام، ومن ذلك ما يثار حول منهج الإسلام في الشورى ومقارنته بالديمقراطية الغربية.

وحث البيان الجاليات المسلمة في المجتمعات التي تقيم فيها على التفاعل والعطاء في مجتمعاتهم، وسلوك النهج الإسلامي الصحيح حتى يكون أفرادها دعاة بأقوالهم وأفعالهم. وأكد المشاركون في هذا الملتقى ضرورة إبراز إسهام الحضارة الإسلامية في مجالات العلوم المختلفة لتعريف الأجيال المسلمة بهذه الإسهامات الجادة، لمواصلة السعي ووصل الماضي بالحاضر. ووجه المشاركون في الملتقى الشكر الجزيل والامتنان العظيم لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز على تفضله ببناء هذا الصرح الإسلامي الشامخ على نفقته الخاصة، مقدرين اهتمامه - حفظه الله - ببناء المساجد والعناية بها وتشييد المراكز والمدارس الإسلامية وتوزيع المصاحف ونشر الدعوة الإسلامية في كل مكان.

منظر عام لمسجد خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق الذي افتتحه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان ابن عبد العزيز أمير منطقة الرياض

في سن المراهقة يترجمون ما يُقدَّم في القنوات الفضائية من أعمال غير سويّة إلى وقائع حية في حياتهم.

تحمل الدراسة عنوان «علاقة وسائل الاتصال المرئية بالسلوك الانحرافي.. دراسة تطبيقية على المجتمع القطري».

معرض الكتاب السعودي بجامعة الإمام

يُفتَتَحُ معرض الكتاب السعودي الذي تنظمه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الثلاثين من شهر جمادى الأولى الجاري، وحتى الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة المقبل. يشارك في المعرض ما يزيد على 350 دار نشر ومكتبة ومؤسسة حكومية، ويرمي إلى جانب التعريف بالجديد في مجال الكتب، تقديم أحدث التقنيات الجديدة في مجال المعلومات.

المسابقة الدولية التاسعة عشرة للقرآن الكريم

تبدأ المسابقة الدولية التاسعة عشرة لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره في الثامن عشر من شهر جمادى الأولى الجاري (20 سبتمبر 1997م).

تنظم المسابقة التي تستمر 12 يومًا وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

كتب جديدة

لمحات في إعجاز سورة الأنفال، تأليف د. حسن محمد باجودة.

التجربة الإبداعية عند محمد هاشم

محاضرات وندوات

«المجلات الثقافية بين الواقع والتطلعات»، موضوع ندوة أقيمت في النادي الأدبي بالطائف، وحاضر فيها كل من: د. زيد بن عبدالمحسن الحسين رئيس تحرير مجلة الفيصل، والأستاذ حمد القاضي رئيس تحرير المجلة العربية.

«المملكة العربية السعودية والدور الريادي في خدمة قضايا المسلمين»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الملك سعود بالرياض الشيخ سعود بن محمد الرشود.

«محاسن الإسلام»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الأمير سلمان الاجتماعي بالرياض د. ذاكر عبدالكريم.

«حقول الرماد»، رواية الكاتب الليبي أحمد إبراهيم الفقيه، أقيمت عنها ندوة ثقافية في جامعة ووهان بالصين بمناسبة ترجمتها إلى اللغة الصينية، تحدث خلالها المؤلف والمترجم لي رونغ جيان.

«الاكتشافات الأثرية بهضبة الأهرام»، عنوان محاضرة ألقاها في المعهد الألماني للآثار بمدن برلين وميونيخ وهايدلبرج د. زاهي حواس.

«البعد الاجتماعي في سياسة الحكومة الاقتصادية»، عنوان محاضرة ألقاها في النبطية بدعوة من المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، د. نجيب عيسى.

نظمت لجنة التنشيط السياحي في منطقة عسير أمسية شعرية للشاعر أحمد إبراهيم مطاعن في النادي الأدبي بأبها.

«خلق الإنسان»، موضوع محاضرة ألقاها في مكتبة القاهرة الكبرى د. عبدالهادي مصباح.

«الإنترنت.. العالم بين يديك»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. سعود بن سعيد المتحمي.

نظم نادي غامد في بلجرشي أمسية شعرية للشاعر طلال حمزة.

«التقارب الحضاري العربي الألماني»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة ماينز الألمانية د. أحمد عباس أحمد.

«مشكلات التدريب في الوطن العربي»، عنوان محاضرة ألقاها في



رشيد، تأليف د. محمد الصادق عفيفي.

صدى الأشجان، ديوان الشاعر حسن الزهراني.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن النادي الأدبي بمنطقة الباحة.

وتهرأت جبالها، مجموعة قصصية لعبدالحفيظ الشمري، صدرت عن النادي الأدبي بمنطقة حائل.

كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي، تأليف سيف بن عمر التميمي، تحقيق وتقديم د. قاسم السمرائي، ط2 ، صدر عن دار أمية للنشر والتوزيع في الرياض.

الإدارة وبيئة الصناعة الخليجية، تأليف د. حبيب محمد رحيم التركستاني، صدر في جدة.

الكشكول ج2، تأليف د. حسن ظاظا، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية.

التفاوض وإدارة المقابلات، تأليف د. حسن وجيه، صدر عن مكتبة العبيكان.

البحرين

كتب جديدة

مدائح، ديوان للشاعر أمين صالح، صدر عن دار الكلمة للنشر والتوزيع.

الخياميات، ترجمة لرباعيات الخيام، قام بها إبراهيم العريض، وصدرت في طبعة خامسة عن المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

الإعلام والإسلام، تأليف عرفان نظام الدين، صدر عن بيت القرآن.

قطر

مشروع خدمة الإسلام على الإنترنت في رمضان

قرر مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر البدء في تنفيذ مشروعه لخدمة الإسلام عبر شبكة الإنترنت اعتباراً من شهر رمضان المبارك المقبل.

يقدم المشروع خدماته عبر خطين في الشبكة العالمية، أولهما: معلوماتي لتصحيح أية مفاهيم مغلوطة عن الإسلام، وثانيهما خدماتي يقدم خدمات ذات صلة بالإسلام. إضافة إلى ذلك يتضمن المشروع إنشاء مكتبة إسلامية ضخمة، توفر الكتب الإسلامية المتميزة على شبكة الإنترنت للقراء في أنحاء العالم المختلفة، إلى جانب مكتبة أخرى للصوتيات والمرئيات، وندوات مفتوحة للحوار الحي عبر الشبكة.

كتب جديدة

دليل الأرشيف، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الكويت

«كتاب العربي» يعاود الصدور

عاود «كتاب العربي» الصدور مرة أخرى بعد توقف دام سبع سنوات، بصدور العدد 29 منه المتضمن كتاب «الإسلام وضرورة التغيير» للمفكر الإسلامي د. محمد عمارة.

وبصدور «كتاب العربي» تستكمل «مجلة العربي» إصداراتها التي كانت تقدمها قبل العدوان العراقي على الكويت عام 1990م.

كتب جديدة

نظرية الثقافة، تأليف مايكل تومبسون، وريتشارد اليس، وآرون فيلدفكسي، ترجمه إلى العربية د. علي سيد الصاوي، وقدم له د. الفاروق زكي يونس.

البيئة والإنسان عبر العصور، تأليف اياندج سيمونز، ترجمه إلى العربية السيد محمد عثمان.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصالحات ومغالطات وقضايا أخرى، تأليف د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي، صدر عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

دول مجلس التعاون ودول الجوار، تأليف مجموعة باحثين، صدر عن منتدى التنمية.

اليمن

معرض الرقوق القرآنية والمخطوطات

أقيم في صنعاء - مؤخراً - معرض للرقوق

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض حسن محمد طيب.

«الحساب الفلكي لتحديد مواقيت الصلاة عموماً وفي بلدان الشمال خصوصاً»، عنوان محاضرة ألقاها في المركز الإسلامي في ريجنت بارك بلندن د. معاوية شداد.

«الأندلس.. رؤية جديدة»، عنوان محاضرة ألقتها في دار الندوة في بيروت ناديا صالح.

«حركة التأثير والتأثر بين القاهرة وبغداد»، عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي المصري في باريس د. جليل العطية.

«البنية الفنية في الشعر السعودي المعاصر»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. ظافر بن عبدالله الشهري.

نظمت الرئاسة العامة لرعاية الشباب في الطائف أمسية للقصة القصيرة، شارك فيها كل من: د. حمد زيد الزيد، ومحمد المنصور الشقحاء، وعقيلي عبدالغني الغامدي، وخالد الخضيري، ووفاء الطيب، التي ناب عنها في إلقاء قصتها خالد اليوسف.

«تجربتي مع النقد والأدب»، موضوع محاضرة ألقاها في قصر التذوق الفني في سيدي جابر بالإسكندرية د. جابر عصفور.

«صحافة القرية وقرية الصحافة»، عنوان محاضرة ألقاها في مسرح إدارة تعليم الباحة ضمن النشاط الثقافي لفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالباحة قينان عبدالله الغامدي.

«نصائح وتوجيهات للمرأة المسلمة»، عنوان محاضرة ألقتها بمركز الدعوة والإرشاد في مكة المكرمة سناء كامل.

«أدب وحياة العلامة الحلي»، عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة بلندن تقى البحارنة.

«جوانب من الفقه الإسلامي: تطبيق الفكر الإسلامي في المجتمع العلماني»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة كاليفورنيا الغربية بمدينة سان ديجو الأمريكية مصطفى القزويني.

«فلسطين: التحديات الثقافية»، عنوان ندوة نظمتها صحيفة «لوموند»، وتحدث فيها ليلى شهيد، وجورج إبراهيم.



القرآنية والمخطوطات، ضم مجموعة من الرقوق والمخطوطات تعود إلى ما بين القرنين الأول والرابع الهجريين.

وتتوزع المخطوطات بين علوم الفقه والحديث والعلوم الشرعية والأدب والبلاغة والتاريخ والفلك والهندسة والطب.

وكانت تلك الرقوق والمخطوطات قد اكتشفت مصادفة في سقف الجامع الكبير بصنعاء الذي بني في القرن الأول الهجري، وجاء اكتشافها عام 1972م عندما جرفت مياه الأمطار والسيول جزءاً من عمارة الجامع، لتكشف كنزاً مكوناً من قرابة 40 ألف مخطوطة وَرَقّ قرآني، تم ترميم 13 ألفًا منها بمعاونة ألمانية ويجري ترميم الباقي.

كتب جديدة

فن الزخرفة الخشبية في صنعاء، تأليف جميت وبولس بونانفان، ترجمه إلى العربية محمد علي قاسم العروسي، وعلي محمد زيد، وصدر عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق وصنعاء.

مصر

معرض القاهرة للكتاب في شهر شوال

تقرر أن تبدأ الدورة الثلاثون لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، ثاني أكبر معرض كتب في العالم عقب عطلة عيد الفطر المبارك 1418هـ المقبل، وتحديداً في الخامس من فبراير 1998م، لمدة خمسة عشر يومًا.

يسبق المعرض معرض القاهرة الدولي لكتب الأطفال الذي تقرر أن يقام خلال المدة من 24 رجب إلى 6 شعبان 1418هـ (24 نوفمبر - 6 ديسمبر1997م).

يُذكر أن الدورة السابقة لمعرض القاهرة الدولي للكتاب شهدت مشكلات جمة تتعلق بموعده الذي تحدد ثم تأجل، وواكب امتحانات الجامعات والمدارس وشهر رمضان المبارك مما أثر في حركة البيع والشراء.

المفتي: أدب الاعترافات غير جائز

أفتى فضيلة الدكتور نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية، بحرمة أدب الاعترافات إذا تمخض عن كشف ما أمر الله بستره.

جاء ذلك إجابة عن سؤال وجهته إليه الصحافية ألفت الخشاب، ونشرته في كتاب بعنوان «فتاوى المرأة»، حيث أشار د. نصر إلى أن الشريعة الإسلامية لا تقر ما يطلق عليه «أدب الاعترافات»؛ ليس من باب الحجر على التفكير، وإنما من باب المحافظة على كيان الأسرة ولمصلحة الفرد والجماعة.

افتتاح متحف د. طه حسين ومهرجان ثقافي لتكريمه

تم مؤخراً افتتاح متحف د. طه حسين ومركز رامتان الثقافي في منزل د. طه حسين بالجيزة بعد عملية ترميم وتجهيز تكلفت قرابة مليوني جنيه.

وتتكون الفيلا من دورين على مساحة 860 متراً مربعًا تحيط بها حديقة مساحتها 1300 متر مربع وتضم إلى جانب المتحف مكتبة ومركزاً ثقافيًا.

وأعلن وزير الثقافة فاروق حسني عن اعتزام الوزارة تنظيم مهرجان ثقافي عالمي خلال شهر نوفمبر المقبل (رجب 1418هـ) الذي يوافق ذكرى مولد د. طه حسين (ولد د. طه في 1889/11/14م). وينتظر أن يتضمن المهرجان ندوات فكرية وعروضًا فنية، ومسابقات ثقافية.

مكتبة القاهرة الكبرى تقدم خدماتها بالفاكس

بدأت مكتبة القاهرة الكبرى في تقديم خدماتها المعلوماتية عبر الفاكس اعتباراً من نهاية شهر ربيع الأول الماضي.

وبهذه الخدمة الجديدة يمكن للباحث أن يطلب أية معلومات ثقافية أو معلومات من المراجع عبر فاكس المكتبة رقم 3412280 بعد طلب الصفر الدولي بالنسبة للمقيمين خارج مصر (00202)، ويتلقى الباحث الإجابة عن استفساره في اليوم نفسه أو اليوم الذي يليه.

وتتيح هذه الخدمة الجديدة للمكتبة استثماراً أمثل لمقتنياتها، وتوصيلها إلى أكبر قطاع ممكن من المستفيدين، ونشر المعلومات الثقافية وأسس المعرفة الإنسانية على نطاق أوسع.

وتعد المكتبة حاليًا لتخصيص خدمة معلوماتية فورية بالهاتف أيضًا في مرحلة لاحقة.

مسابقتان للشباب والأطفال في مئوية الكيلاني

ينظم المركز القومي لثقافة الطفل مسابقتين بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد رائد أدب الطفل العربي كامل الكيلاني.

المسابقة الأولى مفتوحة للكتّاب الشبان تحت 35 عامًا، ومجالها القصة القصيرة للطفل، شرط ألا يشترك الكاتب بأكثر من قصتين.

أما المسابقة الثانية فهي للأطفال تحت سن 16 عامًا، وتدور حول أدب الكيلاني، حيث يكتب الطفل ما الذي أعجبه في إحدى قصصه مع ملخص لها، واختيار خاتمة أو نهاية جديدة للقصة.

وتحدد يوم الرابع عشر من شهر جمادى الأولى الجاري (15 سبتمبر 1997م) موعداً نهائيًا لتسليم أو وصول الأعمال المشاركة إلى المركز القومي للطفل بمدينة الفنون، الهرم، الجيزة.

مخطوطات تكشف العلاقات التجارية في العصر الفاطمي

اكتشفت في منطقة دير الملاك بمحافظة الفيوم مجموعة من المخطوطات وأوراق البردي ترجع إلى العهد الفاطمي من شأنها أن توضح الكثير عن شكل العلاقات التجارية في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وكتبت هذه المخطوطات بالخط الكوفي البسيط، وتتضمن عقوداً موقعًا عليها من شهود خاصة ببيع أراض وشرائها.

تظاهرة فنية سعودية في الإسكندرية

شارك 43 فنانة وفنانًا سعوديًا عبر مئتي عمل فني في تظاهرة فنية سعودية استضافها أتيليه الإسكندرية مؤخراً.

وتعد هذه التظاهرة أول نشاط خارجي لبيت الفنانين التشكيليين السعوديين بجدة.

جائزة القاهرة للإبداع الروائي

أعلن المجلس الأعلى للثقافة عن فتح باب تلقي الترشيحات لجائزة القاهرة للإبداع الروائي، وهي جائزة محكمة تمنح للمرة الأولى في إطار مؤتمر الرواية العربية المقرر عقده خلال شهر شعبان المقبل.

والاشتراك في الجائزة متاح لمبدعي الرواية في مختلف الأقطار العربية من الجنسين، حيث تمنح الجائزة عن مجمل إنتاج المبدع، وتبلغ قيمتها خمسين ألف جنيه مصري. ويشترط ألا يكون الكاتب أو الكاتبة قد توقف عن الإنتاج مدة تزيد على خمسة أعوام سابقة على تاريخ

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين: سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد

يضع حجر أساس مركز الملك فهد في مالقا

صاحب السمو الملكي
الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز

إسبانيا ـ مراسل الفيصل:

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ، قام صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز المستشار بالديوان الملكي بوضع حجر أساس المركز الثقافي الإسلامي لخادم الحرمين الشريفين في مدينة مالقا.

ويقام المركز على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ على مساحة 3848 مترًا مربعًا بوسط مدينة مالقا، ويتكون المبنى من خمسة طوابق، ويضم في طابقه الأول مصلى للرجال يتسع لقرابة 3200 مصل، ومصلى للنساء.

كما يضم المركز 32 فصلاً دراسيًا نصفها للرجال والآخر للنساء، فضلاً عن قاعة محاضرات ومكاتب للدعوة والإرشاد ومكتبة عامة، وسكن للإمام. وترتفع مئذنته إلى علو 50 مترًا.

ويُنتظر أن تنتهي أعمال البناء في هذا الصرح الإسلامي خلال عام.

التقدم للجائزة، وأن يتم تقديم خمس نسخ من كل عمل من الأعمال المعبرة للمشروع الإبداعي.

وترسل الأعمال أو تسلم شخصيًا في موعد غايته 29 جمادى الأولى الجاري (30 سبتمبر 1997م) لإدارة الجوائز بالمجلس الأعلى للثقافة: 9 ش حسن صبري، الزمالك، مصر.

استطلاع آراء المختصين في محاور مؤتمر الرواية

بعث المجلس الأعلى للثقافة خطابات للنقاد والروائيين العرب مستوضحًا آراءهم ومقترحاتهم حول مؤتمر الرواية العربية المعاصرة ومحاوره المقرر عقده في القاهرة خلال المدة من 15-18 شعبان 1418هـ (15-18 ديسمبر 1997م).

تتضمن المحاور المقترحة للمؤتمر: الأنا والآخر، الأشكال التراثية، نقض المركزية الروائية، روايات العالم الثالث، مرجعية المأثور الشعبي، إشكاليات التلقي، النزوع المتزايد إلى التاريخ، مشكلة اللغة، علاقة الرواية بأنواع الإبداعات الأخرى، روايات: السجن، الصحراء، الغربة، السياسة، السيرة الذاتية، وغير ذلك من الموضوعات.

المؤتمر الثامن لاتحاد المكتبات والمعلومات العربي

تعقد الدورة الثانية للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات بالتعاون مع الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات والأرشيف خلال المدة من غرة رجب إلى 4 رجب المقبل (1-4 نوفمبر 1997م) في القاهرة.

تناقش الدورة تقنية المعلومات العربية بين الواقع والمستقبل عبر عدة محاور هي: نظم المكتبات وقواعدها التقليدية، الاستخدام الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات العربية، أقراص الليزر، المصغرات الفيلمية، تقنية الاتصالات وتطبيقاتها في المكتبات، الوسائط المتعددة والنصوص الفائقة.

إعادة إصدار دوريات أوائل القرن الميلادي

بدأ المركز العربي للدراسات والنشر في تنفيذ خطة لإعادة إصدار مجموعة من الدوريات المتوقفة التي صدرت في النصف الأول من القرن الميلادي الحالي. وأسهمت في التكوين الفكري لأجيال تلك الحقبة.

أولى الإصدارات هي «المجلة الجديدة» التي أصدرها سلامة موسى خلال المدة من نوفمبر 1929م إلى أبريل 1930م، حيث تصدر في مجلد من 750 صفحة.

كتب جديدة

الأجوبة المسكتة في أدبنا العربي، اختيار وتقديم محمد إبراهيم سليم، صدر عن دار الطلائع في القاهرة.

نصف العمر، رواية لعادل الكاشف، صدرت عن دار الثقافة الجديدة.

يوميات ناقد في كواليس المسرح، تأليف مصطفى عبدالحميد محمد.

العفو والسماح، مجموعة قصصية لخالد منتصر.

الأسماء لا تليق بالأماكن، ديوان للشاعر عزمي عبدالوهاب.

النيل والمصريون، تأليف حمدي أبو كيلة.

صدرت الكتب الأربعة السابقة ضمن سلسلة «الكتاب الأول» عن المجلس الأعلى للثقافة.

البقايا، ديوان للشاعر صفوت العسال، صدر عن دار ابن خلدون.

مشكلات فلسفية، تأليف د. إبراهيم محمد صقر، صدر عن دار الفكر العربي.

الشمس وراء القمة، أول مجموعة قصصية لنازك الملائكة، صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة.

العصر الذهبي لليهود في مصر، تأليف محمد مصطفى عبد رب النبي، صدر عن دار الصديقان في الإسكندرية.

دراسات في النقد الأدبي، تأليف أحمد كمال زكي، صدر ضمن سلسلة «أدبيات» عن دار لونجمان.

الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي، تأليف د. عبدالعال سالم مكرم، صدر عن دار عالم الكتب.

مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل، تأليف محمد حسام الدين إسماعيل، صدر عن دار الآفاق العربية.

الإرهاب يؤسس دولة: نموذج إسرائيل، تأليف هيثم الكيلاني.

التطرف الإسرائيلي: جذوره وحصاده، تأليف طاهر شاش.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق.

شرح مواقف النفري لعفيف الدين



التلمساني، دراسة وتحقيق وتعليق د. جمال المرزوقي، تقديم د. عاطف العراقي، صدر عن مركز المحروسة.

الآثار الإسلامية في الوطن العربي، تأليف د. أحمد إسماعيل يحيى، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف.

أنت والتليفزيون، تأليف د. فتح الباب عبدالحليم، صدر عن دار سفير للنشر.

ليبيا

ندوة عن دور الفن التشكيلي في تنمية الذوق العام

نظمت رابطة الفنانين التشكيليين الليبيين ندوة ثقافية في بنغازي حول دور الفن التشكيلي في تنمية الذوق العام.

ناقشت الندوة واقع الفن التشكيلي في ليبيا وموقعه على الخارطة العربية، وكيفية غرس الروح الجمالية لدى الفرد والأسرة والمجتمع، وإبراز اتجاهات التنمية التي يمكن أن تخدم المجتمع من خلال مدارس الفن التشكيلي ومذاهبه.



الأردن

كتب جديدة

دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية «حماس» 1987-1996م، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط في عمان.

ميثولوجيا الأردن القديم، تأليف خزعل الماجدي، صدر عن منشورات وزارة السياحة والآثار.

الرجل النازل، مجموعة قصصية لعلي السوداني، صدرت عن دار أزمنة.

فلسطين

يوم الثقافة الوطنية وجوائز للمبدعين

قرر مجلس وزراء السلطة الوطنية الفلسطينية اعتبار يوم الاستقلال الموافق 15 نوفمبر من كل عام يوماً للثقافة الوطنية.

وتضمن القرار توزيع جوائز فلسطين التقديرية والتشجيعية في الآداب والفنون والعلوم، ومنح جائزة القدس وجائزة توفيق زياد الشعرية وجائزة عبدالكريم السبعاوي الأدبية في مجالات الرواية والقصة القصيرة والنقد الأدبي، وكذلك جوائز وزارة الثقافة للرواية الفلسطينية في يوم الاستقلال.



سورية

مهرجان المحبة التاسع

نظمت وزارة الثقافة مهرجان المحبة التاسع في مدينة اللاذقية في نهاية شهر ربيع الأول الماضي، متضمناً نشاطات أدبية وتشكيلية وفنية ورياضية.

من النشاطات البارزة: بينالي اللاذقية الثاني، ومعارض للصور الفوتوغرافية والصناعات الحرفية، وندوات أدبية تحدث فيها نخبة من الأدباء عن تجاربهم في مجالات الإبداع المختلفة، فضلاً عن أمسيات شعرية وقصصية، ومسرحية وغنائية ورياضية.

كتب جديدة

حارة شرقية وحارة غربية، مجموعة قصصية لتاج الدين موسى، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب في دمشق.

نهج الوردة، تأليف د. عالية شعيب.

القامعون، رواية لسميرة المانع.

صدر الكتابان السابقان عن دار المدى.

هي والغابة، ديوان لمحمد الحموي، صدر عن دار الطليعة الجديدة.

ومتى شاهدت أباك آخر مرة؟، رواية بليك موريسون، ترجمها إلى العربية وائل البرازي، وصدرت عن دار المعاجم.

رسائل الحنين إلى الياسمين، تأليف غادة السمان، صدر عن منشورات غادة السمان.

القرآن وعلم القراءة، تأليف جاك بيرك، ترجمه إلى العربية د. منذر عياشي، وصدر عن مركز الإنماء العربي.

لبنان

مقبرة فينيقية من العصر الحديدي

عثر في مدينة صور على مقبرة فينيقية تعود إلى العصر الحديدي، وتحديداً إلى

رسائل جامعية

«أسباب سقوط الشيوعية الماركسية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بقسم الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها أحمد بن عبدالله بن سرور الغامدي.

«اهتمام إدارة الجامعة السعودية بعضو هيئة التدريس في ضوء الإدارة اليابانية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى، تقدمت بها سميرة هاشم باروم.

«الصحافة العربية وقضية السلام العربي الإسرائيلي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الزقازيق بمصر، تقدم بها عبدالهادي النجار.

«مظاهر القلة والكثرة والشذوذ في مصنفات ابن مالك»، عنوان رسالة ماجستير في النحو نوقشت في كلية اللغة العربية بفرع جامعة الأزهر في أسيوط، تقدم بها محمد رفعت حمدان.

«تأثير التعليم في استخدام الطاقة الإنتاجية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التجارة بجامعة القاهرة، تقدمت بها وفاء عبدالدايم.

«أثر برامج الأطفال التلفازية على السلوك الاجتماعي للطفل من 9 إلى 12 سنة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدمت بها جيهان عبدالسلام عوض.

«التدريب في القطاع الفندقي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، تقدم بها حازم عبدالهادي.

«الإعاقة العقلية لدى الأطفال والمتغيرات النفسية للوالدين»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بمدينة طنطا المصرية، تقدم بها سعد الخميسي.

«أهمية استخدام الوسائل العلمية الحديثة في تشكيل الصورة السينمائية في أفلام الخيال العلمي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في أكاديمية الفنون بالقاهرة، تقدم بها خيرالله إبراهيم خيرالله.

«مدى فاعلية تعديل السلوك المعرفي في خفض مستوى الاندفاعية لدى الأطفال»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدم بها عبدالغني أحمد عكاشة.

«التدابير الواقعية من المخدرات في الإسلام»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها فيصل بن جعفر بن عبدالله بالي.

«تصميم الفناء الداخلي للوحدات السكنية بالمملكة العربية السعودية وأثره على ساكنيها»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة حلوان

الحركة الثقافية في شهر

القرن التاسع قبل الميلاد.

ويثبت هذا الكشف ـ الذي يعد الأول من نوعه على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط ـ أن مدينة صور الساحلية هي أم الحضارة الفينيقية.

ووجد في تجاويف المقبرة مجموعة من الجرار تحتوي على رماد الموتى وقطع عظام وتعاويذ.

كتب جديدة

من أمثالنا العامية (مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية)، تأليف زاهي ناضر، صدر عن دار الحداثة في بيروت.

أبحث عن المطر، مجموعة شعرية لجوزف عساف، صدرت عن دار الإبداع.

آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، تأليف ثناء فؤاد عبدالله، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

بوابات المدينة والسور الوهمي، تأليف خالد زيادة، صدر عن دار النهار.

التبيان في البيان، تأليف الإمام الحافظ الحسين بن محمد الطيبي، تحقيق د. عبدالستار زموّط، صدر عن دار الجيل.

تونس

إبداع المرأة العربية وحوار الثقافات

نظمت وزارة شؤون المرأة ندوة دولية حول موضوع «حوار الثقافات من خلال الإبداع الأدبي النسائي» في إطار احتفالات تونس باختيارها عاصمة ثقافية إقليمية لعام 1997م، خلال شهر ربيع الآخر المنصرم.

شاركت في الندوة بدعوة من الوزارة كاتبات ومبدعات من مختلف الأقطار العربية، حيث ناقشن ثلاثة محاور على امتداد ثلاثة أيام هي: مظاهر الخصوصية الثقافية، تجليات الحوار الحضاري، صورة المستقبل. وأقيمت على هامش المؤتمر أمسيات ثقافية وأدبية وفكرية تدور حول إبداعات المرأة العربية.

بنك معلومات للعلماء العرب

أوصى المؤتمر الثالث للمنظمة العربية للثقافة الجوية بإنشاء بنك معلومات عن العلماء العرب المشتغلين في مجال الفضاء.

ودعا المشاركون في ختام أعمال المؤتمر بمدينة سوسة إلى إنشاء مركز عربي لتأهيل المدربين في علوم الفضاء والجو وتقنياتهما.

كتب جديدة

أنيس الجليس، تأليف التونسي الجيلاني الحاج يحيى، صدر عن الدار الأطلسية للنشر.

كرزة حمراء على بلاط أبيض، ديوان لمرام المصري، صدر عن منشورات تبر الزمان.

المغرب

اكتشاف معالم مدينة أثرية في الصحراء

اكتشفت معالم مدينة أثرية تقع في منطقة بالصحراء المغربية على بعد نحو 180 كيلومتراً شمال مدينة العيون.

تضم المعالم المكتشفة مجموعة من القلاع والأسوار تشير إلى وجود حضارة معمارية متمدنة تمتد إلى نحو 15 كيلومتراً في مجتمع وصف دائماً بأنه مجتمع بداوة.

كتب جديدة

المتن والهامش: تمارين على الكتابة الناسوتية، تأليف حسن قبيسي، صدر عن المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء.

فعل القراءة: نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تأليف فولفجانج إيزر، ترجمه إلى العربية حميد لحمداني، والجلالي الكدية، وصدر عن مكتبة المناهل في فاس.

عودة حي بن يقظان، تأليف المهدي بنعبود، صدر ضمن منشورات سلسلة الشراع في طنجة.

إيران

أول صحيفة حكومية باللغة العربية

صدرت في طهران ـ مؤخراً ـ أول صحيفة حكومية إيرانية باللغة العربية تحت

المصرية، تقدم بها صالح خطاب.

«العلاقة بين مستقبلات الأستروجين وبعض أنكوجينات سرطان الثدي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الكيمياء بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، تقدمت بها مريم الغامدي.

«المسألة المائية في السياسة السورية تجاه تركيا»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها عبدالعزيز شحادة.

«الحدث التاريخي في عصر بني أمية 41-132هـ/661-750م بحث في صورته في المصادر والمراجع وفي أبرز دلالاته»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية، تقدم بها محمد علي شمس الدين.

«الحصانة في الإجراءات الجنائية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدمت بها إلهام محمد حسن.

«التطورات الكمية والكيفية لمدارس تحفيظ القرآن الكريم في المناطق التعليمية بمكة المكرمة وجدة والطائف»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة أم القرى تقدم بها عبدالرحيم علي سعيد الغامدي.

«العوامل المؤثرة على التحرير الصحفي في المجلات الأسبوعية الإخبارية في مصر والولايات المتحدة الأمريكية.. دراسة مقارنة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها هاني محمد علي.

«الخطابة في القرن الأول الهجري.. دراسة في الشكل والمضمون»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنصورة المصرية، تقدم بها إبراهيم علي محمد علي.

«موسى بن نصير»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العربية بالقاهرة، تقدم بها مهدي محمد عبدالحميد.

«صورة السماء في شعر شيلي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها هبة علي إمبابي.

«الاستعارة بين شوقي والعقاد.. دراسة دلالية إحصائية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها ماجدة عبدالله.

«الفانتازيا في إنتاج ميخائيل بولجاكوف: رواية المعلم ومرجريتا»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد نصرالدين.

«النقد في آثار أبي العلاء المعري»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها ناديا علي.

«الحركة القصصية في أدب المهجر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة حلوان المصرية، تقدمت بها هادية رمضان.

مسمى «الوفاق».

وتصدر الصحيفة عن وكالة الأنباء الإيرانية.

أحدث الكتب

إيران ومسألة فلسطين: بحث في وثائق وزارة الخارجية الإيرانية 1879-1937م، تأليف علي أكبر ولايتي، صدر باللغة الفارسية عن مكتب نشر الثقافة الإسلامية بطهران.

فرنسا

«بيت الحكمة» لترجمة التراث الإنساني

قررت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) تبني مشروع ثقافي إنساني يتضمن ترجمة التراث الإنساني العالمي إلى مختلف اللغات، ومنه التراث الإسلامي، الذي سيتم ترجمته عبر المشروع الذي أطلق عليه مسمى «بيت الحكمة» إلى لغات أخرى غير العربية.

وتسعى المنظمة إلى أن يصبح المشروع نقطة التقاء جديدة بين حضارات العالم. ويجيء استخدام مسمى «بيت الحكمة» تيمنا وتقديراً لبيت الحكمة الذي أسس في عصر الخليفة العباسي المأمون، وقام بدور مهم في حفظ حضارة الأمم عبر نقلها إلى اللغة العربية.

العالم يفقد لغة محلية كل أسبوعين

حذرت دراسة دولية من انقراض 95٪ من اللغات المحلية التي يتحدث بها سكان العالم بحلول القرن الميلادي المقبل، مشيرة إلى أن هناك لغة محلية تموت وتنقرض كل أسبوعين في مكان ما في العالم.

وطالبت الدراسة التي تحمل عنوان «أطلس لغات العالم»، وأعدتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) بإشراف العالم الأسترالي ستيفن فيرم، باتخاذ إجراءات فاعلة لحماية هذه اللغات التي تمثل ما نسبته 50٪ من لغات العالم من الانقراض، نتيجة اجتياحها من لغة أقوى منها في بيئتها الطبيعية.

معجم لرواد التنوير في مصر

يعتزم معهد العالم العربي في باريس إصدار أول معجم حول رواد التنوير في مصر بمناسبة مرور مئتي عام على التبادل الثقافي بين مصر وفرنسا.

تشرف على إصدار المعجم سارة ديكامب، ويعد لأن يصبح «بنك معلومات» عن مبدعي مصر ومفكريها في العصر الحديث من خلال تراجم مختصرة لحياتهم توضح تطورهم الثقافي والفكري، والترجمات الأجنبية التي صدرت لإبداعاتهم.

ختام احتفالية كوكتو

اختتمت مؤخراً في مدينة نيس الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة الصالون الثاني للكتاب تكريماً للكاتب الراحل جون كوكتو.

وكوكتو (1889-1963م) شاعر وروائي ورسام ومخرج سينمائي وعضو في الأكاديمية الفرنسية، تفجرت موهبته بشدة؛ فقدم الكثير من الأعمال التي عُدت من أبرز الإبداعات في فرنسا المعاصرة لعل أبرزها «الأبناء المزعجون».

وفاة إيفو فليتشمان وفرانسوا فوريه

فقدت الحركة الثقافية الفرنسية اثنين من رموزها، بوفاة الكاتب ذي الأصل التشيكي إيفو فليتشمان عن عمر ناهز 77 عاماً، والمؤرخ فرانسوا فوريه عن عمر ناهز 70 عاماً.

وإيفو فليتشمان دبلوماسي تشيكي اعتزل الدبلوماسية وأقام في باريس منذ 1970م، حيث وقف حياته على الأدب وترجمة الآداب العالمية إلى اللغة التشيكية وكذلك ترجمة الآداب التشيكية إلى اللغة الفرنسية. ومن أبرز أعماله ترجماته لإبداعات بوريس باسترناك ولويس أراجون.

أما فرانسوا فوريه، الملقب بمؤرخ الثورة الفرنسية، فهو أكاديمي وأحد كبار المتخصصين بتاريخ الثورة الفرنسية، وعضو في الأكاديمية الفرنسية.

ومن أبرز كتبه «المعجم النقدي للثورة الفرنسية»، و«التفكير في الثورة الفرنسية» و«إرهاب وديمقراطية».

أحدث الكتب

وقائع حارة الزعفراني، رواية جمال الغيطاني، ترجمها إلى الفرنسية خالد عثمان، وصدرت عن دار أكت سود.

مولد أوروبا الديمقراطية، تأليف دومنيك ولتون، صدر عن دار نشر فلاماريون.

مختارات من شعر عزالدين المناصرة، ترجمها إلى الفرنسية محمد موهوب، وصدرت عن دار سكامبيت.

السفينة، رواية جبرا إبراهيم جبرا، ترجمها إلى الفرنسية ميشال بوريسي وجمال شهايد، وصدرت عن داري «اركانتير» و«يونيسكو».

قارة إنسانية، تأليف عبداللطيف اللعبي، صدر عن دار نشر بارول دوب.

المجر

مؤتمر المستشرقين الدولي

استضافت بودابست أعمال المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للمستشرقين،

الحياة الثقافية العربية والإسلامية المعاصرة

تفقد ثلاثة من أعلامها البارزين

فقدت الأمة العربية والإسلامية في غضون عشرة أيام ثلاثة من أعلام الأدب والتاريخ وتحقيق التراث، وذلك برحيل كل من: الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، والأديب المؤرخ الدكتور شاكر مصطفى، وشيخ المحققين محمود محمد شاكر.

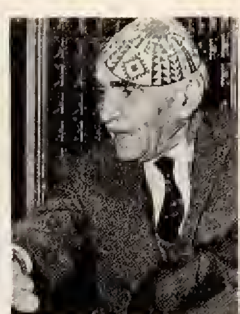
أما شاعر العربية والعراق الكبير محمد مهدي الجواهري، آخر الشعراء الكلاسيكيين العرب الكبار، فقد توفي في دمشق في يوم 24 ربيع الأول الماضي عن عمر ناهز 94 عاماً.

ولد الجواهري في النجف بالعراق عام 1903م (وقيل في عام 1899م، وعام 1900م، وعام 1901م) لأسرة تهتم بالأدب والمعرفة، فنشأ على منوالها، حيث طالع كتب التراث، ولم يسقط المعاصرة من ذاكرته، بل أخذ من كلٍّ ما يراه مناسباً. وقد درس في المدرسة العلوية، ثم أخذ علوم اللغة والأدب عن كبار مشايخ الغري، وكان نبوغه في الشعر مبكراً، وبدأ بنشر قصائده في عام 1921م.

وإلى جانب الشعر والأدب اشتغل الجواهري بالتعليم والصحافة، وأصدر عام 1923م أول ديوان له بعنوان «حلبة الأدب»، توالت بعدها دواوينه. كما أصدر عام 1930م جريدة «الفرات»، ثم ست صحف أخرى هي: «الانقلاب»، و«الرأي العام»، و«الثبات»، و«الجهاد»، و«الدستور»، و«صدى الدستور»، وكان عضواً في المجلس النيابي العراقي عن كربلاء، حتى استقال عام 1948م، وتعرض للنفي أكثر من مرة.

وهو حاصل على عدة أوسمة، منها: وسام الاستحقاق السوري، وفاز عام 1993م بجائزة

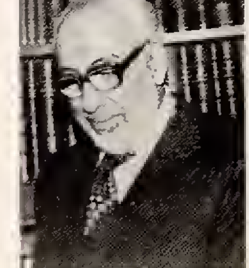




محمد مهدي الجواهري



د. شاكر مصطفى



محمود محمد شاكر

سلطان العويس للإبداع الشعري، وله تسجيلات شعرية بصوته في مكتبة الكونجرس الأمريكي بوصفه أحد الأعلام البارزين.

وأما الأديب المؤرخ د. شاكر مصطفى فتوفي يوم 27 ربيع الأول الماضي عن عمر ناهز 76 عامًا.

ولد د. شاكر مصطفى عام 1921م، وعمل عقب تخرجه في الجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) بالتدريس في المرحلة الثانوية، وتدرج في وظائف التعليم حتى بلغ منصب مدير التعليم في محافظة درعا، وانتقل للتدريس الجامعي، وتولى عدة مناصب منها: الأمانة العامة للجامعة السورية، وعميد كلية الآداب بجامعة الكويت، ووزير الإعلام، كما عمل بالسلك الدبلوماسي، وبالمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة.

وكانت الدولة البويهية والمؤرخون في العصرين السلجوقي والأيوبي موضوع رسالة الدكتوراه التي نالها من سويسرا.

وأصدر الراحل قرابة الأربعين كتابًا منها: «القصة في سورية»، و«استراتيجية الثقافة العربية»، و«الأدب في البرازيل»، و«المدن في الإسلام» و«دليل التاريخ والمؤرخين» وكتب أخرى.

وأما شيخ المحققين محمود شاكر فقد توفي يوم 4 ربيع الآخر الماضي عن عمر ناهز 88 عامًا.

ولد الفقيد في مطلع عام 1909م بالإسكندرية، وتلقى تعليمه الأولي في الكُتّاب ثم الأزهر، والتحق بالجامعة المصرية عام 1926م، لكنه ما لبث وتركها قبل نيل شهادته إثر خلافه مع د. طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلي.

وعقب تركه الجامعة توجه إلى المملكة العربية السعودية حيث أسس مدرسة جدة النموذجية عام 1928م، لكنه لم يمكث بها سوى عام واحد عاد بعده إلى القاهرة، حيث عكف على تحقيق التراث العربي الإسلامي، والتصدي لشطحات المفكرين عن الإسلام، فكانت له صولات وجولات ومعارك مع رموز التغريب مثل د. طه حسين ود. لويس عوض وغيرهما.

وللراحل العديد من الكتب المؤلفة والمحققة لعل أشهرها كتابه عن «المتنبي»، و«إمتاع الأسماع»، و«طبقات فحول الشعراء»، و«تفسير الطبري»، و«أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز للجرجاني» و«برنامج طبقات فحول الشعراء». ومن كتبه الأخرى: «أباطيل وأسمار» و«نمط صعب ونمط مخيف». وقد أهلته ثقافته وما قدمه من أعمال لاختياره عضوًا في مجمع اللغة العربية، وكرمته الحكومة المصرية بمنحه جائزة الدولة التقديرية، كما كُرِّم عربيًا وإسلاميًا بنيل جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام 1404هـ بكتابه عن «المتنبي».

بحضور مجموعة من المستشرقين من مختلف أنحاء العالم، فضلاً عن باحثين عرب مهتمين بالدراسات الاستشراقية. وناقش المؤتمر بحوث الاستشراق وتطورها وإيجابياتها وسلبياتها، وموضوعاتها.

يُذكر أن المؤتمر الأول للمستشرقين عقد في باريس قبل 124 عامًا.

بريطانيا

وفاة المستعربة دورين إنجرامز

توفيت المستعربة البريطانية دورين إنجرامز عن عمر ناهز 93 عامًا.

وتعد إنجرامز من أبرز المدافعين عن القضايا العربية عامة وقضية فلسطين خاصة، كما ناصرت قضايا حقوق الإنسان ومكافحة التمييز العنصري في جنوب إفريقية، واهتمت بموضوع إيرلندا.

وهي كريمة وزير من وزراء حكومة لويد جورج، وبدأت حياتها المهنية ممثلة مسرحية، إلى أن تزوجت هارولد إنجرامز الذي نقلها إلى عالم الدبلوماسية، حيث قضت عدة سنوات في حضرموت، وفي رحابها تَوَلَّد عشقها للعرب ودفاعها عن قضاياهم، حيث عملت بعد عودتها إلى بريطانيا في القسم العربي بالإذاعة البريطانية، وأقامت علاقات وطيدة مع كُتّاب ومفكرين وأدباء وفنانين عرب.

وتركت الكاتبة عدة مؤلفات منها: «زمن في بلاد العرب»، «أوراق فلسطينية»، «المرأة الناهضة في العراق»، إلا أن أبرز أعمالها مؤلف ضخم من 16 مجلداً يضم وثائق اليمن من 1789 إلى 1960م.

معرض للكتاب الإسلامي

شاركت 30 دار نشر عربية وإسلامية ودولية في المعرض الدولي الثاني للكتاب الإسلامي الذي استضافته قاعة كينزينجتون تاون هول في لندن مؤخرًا واستمر ثلاثة أيام.

شملت المعروضات مختارات من كتب الدين الإسلامي والسياسة والتاريخ والعمارة والهندسة والفن، فضلاً عن كتب الأطفال.

مؤتمر تأسيسي لكُتّاب العراق ومفكريه

عقد كُتّاب العراق ومفكروه وصحافيوه المقيمون في بريطانيا مؤتمرًا تأسيسيًا هو الأول لهم.

ناقش المؤتمر مشروع وضع نظام أساسي لتجمع يضم المشاركين، وتم انتخاب هيئة تنفيذية تحددت مدتها بعام تكونت من: لؤي عبدالله، وفاضل السلطاني، وأحمد الكاتب، ومنعم الأعسم، وعواد ناصر.

أحدث الكتب

الثورة الديمقراطية: النضال من أجل الحرية والتعددية في العالم النامي، تأليف لاري دايموند، ترجمته إلى العربية سمية عبود.

حدود الحرية، تأليف إيزايا برلين، ترجمته إلى العربية جمانا طالب.

هما: مسرحية للدكتور غازي بن عبدالرحمن القصيبي.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الساقي في لندن.

حربي المفضلة، رواية لكريستوفر جون فارلي، صدرت عن دار جرانتا بوكس.

الأوبرا والمرأة، تأليف كاترين كليمنت.

المسيحيون واليهود في العالم الإسلامي، تأليف يوسف كرباج وفيليب خارج

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر أي. بي. توريس .

أبعد مما نرى، مجموعة قصصية لهيفاء



زنكنة، صدرت عن دار الحكمة.

الصين

كشف أثري

اكتشف الآثاريون مجموعة من التماثيل الأثرية في مقبرة أول أباطرة الصين الإمبراطور كين شيهانج (210-259 قبل الميلاد).

تتكون التماثيل المصنوعة من الطين من 86 محاربًا و44 زوجًا من الخيول وعدد من العربات الحربية والأسلحة، وبعضها يمثل جنودًا في حالة حركة ورمي بالسهام والرماح.

فنزويلا

جائزة رومولو جاليجوس للمكسيكي ماسترينا

منح الروائي المكسيكي أنجليس ماسترينا «جائزة رومولو جاليجوس» الأدبية الفنزويلية عن كتاباته الرومانسية في مجال الرواية.

وتعد هذه الجائزة من أكبر الجوائز الأدبية الفنزويلية، وتمنح مرة واحدة كل عامين، ومن الذين حصلوا عليها سابقًا الروائيان الكبيران جابرييل جارسيا ماركيز، وماريو فارجاس يوسا.

النمسا

رحيل رائد الواقعية في الفن التشكيلي

توفي الفنان التشكيلي هيلموت ليهيرباور عن عمر يناهز 64 عامًا نتيجة إجهاد بعد عمل متواصل في عدة لوحات.

ويعد ليهيرباور واحدًا من أبرز فناني الواقعية في بلاده. وقد أقام معارض لإبداعاته في مختلف بلدان العالم.

الولايات المتحدة

غياب صاحب «الوليمة الجرداء»

توفي الكاتب ويليام بوروز آخر أعضاء «جيل بيتنك» الثائر على تقاليد الحياة الأمريكية وطرزها عن عمر ناهز 83 عامًا.

ولد بوروز في سانت لويس بولاية ميسوري عام 1914م، وتخرج في جامعة هارفارد، وانتمى مع الشعراء آلان جنبيرج وجاك كيرواك وجريجوري كورسو إلى «جيل بيتنك» الذي ترك تأثيرًا كبيرًا في شباب الكُتّاب والفنانين.

ومن أبرز مؤلفاته: «الصبيان الهمجيون»، و«الوليمة الجرداء»، و«الآلة الهشة»، و«الأراضي الغربية»، و«مدن الليل القرمزي».

أحدث الكتب

المختطفون، رواية جابرييل جارسيا ماركيز، ترجمتها إلى الإنجليزية أديث جروسمان، وصدرت عن دار نشر كنوب.

صوت من عالم الأشباح، تأليف روبرت جيتس، صدر عن دار نشر سايمون أند شوستر.

داخل الحلقة: آباء وأمهات وأطفال في قرية عربية، تأليف الباحثة اندريا .ب. روج، صدر عن دار كولومبيا يونيفرسيتي برس للنشر في نيويورك.

ألمانيا

معرض الفن المعاصر

شارك ما يزيد على مئة مبدع في مجالات: الشعر وعلوم الاجتماع والفلسفة والعلوم الاقتصادية والعلمية في مهرجان الفن المعاصر المعروف باسم دوكومنتا في مدينة كاسيل الألمانية.

وعرض المهرجان كتاب «السياسة والشعر» الذي يلقي ضوءًا على تاريخ الثقافة الغربية خلال المدة من 1945-1970م، كما ناقش المهرجان طرق التحديث في الفن المعاصر خلال السنوات المقبلة، وألقى ضوءًا على الأحياء الألمانية القديمة التي ظهرت في لوحات بعض الفنانين وبخاصة خلال الخمسينيات الميلادية.

أحدث الكتب

اللاجئون الفلسطينيون وعملية السلام: الفلسطينيون في لبنان، دراسة أعدها رونالد اوفترنجر وآخرون، صدرت عن دار الكتاب العربي في برلين.

إيطاليا

جائزة القصة القصيرة لجنوب المتوسط

دعا مجلس إقليم ليجوريا شباب القاصين في بلدان جنوب حوض البحر المتوسط التي شاركت في المؤتمر الأوربي ببرشلونه عام 1995م، وهي: مصر، وتونس، ولبنان، وسورية، وفلسطين، والأردن، والمغرب، والجزائر، وتركيا، وقبرص، ومالطا، إلى المشاركة في مسابقة للقصة القصيرة حول موضوع ثقافة البحر المتوسط.

يشترط ألا يزيد عمر المتسابق على 35 عامًا، وألا يقل عن 17 عامًا، وتحدد منتصف شهر سبتمبر الجاري (13جمادى الأولى 1418هـ) موعدًا نهائيًا لتلقي المشاركات على العنوان التالي:

REGIONE LIGURIA
11 MARECHE UNISCE
AFFARI EUROPER E
COOPERAZIONE
INTERNAZIONALE
VIA FISCHI, 15 , 16121
GENOVA.

يذكر أن قيمة الجائزة مليونا ليرة إيطالية لكل بلد مع نشر الأعمال الفائزة.

إعادة افتتاح جاليري بورجيس

احتفل مؤخرًا بإعادة افتتاح جاليري بورجيس في روما، بعد أربعة عشر عامًا من التوقف عن العروض.

يحمل الجاليري اسم الكاردينال سيبون بورجيس الذي عاش في القرن السابع عشر، وعُرف بحبه لاقتناء الأعمال الفنية النادرة.

المكسيك

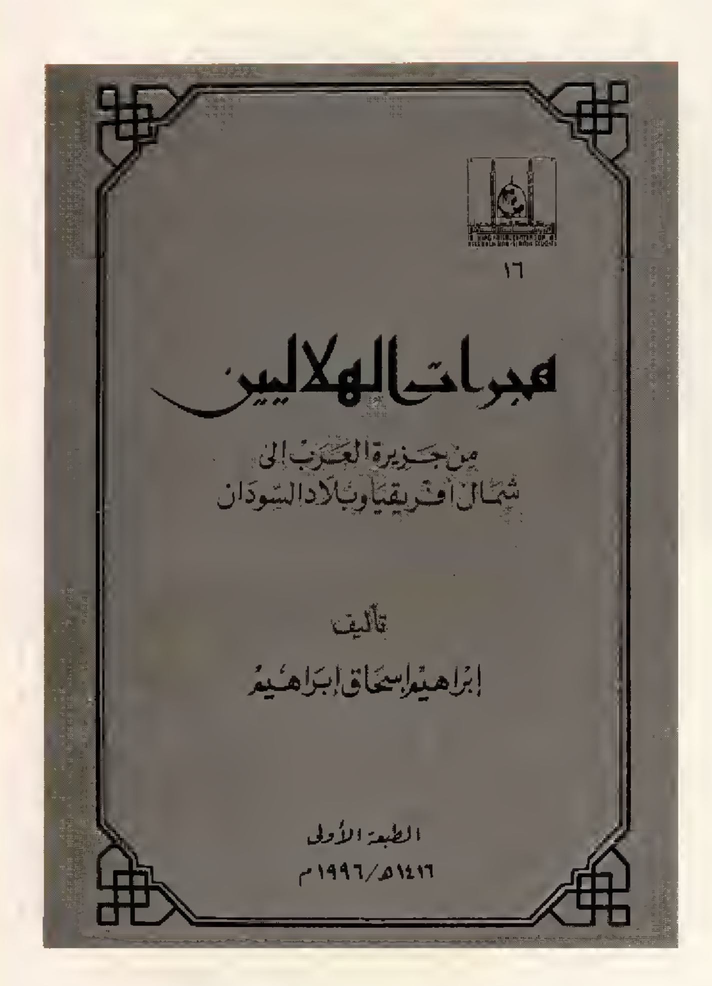
جائزة لكاتب إسباني

منح الكاتب الإسباني خوان مارسيه جائزة «خوان رولفو» عن مجمل أعماله التي من أبرزها روايتاه: «وداعًا للحياة.. وداعًا للحب»، و«سوف أعود يومًا ما».

والجائزة تمنحها جامعة جواد لاجارا المكسيكية وتحمل اسم الكاتب المكسيكي خوان رولفو (1918-1986م)، وهو روائي قدم العديد من الروايات من بينها روايته الشهيرة «اشتعال اللانو».

صدر حديثًا عن

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



هجرات الهلاليين

من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان

تأليف: **إبراهيم إسحاق إبراهيم**

ومن الإصدارات السابقة للمركز:

كتاب الأموال لابن زنجويه، تحقيق: د. شاكر فياض. **زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين**، مركز الملك فيصل. **المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية**، د. عبدالرحمن صالح. **إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين** لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني، تحقيق: د.عبدالمجيد دياب. **نور العيون وجامع الفنون** لصلاح الدين يوسف الكحال، تحقيق: د. محمد ظافر الوفائي، ود. محمد رواس قلعه جي. **وحدة الفن الإسلامي** (معرض) «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **الخط العربي** (معرض) «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل** (1ـ 7)، مركز الملك فيصل. **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة**، د. أحمد محمد جلي. **النظرية الخلقية عند ابن تيمية**، د. محمد عبدالله عفيفي. **الوقف وبنية المكتبة العربية**، د. يحيى محمود ساعاتي. **فهرس الميكروفيلم**، مركز الملك فيصل. **كتاب معرض الجهاد في فلسطين وأفغانستان** «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية**، د. زيد بن عبدالمحسن الحسين. **وقائع «ندوة الملك فيصل والتضامن الإسلامي»**، مركز الملك فيصل. **محاضرات الموسم الثقافي 1406ـ 1407هـ**، مركز الملك فيصل. **الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع** (معرض) «عربي وإنجليزي»، مركز الملك فيصل. **أدب الطبيب للرهاوي**، تحقيق: د. مريزن عسيري. **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، د. مهدي رزق الله. **الاستشراق في الأدبيات العربية**، د. علي بن إبراهيم النملة. **منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة**، عرض ونقد: د. أحمد العبداللطيف. **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، د. سعيد عبدالله البشري. **كشف الرين في أحوال العين لابن الأكفاني**، تحقيق د. محمد ظافر الوفائي، ود. محمد رواس قلعه جي. **الفيصل: مكنز عربي شامل في علوم الحضارة**، د. زيد بن عبدالمحسن الحسين.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

الرعاية اللاحقة

كتاب يناقش الرعاية اللاحقة لمرتكبي الجرائم المفرج عنهم من السجون ومراكز الإصلاح، بوصفها مفهومًا علاجيًا ووقائيًا. عالج عبدالله بن ناصر السدحان موضوع كتابه بتركيز على الرعاية اللاحقة في التراث الإسلامي، مشيرًا إلى أهمية تأصيل جوانب العلوم الاجتماعية وطرحها بشكل شرعي يوضح جهود علماء المسلمين.

يشتمل الكتاب على أربعة فصول: يضم الفصل الأول المقدمات الأساسية مثل تعريف الرعاية اللاحقة، وأهميتها، والمرتكزات التي تقوم عليها، وأهدافها، وتحديد من يقوم بتنفيذ برامجها، وإلى من تقدَّم هذه الرعاية، والاهتمام الدولي بالرعاية اللاحقة، والجهود الدولية في ذلك.

وفي الفصل الثاني تعرض المؤلف لمفهوم الرعاية اللاحقة في التراث الإسلامي، من أربعة محاور رئيسة هي: الرعاية اللاحقة المتمثلة في حث المجتمع على تقبُّل مَنْ تمّ عقابه، وتلك المتمثلة في الإعانة الاقتصادية لمن تم عقابه، والمتمثلة في إبعاد من تم عقابه عن البيئة السابقة، ورفع معنويات من تم عقابه.

وفي الفصل الثالث تناول واقع الرعاية اللاحقة في المملكة العربية السعودية، وكيف بدأت وما استقرت عليه الآن، وفيه وصفٌ لمهام الإدارة المسؤولة عن تنفيذ برامج الرعاية اللاحقة في المملكة، ورصدٌ لبعض الجهود التي بذلتها الجهات المسؤولة عن تنفيذ العقوبة في تقديم بعض برامج الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم. وفي الفصل الرابع قدم أبرز الواجبات التي ينبغي أن يضطلع بها الأخصائي الاجتماعي المنفذ لبرامج الرعاية اللاحقة، إضافة إلى سرد لإبراز المهارات التي ينبغي أن يتّصف بها الأخصائي الاجتماعي ليضمن نجاح البرامج التي يقدمها.

الكتاب يقع في 98 صفحة من القطع المتوسط وقد صدر عن مكتبة العبيكان.

الرحلات الملكية

كتاب يضم وصفًا لرحلات الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض وجدة، وقد نشرت في جريدة أم القرى خلال الفترة من 1343- 1346هـ بقلم بعضٍ من أبرز مرافقي الملك عبدالعزيز في تلك الرحلات.

قامت دارة الملك عبدالعزيز للوثائق والمخطوطات والبحوث والدراسات بإعادة طباعة الرحلات، بعد أن نفدت الطبعات السابقة التي أصدرتها جهات أخرى مثل: وزارة المعارف، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تقول الدارة في تقديمها للكتاب: تضيء هذه الرحلات المزيد من جوانب شخصية الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، من حيث محبته للعلم والمعرفة، وتسامحه، وعطفه، وقوته، والتزامه الدين، وعدله، كما تكشف سطور الرحلات عن التنظيم والترتيب اللذين يسير عليهما ركبه، وعن الأسلوب الذي كان يدير به ذلك الركب، حيث خصص ساعة لقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وشيء من التاريخ وكتب الفقه والعلم الشرعي، وساعة أخرى لبحث الموضوعات السياسية، وساعة لبحث أوضاع الطريق ومواقعه الجغرافية. كما تكشف تلك الرحلات عن التفاف الناس حول الملك عبدالعزيز وتأييدهم من المناطق المختلفة في الجزيرة العربية.

من يطلع على الوصف التفصيلي لتلك الرحلات، والمشقات التي كان يكابدها الموكب، والمسافرون عمومًا عبر الطرق الوعرة، آنذاك، ويوازنها بحاضر المملكة العربية السعودية، يقف على النقلة الكبرى التي شهدتها البلاد، بخاصة في بناء الطرق الحديثة التي ربطت أطرافها، ويسرت قطع المسافات الطويلة في وقت وجيز.

الكتاب يقع في 133 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

تقييم الأداء في المكتبات ومراكز المعلومات

قامت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بتعريب هذا الكتاب الذي صدر باللغة الإنجليزية، لأستاذ المكتبات والمعلومات الأمريكي لويلفرد لانكستر، وتولى ترجمة الكتاب كل من الدكتور جمال محمد الفرماوي من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، والدكتور حسني عبدالرحمن الشيمي من جامعة الدول العربية. وقد ضمن المؤلف كتابه معلومات وافية عن: التزويد، وبناء المجموعات، والخدمة المرجعية، وخدمة البحث الفوري، والإعارة، وتداول أوعية المعلومات.

يحتوي الكتاب على ستة عشر فصلاً في ثلاثة أقسام ومقدمة. ويرسم المؤلف في الفصل الأول (المقدمة) إطارًا نظريًا عامًا لموضوع التقييم يعتمد على فكرة أساسية مفادها أن المكتبة أو مركز المعلومات يمكن النظر إليها باعتبارها وصلةً بينية أو وسيطًا بين مصادر وموارد المعلومات المتاحة من ناحية ومجتمع المستفيدين المطلوب تقديم الخدمة لهم من ناحية أخرى. ولذلك فإن أي برنامج للتقييم يجري للمكتبة ينبغي أن يُعنى بتحديد المدى الذي تنجز فيه المكتبة هذا الدور البيني INTERFACE ROLE بنجاح.

ويشتمل القسم الأول على الفصول من الثاني حتى التاسع، ويعالج فيها المؤلف جوانب تقييم خدمات إيصال الوثائق للمستفيدين. فيتكلم عن تقييم المقتنيات من حيث الاكتمال والاستخدام والانتفاع بالمكان وعمليات الاستبعاد للمواد المتقادمة والعوامل المؤثرة في نجاح أو إخفاق إيصال الوثائق.

ويتناول القسم الثاني (الفصول من العاشر حتى الثاني عشر) تقييم الخدمات المرجعية وخدمات البحث في قواعد المعلومات والفهارس (المحوسبة) وتقييم التعليم (الببليوجرافي) وبرامجه.

وفي القسم الثالث (الفصول من الثالث عشر إلى السادس عشر) يتحدث المؤلف عن بعض الجوانب الأخرى للتقييم مثل: تقاسم أو تشاطر الموارد بين المكتبات RESOURCE SHARING وجوانب واعتبارات فعالية التكلفة وعائد أو مردود التكلفة والضبط المستمر للجودة، بمعنى الاهتمام من جانب أخصائي المكتبات بالمتابعة أو المراقبة المستمرة للخدمات المتاحة، لتحديد ما إذا كانت مستجيبة لحاجات المستفيد أم لا. وهذا يعني ضرورة وجود مواصفات قياسية عربية تكون معيارًا للحكم على مستوى الأداء في جميع قطاعات النشاط داخل المكتبة، وهذا اتجاه بدأ في الدول الغربية مؤخرًا تحت ما يسمى بإدارة الجودة الشاملة TOTAL QUALITY MANAGEMENT (TQM).

الكتاب يقع في 554 صفحة من القطع الكبير، وقد صدر في طبعته الثانية عن مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

رفقا بالفصحى

يطرح المؤلف عبدالله حمد الحقيل خلال هذا الكتاب رؤيته لمعالجة المشكلات التي تعانيها اللغة العربية بين أهلها الناطقين بها، وينطلق المؤلف في طرحه من حقيقة أنه: «كلّما عزّت اللغة العربية عزّ أهلها».

موضوعات الكتاب، في الأصل، مقالات كتبها المؤلف، ومحاضرات ألقاها في مناسبات وتواريخ مختلفة، ولذلك فهي، من جانب، تعبر عن استجابة لقضايا اللغة العربية ومشكلاتها الآنية، التي تطرح في وسائل الإعلام، من مثل: «تشويه اللغة العربية بالأخطاء التي يرتكبها خطاطو اللوحات واللافتات الإعلامية»، ومن جانب آخر تناقش القضايا التخصصية من مثل «توحيد المصطلحات في العلوم في الوطن العربي»، «تيسير النحو»، «مهمات مجامع اللغة العربية»، «التعريب».

يستخلص القارئ من مجموع موضوعات الكتاب أن المؤلف يرمي إلى جعل رعاية اللغة العربية والاعتناء بها، والغيرة عليها، همًا يوميًا للإنسان المسلم، أي أن تكون المسؤولية تضامنية بين الأفراد والمؤسسات والدول، وهذا المفهوم، وهو ما عبر عنه في جملة أمنيات، يتطلع أن يرى اللغة العربية عليها: أن تكون لها الريادة والمكانة المرموقة، وأن تعود كما كانت في أمسها الزاهر، نامية، متجددة، مستجيبة لمطالب الحياة والارتقاء والتطور، وأن تصبح لغة العلم والبحث العلمي، والتدريس في الجامعات، وأن تبقى لغة الحياة والحضارة والتقدم والنهوض.

الكتاب يقع في 146 صفحة من القطع المتوسط وقد صدر عن دار أضواء المعرفة بالرياض.



الدكتور
غازي بن عبدالرحمن القصيبي

ضيف المنتدى في عدد شهر جمادى الآخرة 1418 هـ

نبذة من سيرته :

- من مواليد الأحساء، المملكة العربية السعودية، 1359هـ/1940م.
- حاصل على ليسانس الحقوق، جامعة القاهرة، وماجستير العلاقات الدولية، جامعة جنوب كاليفورنيا، والدكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة لندن.
- التحق بسلك التدريس في جامعة الملك سعود بالرياض حتى أصبح رئيسًا لقسم العلوم السياسية، فعميدًا لكلية التجارة؛ وكان خلال ذلك يعمل مستشارًا لعدد من الجهات الحكومية.
- عُيِّن مديرًا عامًّا لمؤسسة الخطوط الحديدية في عام 1394هـ/1974م، وفي عام 1395هـ/1975م عُيِّن وزيرًا للصناعة والكهرباء، ثم وزيرًا للصحة عام 1402هـ/1982م، وفي عام 1404هـ/1984م عُيِّن سفيرًا للمملكة في البحرين.
- يعمل حاليًا سفيرًا لخادم الحرمين الشريفين في المملكة المتحدة وإيرلندا.
- له نشاط اجتماعي واسع من خلال جمعية رعاية الأطفال المعاقين، وجمعية البر بالرياض، وجمعية البر بالمنطقة الشرقية، وجمعية مكافحة التدخين، ولجان أصدقاء المرضى، وبيت القرآن بالبحرين.
- له عدد من الدواوين الشعرية: أشعار من جزائر اللؤلؤ، قطرات من ظمأ، معركة بلا راية، أبيات غزل، أنت الرياض، الحمى، العودة إلى الأماكن القديمة، وورود على ضفائر سناء، مرثية فارس سابق، عقد من الحجارة.
- من مؤلفاته: عن هذا وذاك، في رأيي المتواضع، المزيد من رأيي المتواضع، التنمية وجهًا لوجه، قصائد أعجبتني، سيرة شعرية، مئة ورقة ورد، الغزو الثقافي، أزمة الخليج محاولة للفهم، العودة سائحًا إلى كاليفورنيا، وغيرها.

ومن آرائه :

«يبدو لي أن أي مواطن بعيد عن الإلمام بأولويات التقنية محروم من الوعي التقني هو مواطن أميّ تقنيًا.. مثل هذا المواطن لا يستطيع تطويع التقنية وبالتالي تحقيق التنمية، ومجتمعاتنا العربية تغص بأمثال هذا المواطن».

التنمية: أفكار وانطباعات

محاضرات الموسم الثقافي لجامعة الدول العربية، تونس، 18تشرين الأول/ أكتوبر 1985م.

يقول موجهًا حديثه للغرب: «.. كلُّ قاضٍ مسؤولٌ أمام الله مسؤوليةً شخصية مباشرة عن كل حكم يُصدره.. هذا شيء لا تستطيعون فهمه في الغرب!! كل ما تفهمونه هو العدالة التي تتحقق عن طريق المبارزة بين الدفاع والهجوم.. ولدينا لا توجد مبارزات».

حوار في برنامج «بانوراما» في هيئة الإذاعة والتلفاز البريطانية، نشرته مجلة المجلة في 10آب/ أغسطس 1996م.

«.. ما تفعله مخالب البيروقراطية بالتنمية ليس سرًا مكتومًا يُضيره الافتضاح بل ظاهرة معروفة مألوفة.. كثيرًا ما تكون أهداف التنمية في وادٍ وأهداف البيروقراطية أو جزءٍ منها في وادٍ آخر!!».

التنمية: أفكار وانطباعات

محاضرات الموسم الثقافي لجامعة الدول العربية، تونس، 18تشرين الأول/ أكتوبر 1985م.

«.. أقول إنَّ الشاعر الحقيقي هو الذي يستطيع أن يحوِّل تجربته الفردية إلى موقف إنساني: حبيبةُ الشاعر تصبح حبيبة كل إنسان، وألم الشاعر يصبح ألم كل إنسان.. وهكذا يصبح القارئ جزءًا من التجربة الإنسانية التي تحدث عنها الشاعر!!».

من مقالات في الأدب تحت عنوان: هل للشعر مكان في القرن العشرين، ص13، مطبوعات نادي الطائف الأدبي.

«منذ إنشاء الدولة السعودية الأولى، قبل قرابة قرنين، كان هناك تحالف بين القيادة السياسية، متمثلة في أسرة آل سعود، والقيادة الدينية التي تمثلت في الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم في العلماء. وقد أثبت هذا التحالف، عبر السنين، صلابته وقوته وصموده في وجه كل الضغوط والأزمات».

أزمة الخليج: محاولة للفهم، ص122

«إن سبيلنا الإسلامي القويم لا يتطلب منا ما تطلبته الرأسمالية المتطرفة من أتباعها، ولا ما تتطلبه الشيوعية الغاشمة من الواقعين تحت نيرها الجهنمي. الإسلام يعترف بحقوق الفرد كما يعترف بحقوق المجموع، ويرفض أن يخنق حرية الفرد ويقضي على مقومات إنسانيته في سبيل بناء جنة مزعومة على الأرض لم تتحقق ولن تتحقق».

التنمية وجهًا لوجه، ط1، 1401هـ ص47.

«.. سأطرح عليكم سؤالي التالي: هل للإسلام موقف مناهض للشعر من حيث هو شعر؟ وللشعراء من حيث هم شعراء باستثناء شعرٍ معيّن لشعراء معينين تتوافر فيهم شروط معينة؟ أم إنه لا يتصف بأي نوع من أنواع العداء إلاّ ما كان لشعراء هجوا الرسول صلى الله عليه وسلم؟».

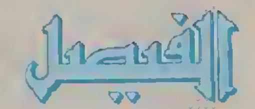
من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، ط1، 1410هـ، ص5.

تتلقى المجلة أسئلة القراء البريدية على العنوان: ص.ب 3 ـ الرياض 11411، وبالفاكس: 4647851 وبالهاتف 4653027

ما بين الساعة 12ـ 1 ظهرًا، وما بين الساعة 8 - 9 مساءً.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....



مسابقة مجلة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد 248

ج1: حرَّم الإسلام شهادة الزور، وعدّها من أكبر الكبائر. ومن الأحاديث الشريفة في ذلك:

- ماورواه ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب، الله له النار».

- ومارواه البخاري ومسلم عن أنس قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سُئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين»، وقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور» أو قال: «شهادة الزور».

- وما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»، قلنا: بلى يارسول الله. قال:«الإشراك بالله وعقوق الوالدين»، وكان متكئًا فجلس وقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

وأحاديث كثيرة غيرها. فعلى المسلم أن يحذر من ذلك لأن في شهادة الزور مناصرة للباطل، وهضمًا لحقوق المظلوم، وتضليلاً للقضاء، وإيغارًا للصدور، وتأريثًا للشحناء والعداوة بين الناس.

ج2: هو عثمان بن عبدالله بن عثمان بن حمد بن بشر النجدي الحنبلي، من زيد، من قضاعة. أحد مؤرخي الجزيرة المشهورين. كان من رؤساء قبيلة بني زيد في بلدة شقراء من بلاد الوشم. ولد سنة 1210هـ على التقريب، وتعلم في شقراء، وحجّ سنة 1225هـ، وهو فتى. من كتبه: «عنوان المجد في تاريخ نجد»، جزآن، ضاع ثالثهما، و«بغية المحاسب» في الحساب، و«الإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة» في الفلك، وكتاب «سهيل في ذكر الخيل»، و«مرشد الخصائص» في الطفيليين والثقلاء، و«فهرس طبقات الحنابلة لابن رجب» جعل تراجمه على الحروف. مات سنة 1288هـ أو 1290هـ (على خلاف بين المراجع) في بلدة جلاجل عن نحو ثمانين سنة.

نتائج مسابقة العدد 248

أ - فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 750 ريالاً سعوديًا، ذحيّة الحسين، الهامل، الجزائر.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، سلمى محمد جلال المولوي، دمشق، سورية.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، مقداد حيدر الأنباري، الدوحة، قطر.

ب - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- هدى بنت عبدالعزيز الهدلق، الرياض، المملكة العربية السعودية.
2- عزة صبري يوسف جودة، القاهرة، مصر.
3- رباح حسين شقفة، العين، الإمارات العربية المتحدة.
4- مشعال حسين، تطوان، المغرب.
5- شاهر بن شاس بن خلف المخيمر، رفحاء، المملكة العربية السعودية.

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12عددًا)، كل من:

1- إبراهيم عثمان عمر، أم درمان، السودان.
2- إظهار الحق سلطان عزيز، إسلام آباد، الباكستان.
3- الطاهر طلحي، بسكرة، الجزائر.
4- مجاهد صالح محمد أبو كحلا، صنعاء، اليمن.
5- عيسى صلاح مساعد محمد الرجبي الجهني، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
6- إحسان سليمان القرفان، درعا، سورية.
7- إيمان جميل الهنداوي، عمان، الأردن.
8- أغربي عبداللطيف، مكناس، المغرب.
9- محمد عبدالسميع عبدالرحيم سليمان، شبين الكوم، مصر.
10- دليلة بن عثمان، أريانة، تونس.

د - كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- حامد كاظم حميد، سترة، البحرين.
2- جلال الدين إبراهيم علي حران، الخرطوم، السودان.
3- محمد يحيى محمد عبدالله عتين، جيزان، المملكة العربية السعودية.
4- إحسان أحمد أحمد سكر، إربد، الأردن.
5- بشرى محمد محمد العافي، صنعاء، اليمن.

أسئلة مسابقة العدد 251

(سؤالان فقط)

س1: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدًا من أصحابه في مهمة أوصاه. اذكر ثلاثة أحاديث في ذلك.

س2: يُعدّ جامع الزيتونة من المراكز الكبرى لنشر العلم في الشمال الإفريقي. من الذي بناه؟

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 251
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

آخرُ البَزِّ على القَلُوصِ

يُضرب عند آخر العهد بالشيء وعند انقطاع أثره وذهاب أمره.

ويقال فرس مقلّص إذا كان طويل القوائم، وإذا كان كذلك كان أسرع، وقيل له مقلّص، تشبيهًا بالرجل الذي قلّص ثيابه - أي شمّرها - فظهرت رجلاه.

حوار مع السعادة

سُئلت السعادة: أين تسكنين؟ قالت: في قلوب الراضين. قيل فبم تتغذين؟ قالت: من قوة إيمانهم. قيل: فبم تدومين؟ قالت: بحسن تدبيرهم - قيل: فبم تُستَجلَبين؟ قالت: أن تعلم النفس بأنْ لن يصيبها إلا ما كتب الله لها. قيل: فبم ترحلين؟ قالت: بالطمع بعد القناعة، والحرص بعد السماحة، والهم بعد السرور، والشك بعد اليقين.

بلزاك وخطه

كان الكاتب الفرنسي الشهير بلزاك يزعم أن لديه قدرة التنبؤ بمستقبل الناس عبر دراسة خطوطهم، فجاءته سيدة ذات يوم، وقدمت له ورقة عليها بضعة أسطر قالت إنها لصبي في العاشرة.

وتمعن بلزاك في خط الصبي ثم قال: إن صاحب الخط سيبقى حمارًا إلى الأبد. فضحكت السيدة وقالت على الفور: يا عزيزي إن هذا الخط هو خطك أنت حينما كنت في العاشرة!

محاولات

سئلت رئيسة الفلبين السابقة كورازون أكينو يومًا عن إيمانها في الحياة فقالت: أومن دائما بالمحاولة. قيل: فقط؟! قالت: أجل فالحياة كلها عبارة عن محاولات للوصول إلى هدف معين.

سبعة تدمر الإنسان

يروى أن زعيم الهند الراحل المهاتما غاندي كان يجد راحته في الحديث مع عنزة له، ومما قاله: سبعة أشياء تدمر الإنسان: السياسة بلا مبادئ، والمتعة بلا ضمير، والثروة بلا عمل، والمعرفة بلا قيَم، والتجارة بلا أخلاق، والحلم بلا إنسانية، والعبادة بلا تضحية.

أصغر الخلق

جاء أبو عبدالرحمن خالد بن الأصم يومًا إلى أبي العتاهية وسأله: أي خلق الله أصغر؟ قال أبو العتاهية: الدنيا لأنها لا تساوي جناح بعوضة. قال: بل أصغر منها مَنْ عظّمها.

عالم حقيقي

سئل الشعبي ذات يوم عن مسألة، فقال: لست أدري، فقيل له: ألا تستحي من هذا وأنت فقيه العراقيين؟! قال: إن الملائكة لم تستح إذْ قالت: «سُبحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاّ ما علَّمْتَنَا».

مَنْ يعيره لسانًا!!

روى الأصمعي: دخلت على الخليفة هارون الرشيد يومًا فقال لي: ما أحْسَنُ ما مرّ بك في تقويم اللسان؟! قلت: أوصى أحد الحكماء بنيه فقال: يا بني أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوء به النائبة فيحتمل فيها، فيستعير من أخيه دابته، ومن صديقه ثوبه، ولا يجد مَنْ يعيره لسانًا.

حق الكبير

روي أنه كان بين الحسن والحسين رضي الله عنهما كلام، فقيل للحسين: ادخل على أخيك فهو أكبر منك. فقال: إنني سمعت جدي صلى الله عليه وسلم يقول: أيما اثنين بينهما كلام فطلب أحدهما رضى الآخر كان سابقه إلى الجنة، وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر، فبلغ الحسن قول أخيه، فأتاه عاجلاً وأرضاه.

يوبخ نفسه

قال أحد الزهاد: أسكتتني كلمة لابن مسعود رضي الله عنه - عشرين عامًا وهي: من كان كلامه لا يوافق فعله، فإنه يوبخ نفسه.

حكمة

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلبُ الربح مما فيه خُسرانُ!
أقبِل على النفس واستكمِل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ!

الأغلب

طُلب من حكيم أن يشرح صفوة تجاربه في الحياة فقال: عاديت الأعداء فلم أر أعدى لي من نفسي، وصاحبت الشجعان والسباع فلم يغلبني إلا الصاحب السوء، وصارعت الأقران فلم أر أغلب من المرأة السليطة!

شرٌّ من إبليس

قيل إن رجلاً توصل إلى إبليس - لعنه الله - فقال له: لي إليك حاجة. قال إبليس: وما هي: قال الرجل: إن لي ابن عم ذا ثروة، وله إحسان كثير إليَّ، وتوفر عليَّ، ولي بماله نفع بيّن، لكنني أريد أن تزيل نعمته ولو افتقرت بفقره. فقال إبليس لأذنابه: من أراد أن يرى من هو شر مني فلينظر إلى هذا الرجل.

من نوادر النحاة

جاء نحوي يعود مريضًا، فطرق بابه، فخرج إليه ولده، فقال النحوي: كيف وجدت أباك. قال الولد: يا عم ورمت

استراحة العدد

رجليه. قال النحوي: لا تلحن قل رجلاه، ثم ماذا؟ قال الولد: ثم وصل الورم إلى ركبتاه. قال النحوي: لا تلحن، قل ركبتيه. ثم ماذا؟ قال الولد: مات.

مجنون أم عاقل

كان بهلول من عقلاء المجانين في زمن الرشيد، وكان يسير في شوارع بغداد وأزقتها يصيح بأعلى صوته: الخلافة لي، الخلافة لي، أما خليفتكم الرشيد فقد اغتصبها مني، ولن أترك حقًا من حقوقي.

فاقترب منه أحدهم يومًا وقال له: يا بهلول إن أمير المؤمنين قد أمر بدرهمين لكل مجنون، فالتفت إليه بهلول وقال: وهل أخذت نصيبك؟!

القاضي والمتقاضي

يحكى أن رجلاً طلب حاجة من أبي نواس فوعده الأخير بقضائها وأن يحضرها إلى منزله صباح اليوم التالي. وجلس الرجل في بيته منتظرًا أبا نواس من طلوع الشمس حتى غروبها، إلا أنه لم يف بالوعد ولم يحضر، وصادفه في مساء اليوم التالي في الطريق فقال له: إنني لم أر في حياتي إنسانًا أكذب منك، ولو علم أمير المؤمنين بما انطوت عليه نفسك لجعلك قاضيًا للمنافقين. فقال أبو نواس: صدقت فيما تقول، فهل من دعوى تعرضها عليَّ؟!!

النجاح في الحياة

سئل الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين عن الطريقة التي تجعل الإنسان ينجح في الحياة بثبات فقال: هي أن يفعل كل يوم أمرًا لا يحبه، وعندئذ سيجد القاعدة الذهبية لتأدية واجباته من غير ألم!

أربعة تولد المحبة

قال حكيم: أربعة تولد المحبة: حسن البِشْر، وبذل البر، وقصد الوفاق، وترك النفاق.

هكذا كانوا

رأى عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ يعدو إلى ظاهر المدينة، فقال علي: إلى أين يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: قد ندّ بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه. فقال علي: قد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أمير المؤمنين.

لم يغيّره المال

يروى أن يحيى بن سعيد كان ضعيف الحال، فولاه أبو جعفر المنصور القضاء فارتفع شأنه إلا أن حاله لم يتغير، فقيل له في ذلك، فقال: مَنْ كانت نفسه واحدة لم يغيّره المال ولا الإقتار.

شكر النعمة

قال بعض الحكماء: من كثرت نعم اللّه عليه، وكثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يحب الله فيها عرّضها للدوام والبقاء، وإن لم يقم فيها بما يحب الله عرّضها للزوال.

ضرتان

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الدنيا والآخرة ضرتان، فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى.



مسجد على طراز معماري أصيل يزيد من جمال الطبيعة في أحد شواطىء المنطقة الشرقية



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة



صمود

عبدالله محمد عبدالله آل سيف

الظهران - السعودية

مهما سقاني الدهر كأسًا يحرق ... سأظلُّ في خيرٍ ووجه يشرق

أرنو إلى الأمل الكبير بطلعة ... تزهو بنورٍ ساطعٍ يتألق

مهما تحدّتني الصّعاب وأمعنتْ ... بالشّرِّ والعدوان راحت تبرق

سأظلّ أمشي في طريق مُفعَمٍ ... بالخير والأنوار دومًا ينطق

صبري وإيماني جناحًا أصبحا ... وبه إلى أعلى التّلال أحلّق

فإذا تعقّدت الأمور فلن أدع ... لليأس أن يدنو إليَّ وينعق

ربي سينصرني على النفس التي ... عاشت بحقد أسودٍ تتمزق

فاصْمد أمام الحادثات إذا أتت ... والجأ إلى المولى بقلبٍ يخفق

فالله يعلم بالأمور جميعها ... إن كنت حقًا في المواقف تصدق

التعليق: إنّ قصيدة صمود لعبدالله محمد عبدالله آل سيف من الظهران صيغت في بحر الكامل وقافية القاف ورَويٍّ المتواتر، وقد افتتح عبدالله قصيدته محاولاً ربط عنوان: الأبيات صمود بمضمونها، حيث وضّح أنّ الدّهرَ وإنْ تشدّدَ عليه وجرّعه كأسًا يغلي فإنه سيظلُّ مسرورًا جذلا لا يأبه ولا يخضعُ، طالبًا للأمل متطلّعًا إليه. يبدو في خنزوانةٍ(1) شديدة، لا يُبالي كما قال أبو الطيّب:

شديدُ الخُنزوانةِ لا يُبالي
أصَابَ إذا تَنَمَّرَ أمْ أُصِيبَا

وكثرة الصّعاب ستجعله يمشي في طريق محفوف بالخير والنّعيم. وقد سلخ من صبره وإيمانه جناحًا يحلّق به إلى أعلى التلال، وشدّةُ الأمور وصعوبتها ستجعله رافضًا لليأس، وأيقن أنّ ربّه سينصره على من فاضَ حَسَدًا وحقدًا عليه، وأوصى نفسه أن يصمد ويثبت في وجه الشدائد عند مجيئها وأن يتّجه إلى الله تعالى آنئذٍ بقلب ثابت

ويقين أكيد، فاللّه هو الذي يعلم الأمور ويدبّرها.

فقد جاءت الأبيات بتلك الصّورة التي أشرتُ إليها، حيث سار في باب ربط عنوان أبياته بما حوت. وقد كان في سائر الأبيات يقول قوله في هذا المنحنى، وكأنّه قد وُفّق في هذا الاتجاه، وأشرقت عباراته الشعرية في هذا الصدد.

ولعلّ من محاسن الأبيات، أنّه قد استعملها بذلك التصريح الواضح المتّفق بين العروض والضّرب، إذ صار عروض البيت الأوّل تابعًا لضربه. وكما قال صاحب العمدة: «إن التصريع سببه مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أوّل وهلة أنّه أخذ في كلامٍ موزون غير منثور، ولذلك يقعُ في أوّل الشعر». وكذلك من الوجوه الحسنة أنّه جعل رويّ الأبيات قافًا، وكما قال العلماء: إنّ العين والقاف لا تدخلان على بناء إلاّ حسّنّاه، لأنهما أطلقُ الحروف.

أما العين فأنصع الحروف جَرْسًا وألذُّها سماعًا، والقاف أمتنُ الحروف وأصحّها جرْسًا.

ولكنّ المأخذ الذي يؤخذ عليه استئنافه الأبيات بالحرف مهما الذي هو، كما زعم بعضهم، اسم شرط جازم كقول زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفَى على الناس تُعلم

ولكن كان عليك أن تعرض ما بك من مشاعر وما عندك من معانٍ، ثم بعد ذلكم تورد هذا الحرف أو الاسم.

والمأخذ الآخر قولك في البيت الخامس.

صبري وإيماني جناحانِ الذي»

فالعبارة متراكبة وبها خلل في الوزن والصّياغة، فالتقى المثنى: (جناحَان) و(الذي) وبهما بعدت ولاحَ الخللُ، فعليك أن تقول مثلاً:

صبري وإيماني جَناحًا أصبَحا» وبه حيث تجعلُ صبرك وإيمانك جناحًا وتقدّمه على أصبحا، وهو خبرٌ لأصبح منصوبٌ وبه تحلّقُ، وبهذا يستقيمُ المعنى، وتتسق الصّياغة ويتجانسُ التركيبُ، واللّه أعلمُ.

د. محمد أحمد سليمان إدريس

الهوامش:

1- أصل الخنزوانة ذبابة تقع في أنف البعير فيشمخ لها بأنفه، فاستعيرت للكِبْر فقيل بفلانٍ خنزوانة.

متابعات

الأخ علي مبزعيّة - باجة - تونس:

وقفنا على منظوماتك الثلاث، وقد دلّت على أنّ لك أُذنًا حسنة التجاوب مع موسيقى الشعر العمودي. وبكثرة الاطلاع تستطيع صقل الموهبة، والوقوف على ما يجوز في أوزان الشعر وقوافيه. كثّف قراءاتك في الشعر الموزون، واستعن على النّظم بحفظ النماذج الجيّدة منه، فإن ذلك يقوي الاستعداد الشاعري الذي لمسناه في ما كتبت.

الأخ عبدالرحمن محمد أحمد - نجع حمادي - السباقات - مصر:

أبياتك تفيض بعاطفة سامية هي عاطفة البنّوة البارة، وأكرم بها. حاولت إبداع صور فنية لولا أن الصياغة تستعصي عليك أحيانًا فتحيل المعنى، كقولك: (وتهوى الشمس لو تكلتك عيني)، فلعلّك أردت أنّ الشمس تغار منه، وتتمنّى أن يختفي من الوجود، ولكن العين لا تثكل وإنما تدمع وتبكي وتفتقد.

حسُّك الموسيقي جيّد، وقد نظمت أبياتك في بحر الوافر، غير أن البيت الأول جاء قلقًا، عروضًا ومعنى.

اعتنِ بالصور والأخيلة، واختر الألفاظ التي لا تُفسد التصوير وأطِلْ النّفَس الشّعري إلى أن تستفرغ المعاني التي قصدت إليها. وتزوّد بالقراءة الواسعة وحفظ الأشعار الجيّدة ولا تنقطع عن المحاولة.

وقد اخترنا بعض الأبيات الجميلة التي جاءت في قصيدتك، وهي:

وبين يديك قافيتي تغنّي
وتركُضُ في رباك جيادُ عيدي

إذا لثمتْ يمينُك جمرَ جرحي
لهيبُ الداء يصبح كالجليد

شهيٌّ إن لقيتك مُرُّ كأسي
ويشرق من نداك ربيعُ بيدي

وتهوي الشمسُ لو ثكلتكَ عيني
ويخلو الكونُ من وجهٍ حميد

لوجهك تركض الأحداق جذلى
فترجع وابتهاجك عقد جيدي

مصطفى لحكيم بن أحمد - المغرب - مكناس:

«حكاية ليل» محاولة لا بأس بها، سلمت من اللّحن، ولكن بعض ألفاظها لم يسلم من القلق، مثل قولك: (تقضي المبيت بليّلها تتألم) و(الخطايا تلطم) وغيرها. وقد ذكرت أنها نُظمت على وزن البحر الكامل، وهي كذلك إلا أن بها سنادًا، وهو اختلاف ما يُراعى قبل الرّويّ من الحروف والحركات، وذلك: (عالَم) في قافية البيت السابع حيث جاءت مؤسسةً، مختلفةً بذلك عن بقية قوافيك التي خلت من التأسيس نحو: (بلسمُ، سلمُوا، تقدموا...) وهذا اسناد التأسيس وهو عيب في القافية.

ولست بعيدًا عن المرمى إن واظبت على الكتابة، وعمدت إلى الصور والأخيلة المعبّرة وابتعدت عن الخطاب الوعظي المباشر، واجتنبت الحشو، نحو قولك: (فيه الدّوا للسّالكين وبلسم) فالدواء والبلسم بمعنى. هذا وقد قصَرت (الدواء) وقصر الممدود جائز، كما قال حسّان بن ثابت:

بكت عيني وحقّ لها بكاها
وما يغني البكاء ولا العويل

فقصَر (بكاها) ومدّ (البكاء). ولكنك أضفت إلى الاضطرار الحشو.

نرجو لك التوفيق وننتظر مشاركاتك.



الأخ د. حسن حدة ـ دمشق ـ سورية:

كنا نأمل توضيحك لما جاء في مقالة د. حسن ظاظا حول القدس، ولكن حفل الرد بأخطاء مطبعية شملت النصوص القرآنية، مما يدعونا إلى الاعتذار لك، آملين أن يصل إلينا رد مراجع بدقة منكم حتى يتسنى لنا نشره، ليجيء معبرًا بدقة عما تقصدونه، واعتقادنا أن اهتمامك بسرعة الرد قد فوت عليك فرصة المراجعة الدقيقة. لما كتبته.

الأخ صلاح الدين عثمان ـ إذاعة ولاية النيل الأزرق ـ السودان:

نشكر لك تعليقك على إطلالة العدد ٢٣٦ التي عنوانها «العرب أمة بلا ذاكرة»، ودعوتك إلى ضرورة إنعاش وعي الإنسان العربي في خطة تربوية شاملة ذات أسس علمية ومنهجية. واقتراحك بأن ينظم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مؤتمرًا جامعًا يشارك فيه المفكرون والعلماء بغية علاج أسباب وهن الأمة العربية اقتراح وجيه، ولكن لا يخفى عليك أن العديد من الندوات والمؤتمرات قد تناولت بالفعل جوانب كثيرة من هذه القضية الحيوية، ووضعت حولها التوصيات والاقتراحات، من غير أن ينفذ معظمها على أرض الواقع، ولكن لا بأس من استمرار المحاولة، لأن الأمل يبقى دومًا مادامت الحياة.

الأخ عبدالقادر قرش ـ باب الزوار ـ الجزائر:

ستصل إليك بعض أعداد المجلة حتى تتعرف شروط الكتابة فيها، وبما أنك متخصص في الأدب العربي، ففي إمكانك أن ترسل من البحوث والمقالات في هذا المجال ما يتناسب مع مجلة ثقافية عامة، ولعل اطلاعك على بعض الأعداد يتيح لك ذلك، أما الاشتراك السنوي في المجلة، فكما هو موضح في الصفحة الثالثة منها قيمته 150ريالاً أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي.

الأخ عبدالفتاح عزب ـ دمشق ـ سورية

أحيلت رسالتك إلى جهة الاختصاص؛ ونأمل عند طلب مراجع الاتصال مباشرة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وعنوانه موضح في أكثر من عدد من أعداد الفيصل، وللتذكير نورده مرة أخرى: ص.ب51049 ـ الرياض 11543.

الأخ بدوي زين العابدين بدوي ـ الخرطوم ـ السودان:

ستصل إليك الأعداد التي بها موضوعات عن الطيران، ونرحب بأي مقالة لك في هذا الموضوع على أن يكون مدعمًا بالمراجع والصور المعبرة، مع أمنياتنا لك بالتوفيق.

الأخ بلقاسم مصطفى ـ وهران ـ الجزائر:

الموضوع المشار إليه في رسالتك ورد في باب «الحركة الثقافية في شهر»، وكما تعلم أن هذا الباب يشتمل على أخبار لا نملك تفاصيلها كاملة، ولا سيما المؤتمرات والندوات وما يتعلق بها من توصيات وغيرها، ولذا نعتذر لك من عدم قدرتنا على إجابة طلبك، ولكن ننشر في زاوية «عناوين» عنوان رابطة الأدب الإسلامي، لعلها تستطيع أن تمدك بما تريده من معلومات.

الأخ م. محمد غباث الأشرف ـ الظهران:

تأخر نشر مقالاتك عن البيئة مرده وجود عدد كبير من الموضوعات في هذا المجال، ثمّ ترتيب تواريخ نشرها بشكل لا يخل بتوازن الموضوعات في المجلة، وحتى لا يبدو هناك تكرار فيها.

الأخ يحيى السيد النجار ـ دمياط ـ مصر:

تعليقك على الإطلالة المعنونة «هكذا يزداد الفقير فقرًا» فيه كثير من الأفكار التي تستحق التداول، ولا سيما دعوتك إلى ضرورة التفكير في التحديات المستقبلية، وتنمية الموارد البشرية، ونأمل تلقي مزيد من الموضوعات التي تناقش مثل هذه القضايا الحيّوية التي يتوقف عليها مصير الأمة.

الإخوة والأخوات لقريزي الجيلاني ـ مكتبة خليفة بن حسن ـ الوادي، بن علية كلثوم ـ حي بن عزيز ـ الجلفة، عوينه، مراد تلي ـ زريبة الدادي ـ بسكرة، مبروك فضلاوي، ولاية بشاي، حشيفة فتحي ـ ولاية الوادي، ملاوي عبدالله ـ بسكرة ـ الجزائر، أبو بكر عبدالكريم ـ غانا:

نفيد الإخوة الذين طلبوا اشتراكات مجانية أن المجلة تعتذر من ذلك كما هو موضح في زاوية «إيضاحات»، لأن الطلبات بهذا الشأن كثيرة، لدرجة تفوق إمكانات تلبيتها، أما الذين طلبوا أعدادًا من المجلة، فإن المجلة حريصة على إجابة طلبهم بقدر الإمكان، وكذلك، فإن مشكلات التوزيع في بعض البلاد العربية في طريقها إلى الحل قريبا إن شاء الله، والشكر للإخوة القراء لما يبدونه من مشاعر طيبة تجاه مجلتهم، وكل الأمل أن يدوم تواصلهم، ولاتنقطع اقتراحاتهم ووجهات نظرهم حول ما يطرح فيها، لأن آراء القراء هي الأساس في كل خطوة تطويرية تخطوها المجلة.

الأخ عبدالله السالم ولد غاستين ـ نواكشوط ـ موريتانيا:

نشكر لك إطراءك، وستصل إليك الأعداد التي فزت بها في المسابقة، والتي لم تصل إليك لتغير عنوانك، ومرحبًا بك صديقًا للمجلة.

الأخ محمد حسن شحاته ـ طنطا ـ جمهورية مصر العربية:

«منتدى الفيصل» لن يكون آخر الأبواب الجديدة في المجلة، وإنما هناك مجموعة كبيرة من الأفكار التي ستجد طريقها إلى التنفيذ، وكلها ترمي إلى الارتقاء بمستوى المجلة شكلاً ومضمونًا، ولن يتم ذلك بالنجاح المرتجى ما لم يتجاوب القراء، فاستشعار المجلة لهذا التجاوب هو ما يدفعها إلى التجديد الدائم والحرص على التطوير، فشكرًا لك ولكل الإخوة القراء الذين يهتمون بمتابعة المجلة وتقويمها.

بين القارئ والقارئ

آمل أن يتيسر لي الحصول على بعض التسجيلات القرآنية بصوت القارئ الشيخ عبدالله خياط.

عبدالعزيز مجذوب مصطفى الإمام
هيئة مياه المدن - كسلا - السودان
بوساطة هاشم عبدالعظيم

لديّ 54 عدداً من مجلة «فن التصوير»، وثلاثة أعداد من مجلة «التصوير الضوئي»، وأرغب في مبادلتها ببعض المطبوعات والكتب المفيدة.

أحمد حسن اللوحي
مخيم غزة - جرش
ص.ب 3 الرمز البريدي 26173
الأردن

آمل من الإخوة قراء الفيصل مساعدتي في الحصول على كتاب يسرد التاريخ المعاصر للعالم من الحرب العالمية الثانية إلى وقتنا الحالي، على أن يكون شاملاً وموضوعياً في طرحه.

ضيف الله السعيد بن بلقاسم
بشارة - المعاضيد
ولاية المسيلة 28111
الجمهورية الجزائرية

أنا شاب أهوى القراءة، ولكن هناك مجلات لا أستطيع الحصول عليها في بلادي؛ فآمل من الإخوة القراء مساعدتي في الحصول على أعداد من بعض المجلات التي تعينني على إشباع هواياتي؛ ولا يهم جدتها أو قدمها.

مسعود بن علي عبدالسلام
ص.ب 07 بريد بيضاء برج - 19640 سطيف - الجزائر

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ حسن اللوحي - جرش - الأردن:

عنوان مجلة أهلاً وسهلاً:
إدارة العلاقات العامة - الخطوط الجوية العربية السعودية
ص.ب 8013 - جدة 21482

عنوان مجلة الدعوة:
ص.ب 626 - الرياض 11421
هاتف: 4353743
- فاكس 4357249

عنوان مجلة الدفاع:
ص.ب 56688 - الرياض 11554
هاتف 4789000 تحويلة (4252 / 2507)
فاكس 4789000 تحويلة 2601

عنوان مجلة الصقور:
ص.ب 2973 - الرياض 11461

الأخ طارق عبدالقادر - دمشق - سورية:

مجلة «المعرفة» السعودية يصدرها قسم النشر بوزارة المعارف
هاتف 4785322
- فاكس 4768659

الأخوين أحمد ميمون الشاذلي - ،ومحمد علي خليل - الرياض:

مجلة «العرب» يرأس تحريرها الشيخ حمد الجاسر وعنوانها:
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
ص.ب 137- الرياض 11411
هاتف وفاكس: 4621223

عنوان مجلة النور الكويتية:
صفاة 13110- ص.ب 24989
بيت التمويل الكويتي - الكويت
هاتف 2460428
- فاكس 2409414

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

نحو فن هادف



في العدد (243) تحدث د. محمد يوسف مصطفى، عن «ظاهرة الجريمة في أفلام الفيديو» وترسيخها العنف في نفوس المشاهدين، وقد أصابنا الوجوم مما أحصاه من نسب إنتاجية فنيّة تقارب نحو الستين بالمئة في مجموعها العام، وكلّها يدعو إلى نمط سلوكي لا يُقرُّه الإسلام، وغالب هذه الأفلام تورّد إلينا وتدخل بيوتنا موصلة ما تريده وبلغتنا، إنه الغزو الحقيقي، وقد اكتفى الكاتب بتصفية الأفلام وإدانتها وأظْهَرَها غريبة عن جسم الأمة ومنظومتها الأخلاقية، ولكنه لم يشر إلى أن هذا النوع الضارَّ من الفنّ يقابله نوع إيجابي بنَّاء، ثم لا يُكتفى بالهدم، وإنما يقدِّم البديل الذي يملأ الفراغ ويسدّ النقص.

فمن المعلوم من فلسفة التشريع الإسلامي أنه ما حُرِّم شيء إلا وفتحت في مقابله أبواب كثيرة من الخير. تروي مصادر السيرة النبوية: «جاء وفد من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا خرج إليهم قالوا: يامحمد جئناك نفاخرك، فأْذَن لخطيبنا وشاعرنا. فقال: قد أذنت لخطيبكم فليقل، فقام عُطَارِد بن حاجب، فخطب خطبته ثم جلس، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس، وكان يُعرَف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم فأجب الرجل في خطبته، فقام ثابت فقال أحسن مما قال عطارد؛ ثم قام الزّبرقان بن بدر شاعرهم فقال قصيدته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان: قم ياحسان فأجب الرجل، فقام حسان وقال قصيدته، ولما فرغ منها، قال الأقرَعُ بن حابس، أحد زعماء الوفد: وأبي إن هذا المؤتى له، أي مؤيّد، موفق مستهل له ـ لَخَطيبُه أخطب من خطيبنا، ولَشَاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا، وأسلموا»(1).

في هذه الحادثة نرى النبي صلى الله عليه وسلم، قد قابل الخطبة الفاسدة، والشعر الرديء، والأداء القبيح، بصالح كل ذلك وموجهه والفن سلاح ذو حدين، وأدواته: التلفاز، والخيالة (السينما)، والمسرح في حد ذاتها أدوات محايدة، تصلح للخير وللشر، وهي حرام إذا فسد مضمونها أو انحرف، حلال إذا أدت دورها في نشر الفضائل وتربية الأجيال، وكما يقول د. يوسف القرضاوي «الفن وسيلة إلى مقصد، فحكمه حكم مقصده، فإن استخدم في حلال فهو حلال، وإن استخدم في حرام فهو حرام»(2).

لذلك يتوجب الاتجاه إلى الفن ليقدَّم في صورته الصحيحة المشرقة مصوِّبًا، ومرشدًا، وبذا نعرض دليلاً حسنًا عن سيّئ، يسبق الملغَى ويبذه بذًّا، إذ يقول الفنان الفرنسي «لوكوربوزييه»: «علينا استبدال ما أدعوه المباهج الأساسية بالعاديّ والفاسد والتافه»(3).

وغالب ما يقدم من فن يظهر أنه محظوظ القدر، هزيل، مؤخر المنزلة، لن يصمد أمام فن هو أجمل في الأحدوثة، وأزين في السمعة وأحسن في الذكر، وأطيب في النشر. «وما يستوي الأعمى والبصير ولاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّور، ولا الظلُّ ولاَ الحرور». فاطر:19-21. ذاك هو الفن الإسلامي، وسيكون الحديث عنه وعن بعض الحقائق التي تزيد الموضوع وضوحًا. ولابد في البداية من تعريف الفن.

تعريف الفن:

يعرفه د. نجيب الكيلاني بقوله: «تعبير رائع ممتع عن النفس والحياة، يتميز بالأصالة والصدق، تعبير عن التجارب الإنسانية في شكل «فني» متعارف عليه في أغلب الأحيان، سواء أكان هذا الشكل قصة، أو قصيدة، أو مسرحية(4).

أما «سوديو» فيقول: الفن «هو نشاط إبداعي من شأنه أن يصنع أو ينتج موضوعات»(5). ويرى «ألان»، أن «الفن عمل وصناعة»(6)، ويذهب «ديوي» إلى أن الفن «حياة وخبرة»(6).

الفن الإسلامي

فليس بالضرورة أن يكون الفنّ هو الذي يتحدث عن الإسلام، بل هو كما يقول الأستاذ «محمد قطب»: «الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصوّر الإسلامي لهذا الوجود، هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان. هو الفن الذي يهيّئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يتلقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود»(7).

والفن معادلة مركبة من عقائد وأفكار أمة ما، ولذلك فهو صورة حيّة عن مصدريه، وهو عندنا «موسوعة تضم أبوابًا عدة من الإدارة

والفكر والقول وفصول العمل والصنع والسلوك، كل هذه الأبواب ينبغي أن تتوجه إلى غاية هي الحق أو الخير أو الجمال»(8)، فأفكارنا غايتها الحق، وسلوكنا هدفه الخير، وعواطفنا وجهتها الجمال، ومن هنا كان الفن الإسلامي بارز المعالم وواضحها.

معالم الفن الإسلامي

تعبير فني: يهتم بالقيم الجمالية ويعرضها بأسلوب فنّي جميل مؤثر يجمع بين الإبداع والعبقرية، والدقة والمهارة، بعيد عن الجمود في الإخراج والنص.

يقوم على أسس التوحيد: معليًا من شأن كرامة الإنسان، فلا استعباد ولا غش ولا نفاق، وإنما تأصيل لمفاهيم الحرية والكرامة والعزة.

هادف صادق: فهو ليس تعبيرًا مزيفًا عن النفس والحياة، مغايرًا لواقع الإنسان، فالصدق قيمة غالية يعتز بها، وهو مشعل يضيء السبيل للناس ليبلغ بهم غايات الإسعاد والاستقرار.

شامل وعام في معناه: فهو تصور كوني إنساني مفتوح للبشرية كلها، يتغنى بالفضائل الإنسانية، ويدعو إليها، لأن مادته هي الحياة والنفس الإنسانية.

بهذا الفن الرفيع البنّاء المتفائل، يمكن إحداث هزات عنيفة، وتغيّرات جذرية في مظاهر الحياة، وفي أعماق النفس. وأما غاية الفن ومقصده فيحدثنا عنها هيغل بقوله: «للفن هدفان، هدف أساسي: يتمثل في تلطيف الهمجية بوجه عام، وفوق هذا الهدف يقع هدف تهذيب الأخلاق.

وهدف نهائي: كشف الحقيقة وتمثيل ما يجيش في النفس تمثيلاً عينيًا مشخصًا»(9).

ويبين د. نجيب الكيلاني غاية الفن بأنها «الإمتاع والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل»(10)، ومما يقوله أيضًا «الفن باعث للنور في دياجي الحياة، مرسل للبهجة في آفاقها، حامل لمشعل الأمل والهداية في جنباتها، جاعل من مادتها الثرية الفريدة متعة للنفس، وسعادة للروح، وتسلية لها في حياتها الصاخبة.

لهذا فالفن نور وهداية وغيث وغوث ورفيق وأنيس، ولهذا كانت غايته خيرًا محضًا، وهنا يلتقي الفن بالدين ويضع يده في يده(11)، و«الفن الديني مسؤولية حضارية وإنسانية وشخصية، كما هو مسؤولية فقهية وجماعية في الوقت عينه، إنه ضرورة ومسؤولية في آن واحد، ضرورة لتقدم الحياة، ولزرع معاصر لحقائق الدين»(12).

لقد آن لنا أن نسخر الفن ونستخدمه على أنه من وسائل الدعوة المعاصرة، ولسان معبّر عن قضايانا وهمومنا، فبالفكاهة الهادفة والبسمة الطهور نعطي فكرة، وبمسلسل اجتماعي نضع هدفًا في العقول، وفي استجلاء الماضي نرسخ أصالتنا.

لقد استطاعت الحركة الصهيونية تدعيم علاقتها بالفن والسينما، وأصدرت أفلامًا تدين فيها العرب وتصفهم بالوحشية كأفلام: «الأحد الأسود»، «راوزباد»، «عملية عينتبي»(13) وغيرها.

إن الأمم لا تهزم إلا من انحراف فنونها وآدابها وخروجها عن الضوابط والقيم مما يستحث العزائم لرفع شأن فنوننا وآدابنا، والرصيد الداعم لهذا كله موجود: هو الإسلام بعد أن سقطت الشيوعية ولفظها أهلها، وبدأت تتآكل الحضارة الغربية، كما يقول «فيلا سبازا»: إن جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديرة بكفكفة دمعة واحدة، ولا خلق ابتسامة واحدة، وليس أجدر من أمم الشرق المحتفظة بالثقافة العربية الإسلامية والقائمة على إذاعتها بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشؤوم»(14).

إننا، حيال أمر مؤثر في عقول الناس ومشاعرهم كالفن(15)، لا يسَعنا إلا أحد موقفين:

إمّا التلاشي والذوبان وفقدان الهوية وتمزق الذات، وطبيعة ديننا تأبى هذا وتنكره، وإما أن نقف على أرضية مكينة ونفحص وتمحص ونبدع، وننطلق برؤى عقدية متميزةلتحقق الشهود الحضاري المأمول في الفن، وفي سائر ساحات الإبداع، ورحم الله الشاعر المسلم محمد إقبال، إذ يقول:

الدينُ والفن والتدبير والخطب
والشعر والنثر والتحرير والكتبُ
إن تحفَظِ (الذاتُ) هذي فالحياةُ بها
أو لم تطق ذاكَ فهي السِّحرُ والكَذِبُ
كم أمةٍ تحت تلك الشمس قد خزيت
إذ جانَبَ (الذاتَ) فيها الدينُ والأدبُ(16)

الهوامش:

1- ابن هشام، السيرة النبوية: (4/154-160)، محمد أبو شهبة، السيرة النبوية: (2/542 وما بعدها).
2- د. يوسف القرضاوي، الإسلام والفن (ص8).
3- د. عماد الدين خليل، الفن والعقيدة: (ص9).
4- د. نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية (ص:13).
5- صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي التزام وابتداع: (ص24).
6- المصدر السابق ص 25.
7- محمد قطب، الفن الإسلامي: (ص6).
8- نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية (ص 48).
9- هيغل، المدخل إلى علم الجمال: (ص48-49، وص 98 وما بعدها).
10- د. نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية (ص 14).
11- د. نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر: (ص 78).
12- مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 68، ص 169.
13- جان الكسان، الصهيونية والسينما، ص 14.
14- عبدالكريم حيدر، المسلمون والبديل الحضاري، ص 9.
15- تأثير الفن في أفكار ومشاعر الشعوب، المسلسل الأجنبي المدبلج إلى العربية «كساندرا»، والذي عرض عبر كثير من القنوات الفضائية العربية، وقد سيطر بفاعلية سلبية على تصرفات كثير من الفتيات اللائي أخذن يضارعنها في السلوك، وحتى في الملبس، ولا غرابة في ذلك. فإنسان العصر يعيش بين عالمين قريب ومدرك بالحواس، وبعيد يستقي معلوماته عنه بواسطة وسائل النقل والاتصال والتفاعل الاجتماعي، ويسمى هذا العالم بـ العالم المنقول Repotred World وهو يتألف من الصور الذهنية (Image) والنمطية (Stereotypes) التي تضعها أو تنقلها وسائل الإعلام والاتصال بالدرجة الأولى.
16- د. نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر: (ص79).

علاءالدين محمد علي آل رشي
يوسف محمد طيبي
دمشق - سورية

التعليم مهنة الأنبياء لا الشعراء



طالعت بشغف ما كتب عن «تجربة عبدالرحمن شكري مع التعليم» بعدد ربيع الآخر 1417هـ، حيث أثار شجوني ووضع يده فوق الجرح النازف. لقد تساءل الكاتب عن معقوليه أن تكون مهنة التعليم أو أية مهنة شريفة أخرى وراء هذا الذي حدث للشاعر عبدالرحمن شكري؟ وقد ذهب إلى تفسير ما حدث بالرجوع إلى عهد الصبا الأول للشاعر، ولنا وقفة مع هذا، حيث إن رأينا أن الشاعر أبعد الناس عن مهنة التعليم، لأن الشاعر بطبعه عجول متقلب، يسعى بأحاسيسه إلى التغيير واستقدام الوقت واستعجال الأحداث، واضطراب العاطفة أحيانًا.

فبدايةً من منا لم يعرف لامية شوقي الشهيرة، ومن منا لم يعظمها ويعرف قدرها، فهي تشيد بالعلم والمعلم؛ حيث يقول:

قف للمعلم وفّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

ولله درُّ الشعراء والمدرسين منهم خاصة، فالتعليم مهنة الأنبياء، والمعلم حكيم، وحكمته التربوية تتجول في حقول الحياة، يقرأ مئات الكتب في مئات الحقول بلهفة وتواضع وانتباه يحاور أفكارها لتمنحه مادة منها يكون عصير الحكمة التربوية، كما تكوّن النحلة عسلها غذاءً وشفاءً، لكن يمكن أن يكون لمهنة ما مثل التعليم من السلبيات ما يتطلب من القائم بها، خاصة في العصر الحديث، الدعة والسكينة وطوال المكث، وأستطيع أن أدعي أن الشعراء أبعد الناس عن هذه المهنة؛ لذا نقيل من الشعراء المدرسين بشهم لشكواهم، ونحاول أن نتفهّمها، فهذا الشاعر إبراهيم طوقان مثلا صاحب اللامية المشهورة «شوقي يقول وما درى بمصيبتي» التي يناقض بها لامية أمير الشعراء السابقة الذكر، كان يعمل مدرسًا للغة العربية، وقد ضاق ذرعًا بمهنته، ثم ساءت صحته كما حدث لشاعرنا عبدالرحمن شكري، فترك التعليم، لذا نراه يقف هذا الموقف القاسي من المهنة ومن قصيدة أمير الشعراء ليقول: «المعلمون عظماء وأنصاف عظماء، فنصف العظيم موهوب في فن التعبير عن ذاته، أما العظيم فموهوب في فن إثارة الآخرين ليحقق ذاته»، ولا شك في أن الشاعر الذي يملك موهبة القول والتعبير عن النفس يستطيع أن يعبّر عن ذاته. ولكن لا يسعى لتحقيق ذاته أمام طلابه، من هنا لا ينطبق هذا القول على المعلم الشاعر، لذا نرى إبراهيم طوقان يقول:

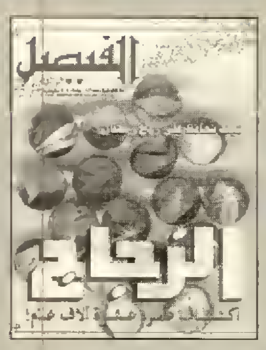
حسبُ المعلم غمة وكآبة
مرأى «الدفاتر» بكرةً وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
لا تعجبوا إن صحتُ يومًا صيحةً
ووقعتُ ما بين «البنوك» قتيلا
يامن يريد الانتحار وجدته
إن المعلم لا يعيش طويلا

وهذا الشاعر تمام مخلوف في قصيدة حرفة معلم يقول:

قم للمعلم واترك التبجيلا
كاد المعلم أن يضل سبيلا
ضاقت عليه حياته وتكدرت
بالله كيف ينير بعدُ عقولا
لاشك أن الجوع موردة الردى
حتى يقضي ربّه تبديلا
إن المعلم إن أهنت حياته
أهداك عقلاً مظلمًا مشكولا
ولله درُّ المعلمين الشعراء

صلاح عبد الستار محمد الشهاوي
دمشيت ـ طنطا ـ مصر

يا رجالنا الأفاضل: رفقًا بالمطلقات



أطلّ علينا الأستاذ الجليل محمد معصوم رسول في العدد 243 من مجلة «الفيصل» الغرّاء ببحثه القيّم «الطلاق بين اللغة والفقه». ولكن ماذا بعد أن يقع الطلاق؟ هذا ما كنت أود أن يتطرق إليه كاتبنا الفاضل استكمالاً لبحثه القيِّم. وهو ما أود في هذه العجالة أن أركز على ما اقترفته نفوسنا من بلاء وأخطاء نحو شقائقنا الفضليات.

هل يسَّرنا الأمورَ نحن الرجالَ على المطلقات بالقدر الذي أمرتنا به شريعتنا الإسلامية الغرّاء؟ أم إننا أهدرنا حقوقهن وسعينا لإيلامهن بشتى الطرق؟ حتى أصبح معدل الطلاق في مجتمعنا في صعود مستمر.

مناقشات وتعليقات

هل مـا يحـدث منا تجـاه المطلقـات لقـصـور في عقولنا، نحن الرجال، عن الـفهم؟ أم لاندفاعات قلوبنا بلا رويّة وبكل القسوة والتحجر لارتكاب ذلك الخطأ الكبـير: الـطلاق؟ ليس من أجل أن ننعم، بـل لنغلف حياتنا بالشقـاء والآلام حتى يوم الممات، بل إن رجالاً كثيرين تأخذهم «حميَّة الجاهلية» فيجبرون مطلقاتهن على افتـداء أنفسـهن بمهرهن مثلاً، كلّه أو بعـضه، أو عدم رعاية المطلقـة لفترة زمنية بعد طلاقها غـير ممتثلين لأوامر الله بنظرتهم الضيقة، اعتداداً بأنفسهم، وحفظاً لكرامـتهم، وكـأنَّ المسألة: حَـرْبٌ وحِرَابٌ ، مع أنها خراب، خراب، خراب، ويكفي أن الطّلاق عندما يقع تهتز لـه السموات السبع.

لقد أهاب قرآننا الكريم بالمؤمنين كـافة الابتعاد عن خلق الأزمـات، ونهى عن سوءمعـاملة المطلقـات أو التضييق عليهن.

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا.

الطلاق:1.

ولنستـخلص معًـا النهج القويم الذي تأمر به الآية الكريمة:

ألاّ يتم الطلاق إلا في طُهر حتى تستقبل المرأة عدتهـا بالحيـضة المقبـلة وذلك للحائض المدخـول بها حتى لا تضيع عليها فترة لا تحسب في عدتها.

عـدم إخراج الزوجـات المطلقـات من مسـاكنهن الزوجيـة إلا إذا ارتكبن فحـشًا جـسيمـًا أو أغلظن في القول.

على الزوجين عـدم الغـفلة عن ضـرورة وجـود شاهـدي عدل في كلٍّ من حـالتي: الفرقـة النهائيـة أو المراجعـة تحقيـقًا لنص الآيتين الثـانية والثالثـة من سورة الطلاق.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.

يبالغ الرجال كـثيراً في محاولاتهم إحـداث أكبر الأضرار بمطلقاتهن بـأي وسيلـة، وفي أيّ صورة من الصور:

ـ التضـييق عليـهن في السكن وما يحـدثه ذلك من أضرار شتى.

ـ التقصيـر في الإنفاق على «أولات الأحمال»، منَ المُطَلَّقَات حَتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، وغالبًا ما ينقلبُ الوضعُ إلى عَدَم الإنفَاق نهائيًا عنادًا وتربصًا، رغمَ أن عدَّتهُنَّ تنتـهي بالوضعِ. وبعد الولادة وانتهـاء العدة، إنْ أرضعن فلـهن أجورهنَّ بعد تـشاور الزوجين، وإن لم يتّـفقـا وبالغ أيٌّ منهـمـا في أجـره: المرأة بالزيادة والرجلُ بالإقـلال من الأجـر، فـلا حـرج أن ترضع الطفل امرأة أخرى باتفـاق الوالد معها حـسمًا للنزاع والمهاترات.

ـ وأكثـر من يتجبـر عليهـم الرجال: هن النسـاء اللائي لا ينجبن أو بلغن سنّ اليـأس، فيتلذذون بقـهر المرأة والاستـشـاد عليـها، وإحـداث الانكسـار في نفسيتهـا متـجاهلين ومتناسين عـن عمد في أحيان كثيرة نصـوص التشريع القرآني، وأحاديث سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، التي توصينا بحُسن معاملتهن ورعايتهن.

وللإنصـاف أيضًـا: لابد أن نقـر، أن النسـاء كلهن لَسْنَ بملائكـة، وأن الرجال جـميـعًا لـيسـوا بجبـابرة، ففي كلا الطرفين أصحاب قلوب رحيـمة، وفكر سـام، وعـقل واع، يقـدرون على مـواجـهـة مصـاعب الحيـاة ومـشكلاتهـا بهـدوء ورويّة ونظرة إيمانية عـميقة كثيراً مـا يتفقـون فيـها كل منهـما مع الآخـر.

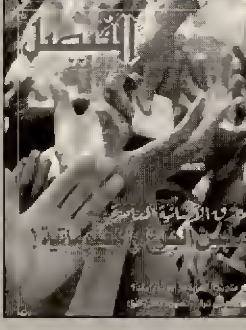
إنّها قضية تحتاج إلى تكاتف جميع أجهزة الإعلام المرئي والمسمـوع وفقهـائنا الأفاضل وعلمـائنا الأجلاء لتبيان مخاطرها، وإيضاح التعاليم السماوية بشأن كل خطوة من خطواتها، حتى لا يتحمل الرجال وِزْرَ سوء تصرفـاتهم حيال مطلقاتهم.

وتحية إلى الكاتب الجليل الأستاذ محمد معصوم رسول وشكراً «للـفيصل» وأسـرة تحريرها التي فـتحت منبـرها لتلك القـضـية الإنـسانيـة الكبـرى التي تحتل الأولوية في القضـايا الاجتـماعيـة على مستـوى عالمنا العربيّ والإسلاميّ.

عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة
محافظة الدقهلية ـ جمهورية مصر العربية



نابليون والمطبعة العربية



ما تزال فـتـنة المسلمين بالغـرب كـبيـرة، فـهم مبهورون بما حقق؛ مما أعماهم عن التفريق بين الغث والسـمين. ومـازال الغرب يبـعث المسـتشـرقين والمبشرين لغايات باتت معروفـة لكل ذي عقل ومع ذلك مازلنا ـ نحن المسلمين ـ بهم مبـهورين وبفضلهم مشيدين وبموضوعيتهم مستشهدين(!).

هناك خطأ تاريخي يقع فيه كثير من الكتّاب إن لم نقل معظمهم فـهم ينسبون المطبعـة الأولى في البـلاد العربية إلى الغازي نابليون بونابرت، ولعل من روّج هذه الفكرة هم أنفسهم من هلل لقدوم نابليون(!).

أشكر السـيـد يوسف فـجر رسـلان على مـقـالـه المنشور في «الفيصل» العدد 242 والذي أثار لنا كثيراً

من الحقائق حول حقيقة الاستشراق لعلها تفلح في إقناع أولئك المدافعين عنه - أي الاستشراق - بحسن نية بأنهم على خطأ، وتخرس أنصاره المتشبثين به عن سوء طوية.

إلا أني آخذ على الكاتب وقوعه في الخطأ الذي أشرت إليه سابقًا، واسمحوا لي أن أقدم عرضًا تاريخيًا مختصرًا لتطور الطباعة في المشرق العربي والمستقى من مقالة موثقة للدكتور سهيل الملاذي نشرت في مجلة «المعرفة» السورية في العدد رقم 387.

كانت بداية الطباعة على يد غوتنبرغ الذي اخترع الحروف النحاسية المتفرقة عام 1436م، ووضع اختراعه في خدمة الطباعة عام 1450م، وبعد ذلك بفترة قصيرة جلب إسحق غرسون (اليهودي) مطبعة إلى الآستانة ذات حروف عبرية. وفي عام 1610م جُلِبَت إلى دير قزحيا بلبنان مطبعة بحروف سريانية يقال إن الرهبان الموارنة حملوها معهم من روما. وبعد توقف مطبعة دير قزحيا بقي الشرق دون طباعة حوالي مئة عام إلى أن أنشئت في حلب أول مطبعة عربية في الشرق عام 1702م، هي مطبعة البطريرك الدباس. وبعد هذا التاريخ أنشئت العديد من المطابع في كل من الآستانة ولبنان وفلسطين والأردن.

أما في حلب التي كانت أول مدينة في الشرق تعرف الطباعة بالحروف العربية، فقد تعثرت الطباعة فيها بعد فترة من الزمن لأسباب عديدة، فيما ازدهرت الطباعة في غير حلب من المدن المشرقية؛ وهكذا قدر لحلب التي كانت أول مدينة مشرقية تعرف الطباعة العربية أن تصبح في ظل الحكم العثماني متخلفة عن حركة الطباعة العربية التي ازدهرت آنئذ في لبنان ومصر خصوصًا، إلى أن قدر لها من جديد أن تأخذ دورها الطبيعي في مجال الطباعة بعد زوال الحكم العثماني.

وللحق نقول: إن المطبعة الحلبية، كغيرها من المطابع، وصلت عن طريق رجال الدين المسيحيين، وقد كان ذلك لعدد من الأسباب، منها أن العثمانيين كانوا ينظرون إلى الطباعة بارتياب لأنها تشكل بارقة وعي تشرق في أذهان الشعوب، كما أنهم يريدون للشعوب أن تبقى أسيرة التزمت الديني، هذا التزمت الذي أشاع بين المسلمين، وبمباركة من الآستانة فيما نظن روحًا عدائية للمطابع تمثلت في اعتبار الطباعة رجسًا من عمل الشيطان، حتى إن شيخ الإسلام - آنئذ - أصدر فتوى بعدم جواز طبع الكتب الدينية وعلى رأس القائمة القرآن الكريم، وذلك إثر إنشاء المطبعة الحلبية. كذلك صدر فرمان من الآستانة يرخص لإحدى المطابع طباعة الكتب العربية (عام 1712م) عدا كتب التفسير والفقه والحديث والكلام.

أما في مصر والتي لم تعرف الطباعة إلا على يد الغازي نابليون بونابرت، فقد دخلتها المطبعة عام 1798م، وما كانت مهمتها تنوير الشعب المصري كما يتبجح البعض، وإنما طبع بيانات حكومة بونابرت ومنشوراته إلى الشعب المصري، وقد أوكلت إدارتها إلى المستشرق الفرنسي يوحنا يوسف مرسال، وعندما خرج بونابرت من مصر أخذ معه المطبعة وظلت مصر دون طباعة إلى أن استجلب محمد علي مطبعة عام 1821م وهي التي تعرف الآن باسم مطبعة بولاق.

بقي أن ننقل قولين لمؤرخين كبيرين، الأول جرجي زيدان الذي يقول: «السوريون أسبق المشارقة إلى الطبع بالأحرف العربية وأسبق المدن إلى هذا الفضل حلب». أما إسكندر المعلوف فيقول: «للحلبيين اليد الطولى في صناعة الطباعة، كان منهم رهبان في رومانيا اشتغلوا بمطبعتها، وكذلك في حلب بعد انتقالها إليها، وفي لبنان وغيره، فالثابت منذ القديم أن لهم يدًا بيضاء في فن الطباعة وإنشاء المطابع، ولهم خدمات في مضمار العلم والأدب».

ونقول لكل من يظن أن نابليون جلب الخير أو بعبارة أخرى أن الخير قادم من الغرب، ومع الفرنسي نقول لهؤلاء كما قال الشاعر القروي:

لأمرٍ يلاقيك الفرنجي باسمًا
فزد حذرًا ما زادَ ذئب توددًا

نسأل الله أن يلهمنا الصواب، ويرزقنا القدرة على العمل به.

والله من وراء القصد.

أحمد ميمون الشاذلي
حلب - سورية

قضية محورية وتفريعات



أشكر الأخ المغربي (الغلبزوري) من وجدة، الذي قرأ مقالتي في مجلة الفيصل، حول إنزال النورماندي، وتعليقه على البحث.

الأخ غلبزوري يريد أن يقول: إن الصهيونية تحالفت مع النازية في أعجب من تحالف الماء مع النار، وفي أغرب من اجتماع الماعز مع النمر. وهو يريد أن يقول: إن مجرمي الحرب في نورمبرغ كانوا ضحايا ساذجين لمعاهدة فرساي، وإن المجرمين الفعليين هم تشرشل وستالين؛ وكأني وزعت شهادة البراءة وحسن السلوك للمذكورين. وهو يمضي مؤكدًا خرافة معسكرات الاعتقال والإعدامات الجماعية، من كل الأجناس والأعمار والأديان والثقافات، يأتي في طليعتهم اليهود، الذين كانوا مستهدفين دومًا، من العنصرية والشوفينية والتعصب الأوربي (تحت ما عرف بالبوجروم) لطوابير لا تنتهي بالغاز والنار، والسخرة، والمرض، والجوع، والبرد، معتمدًا في كل ذلك على الكتابات الجديدة للكاتب روجيه غارودي التي أدخلته في إشكالات قانونية في فرنسا. ونوع من التحالف الخفي مع بقايا النازية.

جوابي أن الأخ ومعه المفكر جارودي يستطيعان أن يزعما ما يشاءان، ويتبنيا ما يحبان من آراء، فالمشكلة ليست في قتل الإنسان بالسيانيد أو الكبريت أو الزئبق، كما أن إشكالية قتل الإنسان

ليست أن نظامًا بعينه قتل خمسة آلاف بالغازات السامة، فيما يشبه رش الـ د.د.ت. للذباب، أو حكمًا على ذبح آلاف المعتقلين السياسيين العزل، فعندما نقتل (الآخر) ونصفيه جسديًا، في رحلة اللانهاية للغة تخاطب العنف والعنف المضاد، تحت ضغط أمراض الثقافة من (العنصرية) وماشابه، تبقى (الوسيلة) في تسفير الآخر المبكر للقبر مسألة ثانوية للغاية، وعندما تفتح القبور الجماعية فوهاتها لا تبالي بالعدد، مادام الإجرام قد دخل هذه العتبة.

القضية المحورية هي قتل الإنسان اليهودي أو غيره، تحت (مسوغ) أنه ولد من رحم امرأة تنتسب لعرق بذاته، في أمر لاخيار له فيه، في إكراه (بيولوجي) يحاصر ويفرز البرمجة الثقافية لاحقًا، في رحلة العنصرية الذي ينعكس على طرفي الصراع في النهاية، فأما الأول فيُقتل ويعانق التراب، وأما الثاني فيموت نفسيًا قبل الموت، تحت وطأة مشاعر الجريمة واختلاطاتها، مثل أي مرض خبيث.

مع هذا فأنْ تلفت المقالة نظر أخ في أقصى الحافة الغربية للعالم العربي لمما يشكر عليه الطرفان، مجلة الفيصل بمساهمتها في إغناء الحوار، وإثارة النشاط العقلي، وإعادة النظر في البنى الفكرية. والأخ المغربي الذي رأى وجهًا آخر للمشكلة، وهو مفهوم ومسوغ، وإن كنت تمنيت إدراكه للصورة (للبانوراما) العامة، أكثر من الوقوع في مطب التفريعات الجانبية للمشكلة، أو الاهتمام بالسياق العام وهدف المقالة، أكثر من كلمات جاءت في نظم عام متدفق. وهي وجهات نظر على كل حال، جديرة بالاحترام

د. خالص جلبي
بريدة ـ المملكة العربية السعودية



هل العبرية لغة حضارة؟!



شدّني كثيرًا فكرة قرأتها في «الفيصل» في عددها 244 بقلم عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود، وكانت بعنوان: لماذا لا ندرج اللغة العبرية في مناهجنا الدراسية؟

والأخ الكاتب يقول إنه تردَّد كثيرًا قبل الكتابة إلى مجلة الفيصل ونقل فكرته إليهم وهي فكرة كانت تراوده منذ زمن بعيد!! وفحوى فكرته كما نص عليها: «المطالبة بتدريس اللغة العبرية في مراحلنا التعليمية كافة وعدم قصرها على الكليات المتخصصة»، ولعل من دوافع الأخ الكريم للحماسة لهذا الموضوع، أنه سمع أن وزارة التربية الإسرائيلية أعلنت بأن تعليم اللغة العربية سيصبح إلزاميًا في المدارس الرسميّة في إسرائيل بناء على طلب الجيش (الإسرائيلي). ويضيف: «من هنا فإن الواجب يفرض علينا أن نتعلم لغة هؤلاء القوم، حتى تأمن أجيالنا القادمة شرورهم وتنشأ على معرفة حقة بفكرهم وأساليبهم وتتقي مكرهم وخداعهم..» ا. هـ.

ولقد تملكني العجب من اقتراح الأخ الكريم الذي يعمل مهندسًا زراعيًا، عجبت لما رأيت من قوة تعبيره وقناعته بفكرته.

ولقد وجدت من الضروري أن أوضح للأخ الكاتب ولغيره أن وجهات النظر يجب أن لا تخرج عن نطاق معين هو مجال العمل والتخصص للمتعلمين، والحرفة والصنعة لغيرهم، وإن تعدت ذلك فلا تعلن إلا بعد الاستئناس بآراء أهل التجربة والخبرة، هذه واحدة؛ أما الفكرة التي هي محور هذا الحديث، فإنني أسأل الكاتب وغيره من أهل البصر باللغات العالمية: أين تقف العبرية بين لغات العالم؛ ثم ما التاريخ الحضاري لها، وما مدى حاجتنا العلمية والاقتصادية والاجتماعية لها؟ أظن أن الجواب يسير جدًا، إنَّ القيادة العلمية والحضارية والاقتصادية في العالم اليوم لِلُغات حيَّة ناشطة أبرزها: الإنجليزية والفرنسيَّة واليابانية والألمانية، ولا مكان للعبرية بين تلك اللُّغات، أما الحاجة لها والتي ذكرها صاحب الاقتراح فيكفي فيها نفر قليل، ذلك النفر إذا أجاد العبرية سيعرف ما عند القوم ويكشف مكائدهم، ويبين خطرهم، وعندها تعرف الأمة شبابًا وشيبًا الطريق الصحيح للتعامل معهم، و(تتّقي مكرهم وخداعهم).

أما القياس فغير صحيح؛ فتعلمهم للغتنا فخر لنا، ولا حرج علينا منه، وهم حينها يتعلمون لغة حيّة واسعة هي لغة تاريخ ودين سماوي ختمت به الرسالات، ومع ذلك هي لغة أكثر من مئتي مليون من البشر يتوزعون بين أكثر من أربعين دولة. أما «العبرية»، فلا ينطق بها إلا ما يقارب ثلاثة ملايين تجمّعوا في فلسطين من أنحاء العالم بينما لغاتهم الأصلية، ولغة ما عندهم من طقوس دينية هي الإنجليزية أو غيرها!

ثم إنّه أمر غريب جدًا أن يصل إعجابنا، وتصل قناعتنا إلى الاعتقاد بضرورة تعلم العبرية، والمبالغة في ذلك إلى حد «طلب» فرضها في مراحلنا التعليمية كافة...!

كان المنتظر أن نعنى بلغتنا بشكل أفضل وأن تدخل في جميع العلوم والبحوث بلا استثناء، وأن نقدمها للعالم بوجهها المشرق وتاريخها المجيد.

أحسب أن صاحب الاقتراح انطلق من حرصه على مستقبل بلاد العرب والمسلمين، وحماية أبنائها من كل شر، وهذا هدف ألتقي معه فيه تمامًا، ولذا لم أتردد في كتابة هذه الأسطر تعقيبًا على اقتراحه عسى أن يكون الصواب حليفي فيما قلت. وللمجلة والقائمين عليها جزيل شكري وتقديري على عنايتهم بمثل هذه الاقتراحات والأفكار، ومشاركات القُرّاء والمتابعين على عنايتهم بمثل هذه الاقتراحات والأفكار، ومشاركات القُرّاء والمتابعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

عبدالعزيز بن صالح العسكر
الدلم 11992
ص. ب: 19



القارئ الممتاز

هناك قارئ جيد، وقارئ متابع، وقارئ واع، وقارئ مستنير، وما شابه ذلك من الأوصاف. ولكن هل هناك قارئ ممتاز؟

كيف يكون القارئ ممتازا؟ وكيف يتحقق الامتياز؟

أنطوني مينجيلا مخرج فيلم «المريض الإنجليزي» الذي حقق رقمًا قياسيًا من جوائز الأوسكار لفيلم بريطاني وهو 12 جائزة، قرأ رواية مايكل أونداني التي تحمل الاسم نفسه، وتحكي قصة وقعت أثناء الحرب العالمية الثانية تجمع بين العاطفة والمغامرة والمأساة، وأعجبته كثيرًا هذه الرواية إلى درجة تحويلها إلى (سيناريو) فيلم سينمائي.

عن هذه التجربة قال مينجيلا:

«جاء الفيلم ثمرة حبّي للكتاب. حاولت أن أكون قارئًا ممتازًا بقدر ما أستطيع».

ماذا فعل مينجيلا كي يكون قارئًا ممتازًا: توجه إلى الريف الإنجليزي، واختفى عن الأنظار داخل كوخ ملأه بكتب التاريخ العسكري ويوميات الجنود أثناء الحرب في شمال أفريقيا وإيطاليا، وأخذ يقرأ ويقرأ حتى انتهى من كتابة سيناريو الفيلم!

هناك من يقرأ ليستمتع فقط، وهناك من يقرأ لينتج. وقراءة مينجيلا هي من النوع الثاني.



عبدالكريم يعقوب

والقراءة المنتجة ليست بالضرورة قراءة وظيفية؛ فالإداري يقرأ التقارير والملفات - مرغمًا - لأن ذلك جزء من عمله، والصحافي يقرأ التقارير الإخبارية والمطبوعات ذات العلاقة بعمله، والباحث يقرأ المقالات والدراسات والكتب ذات العلاقة ببحوثه، وكل هؤلاء ينتجون، ولكنها قراءة وظيفية أكثر من أي شيء آخر. وهذا لا يعني ألا يكون من بين هؤلاء قراء ممتازون!

ما أريد قوله: إن القراءة يمكن أن تكون منتجة دون أن تكون وظيفية بالضرورة. وهذه في رأيي هي القراءة الممتازة. تقرأ بتدبر واستيعاب، وتتذوق ما تقرأ وتستمتع به، دون أن تكون هناك «سلطة» تهيمن على قراءتك، بل هناك رغبة واهتمام وحافز ذاتي. وفي المحصلة النهائية تجد أن القراءة، أو القراءات، أنتجت أفكارًا جديدة على شكل كتاب أو بحث أو مقال أو سيناريو، أو حتى مجرد أفكار.

ولكن، هل هناك سمات مميزة للقارئ الممتاز؟

كأن يكون متعلمًا، أو يقرأ قدرًا معينًا كل يوم أو كل شهر، أو يقرأ في موضوعات بعينها، أو يقرأ بسرعة معينة؟

ليس كل ذلك مهمًا، فالقراءة شأن ثقافي، وكما أن هناك اختلافات في تعريف الثقافة لا حصر لها، فلن تكون هناك صفات متفق عليها للقارئ الممتاز.

المهم أن تسعد بما تقرأ، وتحس أن القراءة تضيف إليك جديدًا في رصيدك الفكري والمعرفي، ولو استطعت أن تجعل قراءتك منتجة، أيا كان هذا الإنتاج، تكون قد استفدت حقًا من قراءتك، بل وأفدتَ!